







# رحلة

سمو الأمير محمد علي باشا  
شقيق الجنب العالى الخديوى  
الى الجهة الشمالىة لأمريكا

---

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩١٣









## مقدمة الكتاب

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مكوّن الأكوان ومديرها . ومبدع الحوادث ومغيرها .  
لا إله إلا هو جعل الآثار دالة على باهر قدرته . ودقيق حكته .  
والصلاة والسلام على نبينا محمد خير من ألقته الأرض . وسيد من  
أظلمت السماء . أمر بالمجرة طلبا للعلم ودعى إليها . ورغب في الرحلة  
انساء للدارك والرزق وحض عليها . وعلى آله وأصحابه الذين جابوا  
القفار . واتحموا لبحج البحار . وضربوا في الأرض هاديين .  
وجابوها مرشدين . فكانوا كالتجوم هداية في الظلمات برا وبحرا .  
أو كالماء مبعث للحياة تكوينا ونشرا .

وبعد فان ما بلغته الانسانية من الحضارة والعمران وكل ما شاهده  
بإعجاب في أنحاء المعمورة : ابن فكرة

والفكرة قد زين الخلق بها عقل الانسان وحلاه بسمو المدركة  
وأعطاه النطق لتكون له السيادة المطلقة على جميع ماظهر على سطح  
الارض وما استتر في باطنها من حيوان ونبات وحاد  
واظهارا لتلك السيادة اقتضت حكمة الخالق أن يجعل مخلوقه كلها

( ب )

من جهة المدارك درجات متفاوتة بعضها أعلى من بعض وأعد  
للإنسان المرتبة العليا . اتخذ هذا النظام قاعدة عمرانية لقائدة الإنسان  
لينفذ ماقضاه في حكمه السابق لدى تكوين الوجود من ضرورة  
وضع الإنسان في مركز ممتاز سام مشرف على مخلوقاته أجمعين كما  
وضع الحيوان في درجة أعلى من النبات والنبات أعلى من الجئاد على  
ذلك كان مايدركه النبات لا يدركه الجئاد وما يدركه الحيوان لا يدركه  
النبات وما يدركه الإنسان تصجز حتيا باقى المخلوقات عن ادراكه  
ولأجل هذا كان الإنسان بحق سيدها وسلطانها

تدرج الإنسان بما أودع فيه بالقطرة من قوى المدارك والفكر  
والنطق فى مدارج النمو والارتقاء

فكر أولا فى الوسائل والطرق التى تضمن له قوام حياته وسط  
معترك الوجود . وفكر ثانيا فيما يدفع به الغوائل والعيادى دقاعا عن  
نفسه . ثم فكر فيما بعد فى الحصول على شئ من الهناء والسعادة  
وتخفيف آلام ومتاعب الحياة بقدر الاستطاعة .

كان الإنسان عند نشأته الأولى محاطا بالجهالة من كل جوانبه وفى  
كل حوائجه وكان مختلطاً بالوحوش الضارية التى معظمها اندثر مع  
تقادم العصور والأزمان . يعيش عيشتها من القشافة والخنشونة عارى

الجسم مثلها لا يعرف الا الثمار ما كلاً . ويطون المغارات والكهوف  
مرقدا . مضطرا للرحيل عند فراغ تلك الثمار لمكان آخر يجيد فيه  
قوته وقوام حياته . والا كان يصادف حتما حظه لجهله فلاحه  
الارض واستثار خيراتها لمصلحته . ولكن عند ما استخدم ما أودعه  
الله فيه من المدارك وقوة التفكير انتقل من حالة الهمجية هذه  
الى المدنية ومن حالة الرحلة الى الاستكافة والاستقرار فى اقليم سماه  
فيا بعد وطنه . ثم تعلم كيف يبتنى له مساكن اتقاء الحر والبرد سماها  
بعد قرية فمدينة فملكه . ثم تعلم الزراعة وفلاحه الأرض ثم الصناعة  
ثم تحليل المعادن واستخدمها لقوائده وتعلم الملاحة والتجارة وتمكن  
شياً فشيئاً من توفير أسباب الراحة والهناء فى عيشته

أوجد العلوم والمعارف وغرضه منها معرفته كيف يعيش ففوى  
بها وبالترية مداركه حتى كادت تزول الغشاوة التى كانت تمنع نظره  
من إحصار حقائق هذا الكون الغامض المخفوف بالاسرار العديدة  
المتنوعة . تمكن بالفكر والاستنتاج وقدر الفريضة والنشاط والصبر  
والدأب على العمل من كشف بعض تلك الاسرار ومن إيجاد الوسائل  
التي سدى بها احتياجاته الكثيرة الضرورية والكبالية حتى وصل لدرجة  
ال عمران الموجودة فيها الأمم الحاضرة المتمدنة فهو لذلك مدين

في مدنيته لتلك الصفات وعلى الاخص لقوة الافكار .  
 فنيت الاجيال وبقيت الافكار التي سيرتها قوارثها العصور من  
 بعدها هكذا تبنى الامم وتبنى الفكرة مضبوطة طريق العصور التالية  
 ولما كانت قوة الفكر تختلف اختلافا بينا بين الافراد وبين الأمم  
 ظهرت بقدر اختلافها ميزة فرد على فرد وتفوق أمة على أمة . وما  
 نشاهد في عصرنا الحالي من الفروق العظيمة بين درجات التمدن  
 والحضارة والعمران بين أمم الأرض بأسرها انما هي نتيجة طبيعية  
 لازمة للدارك قوة وضعفا وحركة وسكونا وأصلالة وخطلا .  
 بالفكر تمكن الانسان من قهر الطبيعة على افشاء الاسرار التي تخفيها  
 فكان الفكر طلسم كشف به مخبأتها ومفتاحا فتح به كنوزها فأخرج  
 لنا منها قوى لولاه للثبت في عالم الغيب .  
 بالفكر أظهر الانسان أسرار البطار والكهرباء والمغناطيس وعرف  
 خواص الاجسام وأدرك عالم الميكروب .  
 ومن الواضح الجلي المشاهد في جميع أطوار الانسان وحياه منذ  
 نشأته أن كانت فكره وقادة ومداركة واسعة وكان ذا جاذبة ونشاط  
 ومثابرة وجلد ارتقى في مدارج الانسانية وأخذ نفسه وأمته من حمأة  
 الهمجية وسار بها شوطا بعيدا في مراقى الحضارة والعمران . وأما

من كان فكره كاسدا ومته فطرة فله وقف بالطبيعة عند حدّ النشأة الأولى وينى الى الحيوانية أقرب منه الى الانسانية

هذه النظرية تجلّت في الشرق والغرب قديما وحديثا فقد كان الشرق في قروته الأولى والوسطى مهبط الأديان ومقرّ العرفان ومطلع بدور الأنبياء والمرسلين كما كانت زاهيا زاهرا ببدائع الصنائع والمخترعات . حاليا بمكارم الأخلاق وجميل الصفات يكاد يكون منفردا في الدنيا بمن القوانين الاجتماعية والنظامات العمرانية . وبالجملة فقد كان على سطح الأرض شمسا تنبثق منها أنوار الحضارة وتنتشر منها أضواء المدنية كما كان كعبة يقصدها طلاب العلم من أمم الغرب فيجدون ضلالتهم المنشودة من علم مفيد وعمل نافع وصناعة متقنة وزراعة تلمية وتجارة رائجة وقوانين محكمة ونظامات قريمة .

كانوا يحيثون الشرق محاصا ويرجعون الى بلادهم بطائين طيب حاذق ومهندس بارع وفلكي مطلع وصانع متضلع وزارع خير وتاجر قدير . وما وصل الشرق الى هذه الدرجة التي أكسبته السلطان والسيطرة على باقي الأمم الا باستعماله قوة المدارك واستخدامها بجد ونشاط في مصالحته وقتلته . ولا يتيسر لمن يريد معرفة مقدار ما كانت عليه مدارك الشرقيين من النور والعرفان وأفكارهم من

الاصالة والأصالة وعزائمهم من المضاء والقوة الا اذا تتبع آثار  
ذكاتهم واستقرى المجهودات الفائقة العظيمة التي بذلوها في فائدة  
وتقدم الانسانية والوسائل الكبرى التي استخدموها لقشع الحجب  
الكثيفة التي كانت تستر ما اكتشفوه من اسرار الطبيعة

ظهر في الشرق مدنيات كثيرة ترجع كلها الى مصدرين  
أحدهما . رقى تدريجي ورأى في الهيئات الاجتماعية  
ثانيهما . رقى منبعث عن الفكرة الدينية .

فمن النوع الأول مدنية المصريين القديمة التي من أهم مميزاتها رقى  
الفكر وتوجيهه الى اتقان الصناعة واتجاه العقول الى نور العلم في عصور  
مطبقة الظلام .

ويكنى زيارة معاهد الآثار المصرية والمعابد المنتشرة في مصر وعلى  
الخصوص في الوجه القبلى لمعرفة مقدار الاتقان الذي بلغته تلك  
المصنوعات وللاستدلال على أن جميع الهياكل والاهرامات  
والبنائات الأثرية قامت على أدق القواعد العلمية والفلكية  
ومن الأول كذلك مدنيات اليونانيين المقتبسة عن المدنية المصرية  
ثم مدنيات الاشوريين والفنيين والقرطاجيين

أما مدنيات النوع الثاني فقد ظهر في الشرق ثلاثة خضع لمبادئهم



الدينية القسم المتمكن في العالم .

ظهر أحدهم في مصر وهو موسى عليه السلام . أرسله الله تعالى ليضع للعالم القوانين التي تلائم ذلك العصر هداية من الخالق ونورا لبني البشر .

وظهر الاثنان الآخران في الشام وبلاد العرب .

أحدهما عيسى عليه السلام أقام للناس قيسا سطع نوره حتى بهر العالم اذ كان سراج هذا القبس مستخرجا من معدن الآداب العالية والاخلاق الكريمة والرحمة هداية كذلك من الخالق ونورا لبني البشر أجمعين . ثم ظهر بعده هذا العربي الهاشمي الذي فاق الأنام في علو المدارك وسمو الافكار كما كان أكبر وأقوى من خدم الانسانية بأسرها بإرشاد الناس بالحكم التوجيه والتعاليم الراقية الكريمة التي بعثه الله لنشرها في كل الكون سلاما وبركة ورحمة للعالمين . برز نور تعاليمه الاسلامية من سماء بلاد العرب ثم انتشر في أرجاء آسيا وشرقان ما انتقل الى افريقية الشمالية مبتدئا بمصر مارا ببلاد المغرب مجتازا بحر الروم حتى وصل الى أوروبا من مطلع الأندلس . فحك العقول من أسرها وأرسلها الى أن لها حقوقا وعليها واجبات وأضاء لها مناهج الحياة العلمية والعملية وعلمها كيف تتجهجا فخرجت بذلك من

(ح)

الظلمات الى النور ومن الموت الى الحياة بتلك الروح الجديدة روح  
التمتدن الاسلامي والذكاء الشرقي .

طلقت هذه الروح على البشر منذ ثلاثة عشر قرنا تدعو الناس الى  
الاحياء والتعارف بين جميع أفراد المعمورة على اختلاف أجناسهم  
ومعتقداتهم وتباين مذاهبهم ومشاربهم . تدعوهم الى التضامن  
الانساني في كل أطوار حياتهم . تدعوهم الى جعل العدل أساسا  
لمعاملاتهم الاجتماعية والسياسية كما تدعوهم الى استعمال الرحمة  
والحنان . حاثّة على مكارم الاخلاق حاضّة على التمسك بوسائل  
ال عمران وقد رسمت لهم طريقا جديدا لم يسبق له مثال في السواء  
والسهولة وتقريب المسافة في تحقيق وصول الآمال للسعادة الدنيوية  
والنعيم الأبدى .

تنادى تلك الروح الجنس البشري بأعلى صوتهها  
« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل  
لتعارفوا »

وتقول لهم

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »

تقول لهم

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن  
 الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »  
 كما تقول لم حاضرة على الحركة والعمل  
 « وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى »  
 ويقول مهبط تلك الروح صلوات الله عليه « اطلبوا العلم ولو بالعين »  
 و « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »  
 دين كله تعارف وإخاء وعدل (وعلم ورحمة) و (حركة وعمل وفكر  
 وتنبيه) كان من شأن انتشاره فى أرجاء الدنيا أن تيقظ الحكمة الناس  
 أجمعون المؤمنون به وغير المؤمنين .

وليس من الغريب أن هذه الحركة الاسلامية كما مدنت الشعوب  
 المتبربرة وأكسبتهم مدنية أقر لهم بها التاريخ كان لها صدى فى الغرب  
 الذى كان حينئذ تائها فى ظلمات الجهالة غارقا فى بلج الحمجية لا يبصر  
 الضوء الا من سم الخياط ولا يتنسم الحياة الا من مطلع الشرق لان  
 تلك الحركة الاسلامية لم تنجى لتخص بمزاياها أقواما معينين بل هى  
 جاءت لسعادة الانسان من حيث هو انسان .

أفاقت كل هذه الحركات التقدمية الشرقية الغرب من رقدته الطويلة  
 التى كان تائها فيها كما أيقظت عزيمته التى طال عليها القنور فارتحل

النيشيطون من أبتائه الى بلاد المشرق واعترفوا من بحاره العذبة ومناهلها  
الربطية كل ما كان غريبا منهم مجهولا لديهم من أنواع المصنوعات  
والحرف وأخذوا من ذلك الحين يشمرون عن ساعد جدهم مشتغلين  
على الأخص في الماديات متغلبين في الصناعة والتجارة والزراعة والملاحة  
من سبي الى حسن ومن حسن الى أحسن ومن كامل الى أكمل .

سار الغرب على هذا النمط المرغوب فيه جدًا في جميع مرافق الحياة  
الضرورية والحاجية والكمالية حتى نال من المنعة والقوة والسلطان الدرجة  
التي هو عليها الآن وسبق الشرق في الماديات بعد أن كان مسوقا ومساده  
بعد أن كان مسودا وحقق الحكمة الشرقية « لكل مجتهد نصيب »

وعجيب أن الغرب في سيره الى الحضارة لم يعطى النفس  
الطريق الذي بذل الشرقيون وأجدادهم الكرام مهجهم الغالية  
في تمهيده وتنسيقه . وهم لوقوف الفكر الشرقى عند الحد الذي  
وصلت اليه مصنوعاتهم ومتاجرهم وملاحظتهم وعدم تقدمهم فيها الى  
الأمام بنفس الخطا السريعة التي خطوها في الأدبيات بوجه أعم  
وفي علوم الفلسفة والبلاغة والمنطق وعلم الكلام بوجه أخص مضافا  
على ذلك تفريط الخلف في المحافظة على متركات السلف سيما المادية  
منها كانوا قد ضلوا عنه وجعلوا غيرهم من هؤلاء الغربيين الذين

(ك)

كانوا وراهم فيه بمراحل يسبقونهم اليه واكتفوا بقبول تعويض بسيط تاريخي عما فقدوا بأن نالوا من الغريين اقرارا لهم بفضل سبق عليهم فيه .

بكا الشرق في المآذيات أو وقف ساكنا عند حدّ جهاد أبنائه الاولين . وخصص النفيس من أوقته الغالية في الاشتغال بتلك الادبيات مهملا المآذيات التي عليها قوام الحياة والتي هي موارد الثروة الحقيقية فبعد أن كان مطلع شمس القنون وينبوع الصنائع والعلوم وبعد أن كان أستاذ الغرب فيها من غير مرء انقلب حاله من أحسن الى حسن ومن حسن الى سيئ على العكس تماما من الخطة العمرانية الحديثة التي اختطها الغرب لنفسه بل أصبح الشرق يلتمس نوره من زهراء الغرب . كل ذلك لأن الشرق وجه التفاته للادبيات دون المآذيات التي أهملها كل الاهمال ولأنه خفف سيره الى الأمام في موارد الرزق والثروة في حين أن الغرب كان ينهب الأرض نهبا طلبا للامتاع في الملكات والمقتنيات لا يعرف للقناعة حدا ولا تحجبه عن نبيل غايته ومطامعه شم الجبال ولا لجج البحار بل حملق الى السماء يريد استخدامها أيضا حتى خضعت لمشيئته الأرض وما فيها وما عليها . بعد ذلك كان حقا على الشرق أن يترك للغرب تراثه القديم تراث العز

والسلطان تراث العلم والعرفان والثروة والسعادة في اليوم الذي تمخلى فيه  
عن تلك الصفات والمميزات التي ضمنت له قديما جمع هذا التراث .  
نعم نام الشرق نوما عميقا واستغرق فيه حتى أيقظه من أوروبا  
ومن أمريكا حركة قوية تمجّل عجائب المصنوعات وغرائب المخترعات  
برا وبحرا وهواء وأرهقه مناد يتاديه كيف حلا لك النوم وهو مرّ  
علقم ولذ لك الرقاد وهو السم الزعاف ثم ذكره بنظرية تنازع البقاء  
وبقاء الافترس فلقى هذا الصوت في بلاد اليابان آذانا صاغية وقلوبا  
واعية في أمة نشيطة كانت خير مثال يتبنى كل شرق أن يحذو حذوه  
وأن يتتبع خطاه رنّ هذا الصوت في مصر فتداركه هذا الرجل الكبير  
الجليل القدر المعدد واحدا من اثنين نبعا في عصره هو الحاج محمد  
على باشا رئيس عائلتنا المصرية الملكية الكريمة فالتفت للأدبيات  
والمآذيات على السواء ووجه لها عنايته الفائقة النادرة المثال فانتشل  
الامة مما كانت واقعة فيه من المهالوى السحيقة . فالمدارس أنشأها  
والاراساليات العلمية قررها وقمعهدها والقاوريات من جملة أنواع  
أسسها وبناتها وأنجحها والترسانات والارصفة والجسور والترع والقناطر  
وكل شئ حيوى في البلاد بأمره بنفسه واستخدمه لقائدة بلاده  
والجيش والبحرية قواما بعد أن رباهما على النسق الحديث المتين

وبإصالة حكمه وحسن درايته وطّد الأمن في البلاد وافتتح القسم العظيم من الاقطار السودانية وضمها على بلاده العزيزة . وعليه فان مصر مدينة بتمدينها الحديث لتلك العائلة الخديوية الكريمة وتاريخ مدينتها الحديثة مقترن بتاريخ الحكم العلوى من غير مرأى ولا نزاع سارت البلاد على هذا النمط حتى تيقّأ عرشها من حسن حفظها عابها الثاني فضاغف قواها وبث فيها حيلة جديدة أخرى من نشاط وهمة وإقدام حتى انها تأقت في عصره الزاهر لاسترداد مجدها القديم وعزها التالذ فأخذت تعمل على ذلك باحثة على أسباب الرقى الأدبى والمادى بكافة الوسائل وعلى الأخص بمضاعفة موارد الصناعة والتجارة والزراعة وتعميم العلوم والمعارف بين طبقات الأمة .

وجدير فى الواقع بأمة لها تاريخ مجيد ومدينة عريقة بأمة ملكها العباس الذى لا تعرف قواه الملل ولا مداركه السامية الواسعة الكلل أن تتمكن من الوجود فى مصاف الأمم الراقية وأن تحوز قصب السبق فى مضمار الحياة العلمية والعملية خصوصا وبين أثبتتها الأمجاد من يعرفون بواسع بصيرتهم وجليل رأيهم كيف يبعثون فىنا هذه الحياة من جديد فى مثل هذا الزمن الذى صعب فيه التزاحم الحيوى أمر المعيشة على الناس .

في مقدمة أولئك الأبناء حفيد محمد علي باشا وسميه وشقيق الجنتاب  
 العالي الخديوى قلم وأخذ على نفسه الأمانة الرحلات في أنحاء  
 المعمورة ليحيى في البلاد صفاتها القديمة لتعود لها سيرتها الأولى فلا  
 تكون دون غيرها في السعى والتطلع لعجائب الأعمال العظيمة  
 والمدمشة في الاقطار المترامية الأطراف . والمتناثية الاكفاف . ورأى  
 أبناء الملوك يسبقون رجال العلم في هذه الرحلات الشاقة . فتأقت  
 نفسه العالية الى سبقهم في ذلك . ولقد سبق أغلبهم بالقفل . فأصبح  
 سمّوه في أوائل الامراء المعدودين ولما بالرحلة الى كل ما يفيد بلادهم  
 ويرقى شؤون أممهم . وهكذا عرف كيف يرفع رأس مصر .  
 وكيف يبعث في نفوس الشرقيين صفات آبائهم الاولين .

لم ينمض جفته حفظه الله في أى سنة من السنين عن التجول  
 في أقطار المعمورة . في البلاد الغريبة وبلاد أمريكا واليابان .  
 مستطلعا ما وصلت اليه تلك الأمم من بواعث الحياة الجديدة وأسباب  
 العمران . وقد كان في كل رحلته يودع ماعنّ له من المشاهدات  
 الغريبة بطون الصحائف ويرصدها في أفق السجلات التي صارت  
 نبراسا يهتدى به كل من طالعها من المصريين . الذين هم موقف نظره  
 السامى . وغيرهم من أبناء الشرق . بقصد أن يغرس في قلوبهم



مبادئ حب الاستطلاع والسير في الطريق الموصل للحياة الحقيقية .  
حتى لا يكونوا غالة في العلوم والمخترعات والصناعة على غيرهم . ولكي  
يشغلوا في هذا العالم المكان اللائق بشرفهم العريق .

امتاز سمو الأمير الجليل محمد علي باشا بصفات غاية في الجلال  
والجلال وخلال كريمة نبيلة ترين كل من تحلى بها فهو صادق العزيمة  
قوى الإرادة صبور على محمل المشاق مهما بلغت اذا رأى في تحملها  
بلوغ مآربه وتحقيق بغيته .

شرع دولته في زيارة أمريكا عقب حادثة التيتانيك فلم تنه عن  
عزمته الماضية القوية المصائب الكبرى التي أحدثت بالكثير من  
الانفس البشرية بفرق تلك الباحة ولا النصائح الكثيرة من أصدقائه  
العديدين ويكفي لمن تصفح رحلته أن يقف على ما تكبده من مشاق  
الانتقال ومتاعب السفر الطويل متى أمعن نظره في الآلاف من  
الكيلومترات التي قطعها في تنقيبه وبحته في الآثار النفيسة التي صنعها  
يد الإنسان وهي عجائب جديرة بالتدوين والشرحين الأنام .

وبدبى أن الرحلات العلمية تمتاز بعضها على بعض بقدر ما يمتاز أصحابها  
من الصفات وقوة الاستعداد كحب الاستطلاع ودقة الملاحظة واستيفاء  
البحث ومثانة الوصف وقوة التصوير وصحة الاستنتاج واختيار الأنفع

وبفضل الله تعالى جاءت الرحلة ناطقة بأن صاحبها المصخم كان ممتازا بهذه الصفات الجليلة وهي التي جعلت لرحلته النفيسة شأنًا خاصا فوق شأن غيرها .

وصفت لنا رحلته فيما وصفت كيف أن الأمريكى اذا شرع فى مشروع لا يثنيه عن المجازة المستحيل والمتعذر على غيره بل هو كثير الثقة فى نفسه والاعتماد على ذاته يبذل عند الزوم بسطاء حاتمى لا يكاد يضارعه سخاء فى الوجود كل غال ومرئخص حتى يبلغ فى النهاية مبتغاه وينال حظوته فيما شرع فيه . خلال جميلة وأخلاق حميدة من شأنها الازدراء باليأس والقنوط .

وصف لنا الأعمال العظيمة والعمارات الشاهقة والقناطر والجرارى التى لا يضارعها غيرها فى الكبر والطول فى كل بلاد الدنيا لتصبو نفسنا للعمل على منوالها . ولتعتشق بعظمها ونفامتها قلبنا فتأتى فى بلادنا على نسقها وتعلم صنعها ومتانة ودقة هندامها وذوقها . وبالاختصار فقد جاءت الرحلة أتمع سفرىقتنى وأشهى ثمريجتنى بل وخير كتاب دؤن فى هذا الباب ٤

الرحلة الامريكية

اسمؤ الأمير محمد على باشا

---



## بسم الله الرحمن الرحيم

إن السباحات الكثيرة التي قمت بها بقارة أوروبا في أول نشأتي منذ كنت في السادسة من عمري مكنتني من رؤية كل مهم في هذه البلاد ولذا فكرت في تغيير وجهتي إلى البلاد الأخرى خصوصا أن أوروبا صارت الآن قريبة إلينا والطريق إليها أصبحت سهلة والمغربين بزيارتها كثيرون فابتدأت في سنة ١٩٠٩ ميلادية أن أسبح في بلاد اليابان لأرى شيئا جديدا من مناظر طبيعية بديعة ومصنوعات دقيقة ولأقف على ستر تقدم اليابانيين ووصولهم إلى هذا المجد الشاخر والله الحمد وُقِّعْتُ إلى غايي وقدمت لأبناء وطني الأعزاء نتيجة رحلتي بقدر ما استطعت ومارأيت . وهنا أستمح نظر القارئ الكريم أن أذكر أهم الأسباب التي دعنتي لتحمل هذه المشقات العظيمة في القيام بهذه السباحات : إن هناك تأليف كثيرة عن جميع بلاد الدنيا وقد اطلعت على كثير منها ولكني أعتقد أن رؤيتي الشيء بنفسى أنفع من قراءته في الكتب فهما كانت الوصف جميلا فانه لا يؤثر في النفس تأثير المنظر البديع عند ما يقف الإنسان أمامه ويشعر بقدرة الخالق العظيمة وجمال الطبيعة .

إن مىلې القرىزىّ للسياحة واعتقادى بما شرحتة للقراء جعلانى  
أوجه سياحتى هذه السنة إلى الولايات المتحدة وكندا وألاسكا  
وبالجملة إلى الجهة الشمالية لأمريكا وإنى آسف جدًا لعدم تمكنى من  
السياحة فى مكسيكا لكثرة الثورات الداخلية فيها ولعدم اتساع الوقت  
لزياره كل ماذ كرته آنفا والتعريح عليها بعد ذلك . ومما يزيد أسنى  
مشايئها للبلاد الشرقية وحرمانى من رؤية أمثال عساكرنا السودانيين  
الأشداء فيها وقتال بناما القريب إليها والذي سيفتح فى هذا العام .

ولما قررت السفر إلى الجهات المذكورة قبل اتفقت مع كوك  
وقررت السفر على الباخرة كرون پرنسيس سيسيل فى أول مايو أى  
قبل دخول فصل الحر الشديد بأمريكا وهذه الباخرة تابعة لشركة  
النورد تشرلويد الألمانية ولما وصلت إلى باريس أخذت أعد  
العدة لهذا السفر وكنت أتردد على محل كوك لأقرر خطة السياحة  
النهائية وقد ساعدنى الحظ ووقفت لعمل برنامج السياحة بمساعدة  
المستبروكر أحد رؤساء محل كوك الذى رأيت فيه الكفاءة العظيمة  
فلم تترك أعجوبة أو منظرًا جميلًا يستحق الزيارة فى الدنيا الجديدة إلا  
وقررناه فى خطة سياحتنا التى تستغرق ثلاثة شهور . وبينما كنا نعمل  
النفس بقرب السفر وتنتظر بفارغ صبر يوم قيامنا برحلتنا الجميلة

حدثت فاجعة غرق أكبر بانة في العالم وهي التي تسمى (تيتانيك) التابعة لشركة (ويت ستار لاين) أثناء سفرها لأول مرة من إنجلترا الى أمريكا وكانت حمولتها (٤٦٠٠٠) طن وسرعتها ٢١ عقدة وسبب غرقها مصادمتها في الساعة الثانية عشرة مساء بجبل من الثلج (آيزبرج) عثم على وجه الماء . وقد فصلت الجرائد الأوربية كيف كانت المصادمة وحصول الفرق تفصيلا مسبها لاداعي لإعذاره الآن في رحلتنا إلا أننا نقصر من ذلك على ذكر مآراياته مهما واستحق المدح والإعجاب إن عدد الركاب الذين كانوا في التيتانيك لا يقل عن ٢٥٠٠ شخص كان من المستحيل نجاتهم جميعا بواسطة السنة عشر زورقا التي كانت بها ولذا ابتدئ باقراض النساء والأطفال أولا ثم نزل بعض الرجال في المحال الباقي من هذه الزوارق وكان من بين الراكبين في البانة الكولونيل (استور) ياور المستر (تافت) رئيس الجمهورية السابق وهو من أصحاب الثروة التي تقدر بمبلغ ٧٥٠ مليون فرنك وكان قد تزوج في إنجلترا بممثلة اشتهرت بمجالها الرائع وكان عاندا معها بعد أن قضيا (شهر العسل) في مصر في فصل الشتاء الماضي فبذل أن يسرع إلى النجاة بنفسه أظهر شهامة ومروعة وصار يساعد السيدات والأطفال على النجاة وفضلهم على نفسه .

والذى أثرت في نفسي كثيرا متبى الإخلاص والصدقة التي أظهرتها السيدة (ستورس) لزوجها الذى كان معها في هذه البخرة وهو المشهور بثروته التي لا تقل عن ٢٥٠ مليون فرنك فإنها لما دعت لفارقة البخرة كغيرها من السيدات أبّت نفسها الشريفة أن تفارق زوجها وأجابت الريان الذى كان يدعوها الى النجاة بنفسها قائلة: إن الخمسين سنة التي أمضيتها مع زوجي المحبوب بين السعادة والشقاء لا تسمح لي اليوم بأن أفارقه في وقت الشدة فأنا أفضل الموت معه على أن أعيش لحظة واحدة بعده فأت اللتان المستان متعاقبتين بعد قبلة الوداع الأخير وأضافت السيدة ستورس الى صحيفة الإخلاص أكمل مثال له يستحق أن يندون بالذهب وينشر في العالم ليكون عبرة ومثلا لحبي المروءة والشهامة والإخلاص .

إنّ هذا الضرب من الإخلاص قلما يوجد له مثال بين الرجال والنساء . وهل لنا أن نؤمل بعد أن أبدت هذه السيدة أمام العالم أجمع هذا المثال للإخلاص الكامل أن هذه الروح الطاهرة ستسرى بين النفوس في أكثر الأسرات حتى تقوى صلوات المحبة بين أفرادها وبذلك تسود الآلهة بين أبناء البشر ؟

أما أسباب الفرق فهي الاعتقاد بأن هذه البخرة الكبيرة متينة جدًا



ولا سبيل إلى أن تفرق ولذا أمر ربنا بأن يسرع في السير بآخر قوة  
بخرته حتى يقطع المسافة بين إنجلترا وأمريكا في مدة أقل مما تقطعها  
باقي بواخر العالم فتأخذ التيتانيك الشهرة وتقوز بالسبق ولكن  
بالأسف خاب الظن وكانت العاقبة وبالا . لقد أسرعت السفينة  
ولكن ماذا كانت العاقبة ؟ تصادمت بذلك الحبل المائل ولشدة سرعتها  
لم يمكن تحويل سيرها وإيقافها دفعة واحدة فذهبت هباءً ماثورا

إن هذه الحادثة أخذت دورا هائلا في باريس حتى كان من  
الصباح إلى المساء لا تسمع إلا أخبار غرق التيتانيك . إن حصول  
مثل هذه الفاجعة لما يثني الهمم عن السياحات . فكم من صديق  
كان ينصحنا بالرجوع عن عزمتنا ولكن لله الحمد أنا ورفيقي مسلمون  
مخلصون لله ولدينه الخفيف نعتقد أن لكل أجل كتابا فيقينا بالله  
زادنا توكلا عليه فلم نثن عن عزمتنا . وكنت كلما سئلت : هل  
أنت مسافر ؟ قلت نعم - أفلست خائفا ؟ لا . إن الله قادر أن يحمى  
من الأذى وهو الحى الذى لا يموت .

إني لا أريد أن أخفي عليك أيها القارئ مقدار ما كان من تأثيرى من  
سماع كل هذه الأخبار المزعجة التى لا تطمئن القلوب لها . نعم إني  
كنت أشعر بسرور لأننى سارى أشياء جديدة لم أرها أثناء سياحتى

الماضية إلا أنى فى الحقيقة كنت أشعر بأن هذا السرور يكون عندى أعظم بعد أن أتم هذه الرحلة وأعود سالما إلى بلادى العزيزة . ولما لم يبق لنا سوى ٢٤ ساعة على ميعاد السفر ذهبت الى كوك وتسلمت جواز السفر ووقعت على حسابى عندهم وأخذت منهم دفتر شيكات لأخذ ما يلزمنى من النقود بأمرىكا . وقد أخبرت بأن الشركة اعتنت بى كثيرا وأعطت لى أحسن محل بالبحرة (كرون برنيس سيسيل) وقد أخبرنى أيضا محل كوك أنه سيمر على محل سكنتا اليوم (٣٠ أبريل سنة ١٩١٢) الساعة ٨ ونصف مساء من هو مكلف بأخذ أمتعتنا الثقيلة لإرسالها مباشرة الى البخرة حتى لا نتعب وقد حصل ذلك وبما أننا غدا صباحا ستقوم الساعة ٩ والدقيقة ٥٠ من محطة (سان لازار) ويلزمنا أن نكون مبكرين إلى المحطة فضلنا أن نبادر إلى النوم حتى يكون لنا من الراحة ما يساعدنا على تحمل مشاق السفر إن شاء الله .

يوم أول مايو سنة ١٩١٢ - أصبحتا بخير مستعدين للسفر بالقطار المعد للسافرين بالنورد ثيرلويد . ولما أرسلنا فى طلب سيارتين من ذوات العتاد (تاكس) أخبرنا أن اليوم عيد الفعلة وقد اشترك معهم سواقو السيارات فاضطرونا إلى استحضار عربتى أجرة ركبت

في الأولى مع الصباغ خيرى والثانية ركبها مصطفى بك رضا ومعه  
الأمثلة الخفيفة ولما وصلنا إلى محطة (سان لازار) وجدنا في انتظارنا  
المسيو (لوموان) مدير محل كوك بيساريس والمستر (بروك) الذى  
ساعدنا في تنظيم خطة السياحة وتكلمت عن كفائته سابقا . وانما  
حضرنا ليكونا على علم من إعداد غرفة (Compartment) خصوصية  
لنا ويعرفا أحتاج إلى أى شئ آخر يمكنهما تأديته لنا . وقد وجدنا  
أيضا أحد عمال شركة النوردنشر لويدي في انتظارنا وأخبرنا أنه موفد  
من قبل الشركة ليخبرنا أنها أعدت كل ما يلزم لنا في البخرة وأمرت  
سائر عملها بأن يعملوا كل ما يريدنا ويسرنا . والذى زاد سرورى هو  
رؤيتى صديقنا القديم عثمان بك غالب في المحطة . حضر ليشبعنا  
فشكرنا له هذا الإحساس الشريف ولا شئ يفرح الغريب أكثر من  
رؤية أحد مواطنيه خصوصا إذا كان من أولى مودته . مكثنا بضع  
دقائق مع هؤلاء المشيعين إلى أن سمعنا التنبيه بخرك القطار فصلفناهم  
جميعا وشكرناهم كثيرا وأسرعنا إلى محالنا التى أعدت لنا فكان معنا  
عدد عظيم من الأمريكين المختلفي الخلق والمهية .  
تحرك القطار من باريس حيث كانت الساعة ٩ والدقيقة ٥٠  
وبعد وصولنا إلى محطة (أشير) (Achière) أى بعد أن سرنا مقدار

٤٥ دقيقة انكسرت القاطرة واضطرتنا أن نتمك بهذه المحطة  
 ٣٥ دقيقة إلى أن أحضرت قاطرة أخرى صغيرة وسارت بنا سيرا  
 بطيئا جدًا كسير قاطرات البضاعة فكان ذلك سببا في تأخرنا ساعة عن  
 ميعاد وصولنا إلى (شربورغ) . أوصلنا القطار إلى الرصيف فوجدنا  
 نقالتين خصوصيتين للسافرين على البخرة (كرون پرنسيس سيسيل)  
 الأولى للأمتعة والبريد والثانية للركاب . وبعد أن نزلنا وانتظرنا هنيهة  
 سارت بنا القالة إلى البخرة المذكورة التي كانت بعيدة عن الرصيف  
 لكبر حجمها ولما قربنا منها وجدنا بخرة أخرى انجليزية أقل منها حجما  
 اسمها ( فيلادلفيا ) قريبة من باخرتنا وتابعة (للترانس اطلانتيق)  
 ووجهتها أيضا أمريكا ولكنها أسافر بعدنا بعشر دقائق . وصلنا إلى البخرة  
 (كرون پرنسيس سيسيل) فاذا هي عظيمة ذات أربع مداخن كبيرة  
 كأنها قرية عامرة أهلها فرحون مستبشرون تظهر عليهم علامات السرور  
 والابتهاج . فلانفتحت هذه المجموع المستأنسة بصياح الجبور ولسان حالها  
 يقول أهلا وسهلا بياقي أفراد أسرة هذه المدينة الفخمة . صعدنا على  
 ظهرها فسمعنا نغمات موسيقى رجالها المطربة تخففت عنا آلام السفر  
 وشكرنا الله اذ دخلنا في زمرة هؤلاء المسرورين ولم تمض هنيهة حتى  
 قدم البنا مقمش الشركة ومعه ريان البخرة وبعد التعارف حضر

رئيس الخدم وأخبر أن غرفنا معقبة تحت أمرنا فذهبنا معه إليها  
ووجدنا ما اختاره لى جميلا أنيقا يستحق الإعجاب نظافته وكامل  
معداته .

إن هذه المقابلة أثرت فى نفسى تأثيرا حسنا جدًا خصوصًا بعد أن  
سمعت أنه كلما قربنا من أمريكا كانت الخدمة غير منتظمة . والحقيقة  
أن الإنسان لا يجد فى هذه البائرة ما يشكو منه فإن جميع الخدم فى غاية  
الأدب ينتظرون أى إشارة لتأدية طلبات المسافرين .

انى لم تسمح لى الفرص بزيارة أكبر بواخر الاطلاق حتى يظهر  
لى الفرق بين البائرة التى سافرتا عليها وبين هذه البواخر ولكنى أظن  
أنه لا يمكن أن تكون سفينة أحسن ولا أبدع نظاما مما اختارها الله لنا  
وساقنا حفظنا الى السفر عليها .

إن البائرة ( كرون پرنسيس ميسيل ) حوتها ٢٠٠٠٠ طن  
وقوة آلتها اللتين تسيرانها ٤٥٠٠٠ حصان وطولها ٧٠٦ أقدام  
وعرضها ٧٢ قدما وارتفاعها ٤٤ قدما وبها ست طبقات تسع ٥٢٠  
مسافرا فى الدرجة الأولى ومثلها فى الدرجة الثانية وعددا عظيمًا آخر  
فى باقى الدرجات . أضف إلى ذلك ٧٠٠ من الملاحين وغيرهم  
من عمال السفينة . والذى يظهر قوتها العظيمة أنها تحرق كل يوم

حمولة سبعين عربة غم وزن العربة الواحدة ١٠ أطنان ولا تسل  
عن مرعتها في أيام الصحو عندما يكون البحر هادئا تقطع ٢٣ عقدة  
في الساعة . أما الخدم فعدددهم ١٩٠ سفريا و ١١٤ طباطبا و ٧ خبازين  
وقد علمت أن الخبز الذى يعطى لسائر الركاب ومن ضمنهم  
المستخدمون والملاحون والمهاجرون هو الخبز السميد ( الخالص )  
النظيف لا الجارية وذلك من مدة سنتين .

وبالجملة لا يسعنى الا الإعجاب بهذه الباهرة والثناء الجميل على القائمين  
بخدمتها إذ أن الانسان يشعر بيجرد وصوله ومكنه ردها من الزمن بها  
بالنظام الالماني ومراعاة تنفيذ الأوامر الصادرة من كباراء مديرى  
حركاتها إلى التابعين لهم .

بعد أن استرحنا قليلا حضر رئيس الخدم وأخبرنا أنه مرسل من قبل  
القومندان ليعرض على مأوى آخر أبهى وأوسع مما أنا فيه وهو ما يدعى  
عندهم (المسكن الأميراطورى) وهو مشتمل على عنة حجر منها واحدة  
للاكل وأخرى للقبالة وحجرة نوم بلوازمها من حمام ومحل راحة  
وغيرهما فقبلت ذلك مع الشكر وانتقلت إليه فوجدت أن الاسم  
ينطبق على المسمى وهو يؤجر على ما سمعت بمبلغ ٤٠٠ جنيه  
في السفرة الواحدة فأرسلت بطاقة باللغة الألمانية للقومندان أشكره

على هذا اللطف والاعتناء بي وأظن أن هذا كان أقل ما يستوجه كرم فعله لاسيما أنه ققم لي هذا المسكن بدون أن يكلفني بدفع الفرق بل كان ذلك من باب الأدب وحسن المعاملة .

سارت البخرة بنا نحوها عناية الله في نحو الساعة السابعة مساء وبعد ساعتين حضر عندي قومندانها ليزورني فوجدته رجلا في نحو العقد السادس من عمره في غاية الأدب والرزانة تظهر عليه علامات الهيبة والوقار والشجاعة فأعدت شكرى اليه شفاها وقمت إليه الصباغ خيرى ومصطفى بك فكث معنا مقدار ماسمح له وقته فودعناه بمثل ما قبلناه به .

لما حل ميعاد العشاء استفهمت هل من الضرورى لبس (الأسموكين) فأخبرت أن ذلك ليس ضروريا خصوصا في هذه الليلة حيث أن حضورنا كان متأخرا . نزلنا للعشاء وقد حجزت لنا سفرة صغيرة على أتم نظام . أما المطعم فكان في الطبقة الثالثة بعد مسكننا وهو حجرة رجة تشغل كل اتساع البخرة وهي مرتبة ومنظمة تنظيما أنيقا يعجبك كل مافيا لاسيما لونها الأبيض الناصع وكثرة الزهور الموضوعة على الموائد التي تسر النظر ويذهب حسن روايتها بتأثير حركة البخرة وأما المآكل فقلتها لتبذير اللحم يؤتى بها من أمريكا وأنواع

الأسماك من إنجلترا والقواكه وأنواع الخضر من فرنسا وقد تلذذنا من جودة الخبز وبالجملة المأكول جميعها حسنة ولذا يفضل الأمريكيون السياحة في البواخر التابعة لشركة النوردنشر على غيرها لما يلاقونه من الراحة في المأكول والمشرب والخدمة والسكن . وكانت الموسيقى تشف آذاننا وقت العشاء ومن الساعة ٩ مساء تدار البيانو بالكهرباء وهي من أتمن الآلات وأجودها حتى إن الانسان لا يجد فرقاً بينها وبين التي يديرها أبرع المقتنين في البيانو . ويستمر هذا العزف مقدار ساعة من الزمن في الردهة الكبرى الوردية اللون . وهناك بيانو أخرى عادية في وسط هذه الردهة . وقد لاحظنا رسم البرنيسيس ولى عهد ألمانيا معلقة على حائط الردهة بطولها الطبيعي وهي التي سميت هذه الباطرة باسمها . وبعد أن انتهينا من العشاء عدنا إلى مكاننا وأمضينا ليلة جميلة لهدوء البحر .

وفي صباح اليوم الثاني ( ٢ مايو ) بعد أن ارتديت ملابسى أخذت أستريض على ظهر الباطرة ولأصوّر لك مقدار اتساعها أذكر أنى طفت في أحد مماشيا خمس مرات فوجدتني قطعت ميلا إنجليزيا . أما المشى الذى فى الطابق الأعلى فغطى من كل جهة بالأواح من زجاج سهلة الإقفال والفتح وعددها ١٩٦ حتى إذا كانت الهواء



شديدا والبرد قارسا أقفلت هذه الشبايك وإلا فتحت - وهذا يسهل الاستراضة للراكين . كذلك من أراد أن يستريح يمكنه أن يستلق على أحد الكراسي المعلقة لتلك بدون أن يتأذى منه المستريحون ولا خوف عليه من تأثير البرد ولا من ابتلاله بالماء ولتكيل أسباب الراحة قد خصص لكل جهة من هذا المشى خادمان لتأدية الطلبات تحت رآسة ثالث وقد لاحظنا أيضا غير هؤلاء الثلاثة اثنين من الملاحين بملابسهما النظيفة للحراسة وبأيديهما المكاس أو قطع من القماش لإزالة أى قدر يجدها . وملخص ما كان في يومنا هذا هو ما يأتى : من الساعة ٧ صباحا الى الساعة ١٠ الفطور ويمكن الراكب أن يتناوله في المطعم أو على ظهر البخرة أو في غرفته وهو مشتمل على أنواع اللحوم على اختلافها من بارد وشواء وبيض وسمك وغيرها .

في الساعة العاشرة تقدم الحساء ومعها ساندويتش باللسان العجلى أو الكافيار - من الساعة ١٠ ونصف تعزف الموسيقى يوما في الجهة اليمنى ويوما في الجهة اليسرى بالتناوب من هذا المشى الذى وصفته . هنا رأينا طائفة المهاجرين الفقراء الذين يذهبون الى أمريكا في طلب الرزق من كل جنس يفتنمون فرصة عزف الموسيقى ويرقصون على

نفاتها ليخففوا عنهم آلام فراق أوطانهم . وقد رأينا في صباح هذا اليوم جملة يوانتر ذاهبة الى أمريكا أوراوجة منها وأعلن أن التسلية الوحيدة للمسافرين في المحيط الاطلانطي الخلل من الجزر هي رؤية مرور اليوانتر بكثرة يخاطب بعضها بعضا بالتلفراف اللاسلكي .

والغداء يتبدى من الساعة ١٢ الى الساعة ٢ بعد الظهر ويقدم للمسافر كشف عام به كل الأنواع التي بالمطبخ فله أن يختار مايشاء منها وأيضا يقدم له كشف صغير (Menu) يعده رئيس السفرة فان وافقه يأمر السفري المكلف بخدمته أن يقدم له غداءه على حسب هذا الكشف الصغير والا طلب مايريد من الكشف العام .

إن المسافرين معنا كانت أشكالهم غريبة ولم نر سيدة واحدة من الأمريكيات جميلة كالتي يراها الانسان في أوروبا أو في مصر وبالجملة كان الجميع من رجال ونساء كالصور التي تصورها الجرائد الهزلية المضحكة فهذه الوجوه ذكرتنى سياحتي باليابان وكوريا .

والحاصل أن جميع المسافرين كانوا أمريكيانيين ولم يكن بالسفينة غيرنا من أبناء الأمم الأخرى وكلهم كانوا من أرباب الأشغال وأغلبهم إسرائيليون وقد لاحظنا أيضا بينهم أسر من مربية ملابس الحداد ونظن أنهم أقرب المنكوبين في حادثة غرق التيتانيك .

ومن الساعة ٣ مساء إلى الساعة ٦ يعزف مرة ثانية البيانو الكهربائي في الردهة الكبيرة . وهناك جملة ألعاب أخرى على ظهر البانعة تقضاء الوقت هذا غير ما هناك من المحال التي يمكن للسافر أن يستريح أو يتم أشغاله فيها كالمجلين المخصصين للتدخين وجمرة المكائيات ويوجد أيضا مكتب للتلفراف اللاسلكي ومطبعة معدة لطبع أخبار العالم لتوزع علينا كل يوم قبل الساعة ٤ مساء بشكل مجلة وهذا من بدائع هذا العصر الجليل .

يتبدئ العشاء في الساعة ٦ مساء وينتهي في الساعة ٩ ولأجل أن نقيم النظام ارتدينا (السموكين) وعلى هذا الترتيب أمضينا والله الحمد يوما بعد أن ختمته بلعب الدومينو مرتين مع مصطفى بك واقترعنا للاستراحة ونحن مسرورون .

(يوم ٣ مايو) وفي اليوم الثاني من سفرنا دعاني القومندان لأشاهد ما يقومون به من الأعمال لتجربة أدوات النجاة التي تستعمل في حالة الخطر (كفانا الله شره) وكان الجو هادئا والبحر ساكنا . وتكون هذه التجربة عادة في الساعة ٥ مساء فصباحي الصباغ خيري وصعدنا إلى غرفة القومندان التي بأعلى البانعة وتجاور مصدر الأوامر فقابلنا بكل ترحيب وأخذ يسرد علينا معلوماته الغزيرة وقد اطلعنا على خارطة

الطريق القديم الذى كانت تتخذ البواخر قبل حادثة التيتانيك وأظهر لنا الفرق بينه وبين الطريق المتبع الآن فإذا هو يزيد مسافتنا ٢٠٠ ميل عما كانت قبل حيث أنه أنحر الطريق عن أصله بمقدار ٦٠ ميلا الى الوراء وهذا للابتعاد بقدر الامكان عن مقابلة التلوج السابحة على وجه الماء ( آيزبرج ) التى تسبب المصادمات وقد أرائنى أيضا جملة بارومترات لمعرفة مقدار ضغط الهواء والمكان الذى توجد فيه البائرة وهى مختلفة الأنواع . منها ما هو خاص بالتيار والشمس . ومنها ما هو خاص بالليل والنجوم وقد أرائنا أيضا التلغراف الخاص بالمرات السابحة فى البحر الذى له آلتان موضوعتان فى مقدمة البائرة وكذا عنده عقاد كهربائى على اليمين وأنحر على الشمال لمعرفة مقدار الدورات التى تدورها كل آلة من الآتين المذكورتين . فالتقومندان بذلك يمكنه أن يعرف فى كل لحظة سرعة هذه الآلات وانتظامها بدون أن يتحرك من مكانه . وعنده أيضا تلفراف مورس وبالجملة كل الاختراعات الحديثة عنده . وبعد ذلك خرج بنا من هذا المكان وأرائنا آلة لها يد يحركها فتدق الأجراس عند السواقين فى قاع البائرة وهى علامة الخطر فإخذون حذرهم ويخرجون من أمكنتهم للنجاة . والغريب أن قاع البائرة مقسم الى ١٩ قسما كل قسم له باب محكم

يقفل في مئة ٣٠ ثانية على التدرج وبطريقة ميكانيكية وعند القومندان لوحة بها تمر هذه الأبواب فكلما أقفل باب أضاعت الفجرة بنور كهربائي علامة أنه محكم الاقفال

وقد ذكرت قبلا مقدار ما تحرقه البانرة كل يوم من الفحم فهذا المقدار العظيم يشغل جزءا كبيرا من البانرة في قاعها . وهو موضوع في جملة محال فكلما فرغ محل من الفحم ملئ من ماء البحر حتى لا تفقد البانرة موازنتها فكل هذه الترتيبات مدبشة وعظيمة ولكني لا أقدر أن أقول إنها تمنع الخطر دائما فكم من تلف صغير جر مصيبة عظيمة وما الأمر الا يداقه . ومع ذلك إنني أعجب جدا من جميع هذه الترتيبات المحكمة الوضع والسريعة التنفيذ ويزيد إعجابي جدا بمحافظه جميع الضباط والملاحين على تنفيذ الأوامر بغاية الدقة والضبط . وقد تحققت أن احترام الرؤساء عندهم من أهم واجباتهم وهذا هو السر الوحيد لنجاحهم في جميع أعمالهم العظيمة . وبعد أن أتممتا رؤية جميع هذه الآلات العجيبة عدنا إلى غرفة القومندان وتسامرنا معه قليلا ثم انصرفنا من عنده شاكرين له حسن اعتنائه بنا مبدين له إعجابنا بما رأيناه وقد قال لي أثناء المحادثة إن الشركة تنفق في كل رحلة ٦٠٠٠٠٠ مارك أى ٧٥٠٠٠٠ فرنك او ٣٠٠٠٠ جنيه انجليزي في الذهب والأدوية

هذا ولما كانت أسرع السفن هي التي تتخذ بريدا (بوسته) كانت  
المسابقة بين الشركات مستمرة وقد أخبرني أن الشركة تأخذ على كل  
كيس بوسته ٠٠ فرنكا في كل سفرة وفي فصل الشتاء وأيام الأعياد  
يصل عدد الأكياس من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ كيس وقد تنقل  
السفينة في بعض الأحيان مقادير كبيرة من الذهب أو الفضة من  
أمريكا إلى أوروبا أو بالعكس وقد أخبرني القومندان أنه تقل مرة  
ما مقداره ١١٠٠٠٠٠٠ جنيه من الذهب إلى بنك روتشلد  
بانجلترا وفي هذه المرة أرسلت معه مركب لخفاره . ولما وصلوا الى  
ميناء بورتسموث كانت بانتظارهم بانة بها جملة من رجال الشرطة  
لمقابلتهم والمحافظة على هذا المبلغ الجسيم فليتأمل القارئ عظمة  
التجارة التي تنقل بهذه البواخر . أمسينا والحالة أخذت تتغير ف شعرنا  
بالاهتزاز وقد أخبرنا أن الحرارة ستبتدى من غد وفي أثناء سيرنا  
تقابلنا مع باحرتين إحداهما أشارت إلينا بأن الجو غير معتدل والضباب  
مالئ الفضاء وهذا ما يخشى منه كثيرا ولكننا لما أصبحنا يوم ٤ مايو  
لم نجد أثرا لهذا الضباب بل كان الضوء متلألئا رغما من السحاب  
الخنيم علينا والمطر المنهمل فوق رؤوسنا . أما حالة البحر فكانت  
في هياج مستمر وهما عرفنا الفرق الهائل بين السياحة في البحر

الأيض المتوسط ويذهب في المحيط ومع ذلك كنت مطمئنا لأنني علمت من الملاحين أن هذه الحالة آمنة كثيرا من حالة وجود الضباب الذي يسبب الأخطار أما رفقائي فكانوا مرضى .  
فهذه التغييرات أيقظت في نفسي حب الاستطلاع والسؤال عن حالة البحر في فصل الشتاء فاستفهمت وعلمت أنها تكون أحيانا سيئة جدا حتى حدث مرة أن أقطع البحر جرة القومندان وأخذ معه الزوارق المعدة للنجاة ويومئذ لم يتمكن الباحرة من قطع أكثر من ١٢٠ ميلا في ٢٤ ساعة وهي تقطع عادة ٥٤٠ ميلا فابتليت إلى الله أن لا يرينا شيئا من ذلك .

انطوى هذا اليوم الصعب والمجد لله وذهبت للنوم متأخرا عن عادتي فكيف يكون الانسان هادئا والنفية نمرينا اذ ذاك على تيار (جولف استريم) الهائل الذي تبلغ سرعته أحيانا ٢١ عقدة في الساعة واذا أضفت اليها ١٠ عقدات أخرى سرعة الهواء في هذا الموقع بلغت سرعة الماء والهواء ٣١ عقدة وهي كافية جدا لتحطيم أعظم مركب ولكن لم تبلغ سرعة الهواء أكثر من سبع عقدات أثناء هذه الليلة وذلك من فضل الله علينا

(يوم ٥ مايو) في صباح ذلك اليوم أخذت الحالة في الهدوء قليلا

وصفاً أديم السماء وقد أخبرنا أننا نستطيع أن نخطب اليوم نيويورك بواسطة التلغراف اللاسلكى . ولقد صادفنا فى سيرنا ذاك اليوم بالخرة من شركة (كونارلين) وسبقناها .

فبعد ما قضينا هذه الليلة وصلنا الى المكان الذى يكون فيه تيار الجولف استريم خطراً فانه نقطة ملتقى الثلوج والأهوية الباردة التى تهب من جهة الترنو (Terre Neuve) وهذه الثلوج يتكوّن أصلها فى الجبهات الشمالية حيث توجد هناك على حالة هائلة ثم تنفصل بتأثير الحر قطع عظيمة منها وتتحد منبعا التيارات إلى الجنوب كأنها الجزائر وأحيانا تكون مرتفعة عن وجه المياه يكبل عال ومن هنا سميت باسم آيزبرج (Isberg) وهى كلمة ألمانية معناها جبل من الثلج .

ومما رأيته صعبا جدا عمل الملاحين الذى ملأ قوادى شفقة عليهم وقد طرأ بفكرى فى تلك اللحظة أن ألوم نفسى قائلاً لما ما الداعى لتركى أوروبا الجميلة والمخاطرة بالحياة فى هذه الأسفار البعيدة نعم إن الانسان وقت الشدة يجيش نفسه وتطراً عليه هذه الأفكار وما أسرع إلى تذكر أهله وولاته ووطنه . ولقد مررت هذه الخيالات والأفكار على كلبح البصر وشعرت بأن لسانى يردّد كلمات كثيرة قانتبت إليها فإذا هى دعوات وتضرعات إلى الله أن يرجعنا سالمين



ويردنا إلى أصدقاتنا ووطننا العزيز الذي كلما رأيت تقلبات البحر ازداد  
حنيني وشوقى إليه . فأين سماءنا الراقعة وشمسنا الذهبية وهواؤنا العليل  
وأى مسافة شاسعة تحول بيننا وبين مصر مهد المدنية ومنبع العرفان .  
كفى بالإنسان الآن فان شعورى أجّل من أن تحيط بوصفه عابرتك .  
إلى أسمع بعض الراكين معنا يغنون ويعزفون على البيانوفيا أشجع  
قلوبهم أهذا وقت السرور والبحر عابس والبحرة تلعب بنا كالريشة  
في مهب الرياح ولكن سبجان من بيده تصريف الرياح وتسكينها .  
لله الحمد والشكر في هذا المساء أخذ البحر يعتدل وبيننا كما على ظهر  
الباحرة رأينا زميلنا مصطفى بك كأنه يزحف اليانيمشى المويّتا مصفرا  
الوجه محدودب الظهر مرتجف الأعضاء تظهر على وجهه علامات  
الخوف الشديد فأسرعنا إليه لتسأله عمادهاه وعن طول غيابه عنا لأنه  
لم يخرج من جمرته مدة ٥ ٤ ساعة فشرع يقص علينا ما جرى له  
ويصور لنا كيف كانت حالته خلال المدة الشديدة كأبرع مشخص  
يمثل دوره في مسرح التمثيل وقد كنا معجبين بمهارته ووصفه الآلام  
التي اعترته فقال : شعرت بألم شديد برأسي فالتقيت نفسي على سررى  
لعلى أجد في ذلك نغما مما ألمّ بي فلم تزد الحالة الا سوءا أريد  
الصياح فلا أجد لنفسي قوة فسلمت أمرى إلى الله وصرت أكابد

ما أكابد وأذوق من مر العذاب ألوانا حتى جعلت كل ما على  
السرير فوق وحشرت في الجوانب بعض الوسادات لمنع اصطدامي  
بالسائط ولكن ماذا يفيدني وأنا العليل البأس والضعيف اليأس  
فكل حركة كانت تقلبني وكل هزة تكاد تذهب بروحي . حاولت النوم  
فلم أستطع إليه سبيلا فأغضت عيني حتى لا أرى تحرك ما أمامي  
من الأشياء فصارت أذنائي تسمع صوت الأمواج الهائلة  
وقعقة العدد وما زاد شقائي إلا حرمانى لذة الطعام والشراب فاني  
لم أقدر أن أتناول شيئا طول هذه المدة أما اليوم فقد تاب إلى بعض  
قوتي حتى استطعت أن أرتدى ملابسى شيئا فشيئا إلى أن كشف  
الله عني ما تزل بي من كرب فخرجت الآن من الظلمات إلى النور ومن  
الضيق الى السعة . فهذه أنا رُوعه ولما قرب ميعاد العشاء نزلنا الى  
غرفتي وتناولنا ما لذ لنا وطاب ثم افرقنا للراحة والنوم .

( يوم ٦ مايو ) اصبحتنا والبائخة تمخر في عباب البحر بسرعة  
مدهشة والمطري يطل مدرارا والبحر عابس فصرت أسأل من كل  
ضابط عن الحالة فكان جوابهم إن الحالة تَطْمَن فلا الضباب يحرق  
بنا ولا هواء الجنوب يعصف علينا . ولقد وضعت الحواجز التي  
توضع عادة لمنع سقوط الأواني على الموائد وقت القطور فسألت رئيس

السفرين هل البحر هائج حتى تضعوا هذه الحواجز فكان جوابه مقلقا  
لأنه أخذ يبائع قبا نحن فيه . ولقد يتصور البعض أن السياحة  
في المحيط لتبذة ولا يشعر الإنسان بيهجان البحر لكبر البواخر ولكن  
هذه الفكرة غير حقيقية لأنه لا بللبحر أن يتلاعب بأ كبر باخرة كيف  
يشاء وما على المرء إلا أن يتصور اتساع المحيط الهائل ونسبته إلى  
حجم البخرة حتى يحكم بصحة ماقته وما هي إلا العوبة على سطحه .  
إن أسرار الطبيعة هائلة ومدهشة فهما وصل الإنسان من الرقّة  
لا يمكنه أن يحيط بجميعها ولكن البحث وحسب الاستطلاع من مزايا  
الإنسان فتراه محبا لمعرفة ما خفي عليه وفكرى أن تنوير العقول لا يتم  
إلا بالسياحات فلنبا تعلم الإنسان كل شئ وتظهر له الأسرار وما وصل  
إليه أقرانه المتحمدين من الرسوخ في العلم وكثرة المكتشفات والمخترعات  
قبأخذ لنفسه ما حلّله وبذلك تزداد معارفه وترقع مكانته ويكون  
على بينة من الامور .

إن أتعاب السفر تزول إذا استفاد الانسان منها باكتساب  
ما ينقصه من المعارف فان لذة تنقيف العقول لا يعطوها لذة فأكبر  
مرور النفس عند وقوفها على مجهول .

إن الله تعالى خلق الطبيعة في أجمل خلقة وأحسن تكوين فإ

من شئ إلا وكان لوضعه حكمة عظيمة . لقد تأذينا من تيار  
(الجولف استريم) ولكن لولاه لما وجد مخلوق من بنى الإنسان في ايرلندا  
وانجلترا والجزء الشمالى من فرنسا بل كل القسم الشمالى من أوروبا .  
لاحظنا أثناء سفرنا هذا أن المحيط يتغير فى كل وقت فينما نراه  
هادئا يتقلب هائجا وبينما نرى السماء صافية نرى المطر يطل مدرارا  
وبينما الرياح ساكنة تهب دفعة واحدة فلا تبقى ولا تدر . اليوم رأينا  
بانة وجهتها « نيويورك » وهى قريبة منا حتى كأنها هى وسفينةنا  
قطاران يمشيان على طريق حديدى واحد فوجود الضباب يحجب  
النظر ومنه تحصل المصادمات هذا وانت سائر البواخر الداهية إلى  
أمريكا لها طريق واحد وكذلك التى تعود فهذه فى الجنوب وتلك  
فى الشمال .

فما أشد سرور السائحين عند ما تلاقى باخرتهم بانة أخرى فتلتهم  
اذ ذاك كمثل تائه فى ظلام ليل حالكة فى وسط أجمة هائلة فيمن عليه الله  
بعلاقة صديق له فهل يتصور مقابلة أحسن وقعا على النفس من هذه  
المقابلة الجميلة : هنا يشعر الراكب أنه ليس وحيدا فيذهب عنه الخوف  
قليلا ويطمئن قلبه بوجود البانة الأخرى بجانبه واذا حصل لا قدر الله  
خطر قباب الأمل فى النجاة مفتوح لقرب هذه البانة منه .

ففي الساعة العاشرة ونصف عزفت الموسيقى كالعادة وعند الثانية عشرة ونصف أمكننا جميعاً أن نتناول الغداء بحجرة السفرة لتحسن الحظالة وبعد ذلك مشينا قليلا على ظهر البانعة وشعرنا بزوال الأمواج وسكون البحر وسرعة البانعة العظيمة .

وبعد ذلك أرسل إلى القومندان من يرجونى أن أصور معه بالمصور الشمسى (الفوتوغراف) فلم يعنى إلا قبول طلبه لما رأيته من عظيم عنيته بي وضربت موعدا لتلك يوم الثلاثاء (أى غدا الساعة ٥ مساء) . وبينما نحن في الردهة نسمع البيانوات ألتينا الجرائد اليومية وبها أخبار آخر ساعة فوقع نظرى على تصريحات المسيو (جيليوتى) في المجلس عند أخذ رودس بدون مقاومة فأثر عندى هذا الخبر تأثيرا شديدا ولا يمكننى وصف الحزن الشديد الذى اعترانى حينئذ ولو أن حصول ذلك الاغتصاب الجليل كان مستظرا من وقت إلى آخر . ومن رأى أنه من العار ترك هذه الجزر تذهب بدون مدافعة وإلى أفضل ضياع بعض البوارج التى عندنا في سبيل الدفاع عن هذه الحظالة المحزنة وإلا فما الداعى لعدم بيع طرابلس إذا بلغ الإهمال إلى هذا الحد في هذه الجزر الجميلة . حقيقة إني مصرى ولكنى مسلم أولا وشرقى ثانيا فضياع مثل هذه الدرر يحزننى فما أشد آلامى عند

رؤيتي ضياع مجد الشرق وعظمته شيئاً فشيئاً . مرّت على أفكارى هذه الأحوال المظلمة فاسودّت الدنيا في عيني وشعرت بحرج الموقف وجعل اليأس يستولى على نفسي لولا أملى في الله واعتقادي بنقطة الشرفين الذين لا يتركون بلادهم تذهب أمام أعينهم وهم عنها ساهون .

فنتة هذا التأثير جعلتني أقلب في فكري تاريخنا العظيم والأدوار الكبيرة التي شغلناها في المجتمع الإنساني فزاد أملى بالله لأنه هو القادر وحده أن يرجع إلينا مجدنا السابق بمعونته أولاً ثم بجتهادنا وتعاقدنا واتفاق كلمتنا واتحاد وجهتنا فترفع رؤوسنا ويذهب عنا الذل والمسكنة والعار . فصوت الموسيقى في مثل هذه الحالة ليس إلا نغمة محزنة أخذت تذكرني جميع المصائب المحلقة بنا واحدة فواحدة فزادت أشجاني فلم أطلق صبرا على سماعها فأسرعت إلى الخروج حيث أكون منفردا أتأجى الله تعالى في أمرنا وأدعوه أن يوقفنا إلى ما فيه نجاحنا . فكأن القضاء غير المتأهى أخذ يضيق شيئاً فشيئاً ويحصرنى فيه .

تصفحت ثانياً الجريدة فاذا نحن على بعد ٦٧٥ ميلا من مار (امبرواز) القريب من نيويورك وقد قطعنا لغاية اليوم ٣٢٧٧ ميلا

من الطريق وكان أملى الوصول إليه في الساعة السادسة من مساء اليوم وفي التاسعة منه الى أرصفة شركة النوردنشر اذا كانم تصادف هذه العوائق التي أخرتنا ومع ذلك اننا نحمد الله كثيرا لوصولنا إلى هذه البقعة سالمين رغما مما قاسيناه وتكبدهاه من عصف الرياح وتقلبات البحر وتغيرات الجوز . ذلك الذي جعلني أكره السياحات الطويلة في البحار .

أخذ الركاب مجهزون أمتعتهم لتأهيلهم أن يصلوا إلى نيويورك في صباح الغد ولكن ليس الأمر يدهم بل بيد الله .  
إني لست متحققا من الوصول غدا ولا يمكنني الثقة بالشئ قبل وقوعه خصوصا في الأسفار ولذا لا أرتاح إلا إن وصلت إلى نيويورك ونزلت في النزل فتي رأيت اليابسة ووضعت قدمي عليها أقول حقيقة تم السفر في البحر وأحمد السرى .

قبل حلول ميعاد العشاء رأينا على ظهر البخرة عددا عظيما من الملاحين فظننا أنه ربما كان الغرض الاستعداد للتمرن على طرائق إطفاء الحريق أو طرائق الإسراع في تجهيز أدوات النجاة ولكن لا هذه ولا تلك بل كان الغرض إعداد مرقص للسائحين والسائحات الذين طفق السرور على وجوههم فأرادوا أن يرقصوا طريا ويتمايلوا

جدلاً فرفعت الكراسي وأعدّ محلّ على ظهر البانّة لذلك ثم أحضرت جملة من الأعلام المختلفة الألوان وعلقت بشكل بديع يخللها مصابيح جميلة متلاثلة بالأتوار الكهربائية وقد أحسنوا تنظيم هذا المحل حتى صار يشبه سرادقاً مقفلاً من كل جهة . فلم يمكنني أن أتصوّر لمّ هذا السرور مع أن الزمن الباقي لوصولنا هو ٢٤ ساعة ونحن مازلنا في عرض البحر ولسنا بعيدين عن الأخطار . أمّا كفاهم الأيام الماضية التي كانوا ترقص فيها بالرغم من كثرة اهتزاز البانّة من هياج البحر . كانت الأولى أن يتהלوا إلى الله ليتم نعمته عليهم ويوصلهم إلى نيويورك سالمين . أما أنا فنزلت إلى غرقي وتناولت مع رفيق العشاء وقد أرسل إلى القومندان دقّته الخاص بتدوين أسماء الذين سافروا معه لأكتب فيه ما رأيت منه ليكون تذكاراً عنده . فكُتبت فيه باللغة العربية أني أشكره لحسن عنايته بنا ولما لقيناه من جميع أعوانه من الاعتناء الزائد بنا ودعوت له أن يكافئه الله على خدماته الجليلة لنا وللذين سافروا معه ووضعت على هذا اسمي وقد وقّع على ذلك أيضاً رفيقاي خيرى ومصطفى . وبعد ذلك لعبت دوراً من الدومينو ثم أوى كل منا إلى مضجعه ففصلت لله ودعوته طالباً حسن الختام .



(يوم الثلاثاء ٧ مايو) - هينا من فومنا على صغير البخرة المزج فا  
لبت أن علمت أننا محاطون بالضباب وهذا ما كان يتقصنا من عجائب  
الاطلاطيق وتقلباته التي ظلما حدثت عنها في مواضع مختلفة من  
رحلتي هذه فكان المحيط شق عليه أن لا يرى منا منظرا من مناظره  
الخفيفة فأسرعت وارتدت ملابسي وصعدت على ظهر البخرة  
فوجدت أنه يستحيل أن يرى الانسان من أمامه وشممت رائحة  
السماك التي في بعض الأحيان كنت أشمها بمنيل الروضة بمصر  
وقت قصان النيل ولكن هنا هذه الرائحة تأتي من السمك المشهور  
وجوده قريبا من نيويورك .

فشعرت بمقدار الخطر المحدق بنا - إن شدة الرياح وتلاطم الأمواج  
واهتزاز البخرة أخفّ عندى من وجود هذا الضباب وإننا محمد الله  
أن لم يأت هذا اليوم العصيب إلا في آخر أيام السفر لا قبل الوصول  
بثلاثة أيام كما أخبرنا - ان رؤية الضباب تؤثر في الأعصاب وتقضب  
الصدر . والغريب أن البخرة تصغر كل دقيقة ولكننا كان يخيل إلينا  
أن تلك الدقيقة التي بين كل صغير وآخر هي خمس دقائق ولذا أخرجتنا  
ساعتنا لنعلم المدة بين كل صغيرين فوجدناها دقيقة وعلينا أن تقديرنا  
الأول كان من ناحية الوهم الذي سلطته ساعة الشدة على عقولنا

ولا عجب فما أطول أوقات الشدائد على متطرى اضراجها .  
 إنه بمناسبة وجود الضباب بين لى القومندان الاختراع الجليل  
 الذى ينبىء عن قرب بلخرة فى وقت لا يمكن بالنظر ولا بأعظم نظارة  
 أن تشاهدها وهذا الاختراع عبارة عن الأجراس المنبثة بوجود بواخر  
 قريبة . فى مقدمة البلخرة يوجد جرسان من هذا الاختراع ، واحد  
 من جهة اليمين ، والآخر من جهة الشمال ، وعند ما تقترب أى بلخرة  
 يدق الجرس الذى من جهة هذه البلخرة . وبهذه الطريقة يعرف  
 القومندان من أى جهة يأتى الخطر فيتعد عنه وعلى ما قبل لى إن  
 هذه الأجراس تنبىء من بعد ميلين وقد ركبت فى باخرتنا من منذ  
 أربع سنوات .

وقد أخبرت أننا صمّر على سفينة واقفة فى عرض البحر وهى  
 مستعملة كمنار ومنها تعلم المسافة الباقية لنا وعلى ما علمت يلزمنا  
 إحدى عشرة ساعة منها للوصول إلى نيويورك .

نحن الآن فى الساعة ٩ صباحا فلا يمكننا أن نرى هذه البلخرة  
 ( المنار ) لشدة الضباب ولكننا كما توكل سماع صغيرها ( لأنها تصفر  
 أيضا مثل باخرتنا وقت الضباب ) والذى كان ينجفنا كثيرا هو قيام  
 بواخر البوستة فى ظهر هذا اليوم من نيويورك ويبلغ عددها العشرين

فهذا العدد العظيم سنباده في طريقنا . ولما كان الجزء الباقي من الطريق تطرقه البواخر الغادية والرائحة فالحظر عظيم لوجود هذا الضباب والإنسان لا يشعر بالخطر الا اذا كان مُحَدِّقاً به .

جاءت الساعة العاشرة والحق لم يزل على حاله ومرة الباحة أنقصت إلى ربع السرعة الأصلية ولم نغمر على الباحة ( المئزر ) في هذا اليوم لم نشاهد أحدا يستريح على ظهر الباحة على حسب العادة خوفاً من الرطوبة فنذهب إلى الردهة لسماع صبية كانت تعزف على البيانو ومكثنا الى نحو الساعة الثانية حتى أخذ النور يضيء والضباب يتقشع فخرجنا إلى ظهر الباحة لترى ماذا تم فاذا نحن أمام هذه الباحة ( المئزر ) فسررنا جداً وابتدأ الاطمئنان يدخل قلوبنا وأطلق للباحة سرعتها الأصلية فلم يبق لنا إلا مسافة احدى عشرة ساعة للوصول إلى نيويورك أى كالمسافة التي بين الاسكندرية ورودرس . وبعد أن تناولنا الغداء لعبت أيضا دورا من (الدومانه) وفي نحو الساعة الخامسة حضر عندنا المصور يدعونا أن نذهب إلى القومندان للتصوير فذهبت اليه مع الصباغ خيري فوجدناه في انتظارنا باشا مسرورا هادئا كعادته فصرت أصور له مقدار نخوفنا مما كفا فيه فأجابتني إن الأجراس المنبهة أنبأته بقرب باحة المئزر على بعد سبعة

أميال وقد سمع صغيرها على بعد خمسة أميال فنهأته بدقة حسابيه ومقدرته العظيمة وكثرة معارفه وبعد أن فرغنا من التصوير دخلنا معه إلى غرفته فصار يشرح لنا آلة أخرى بواسطتها يعرف عمق ماء البحر وهي آلة غير تلك الآلة المستعملة في كل البواخر التي هي حبل طويل ذي عقد طول ما بين كل عقدة وأخرى معلوم وفي منتهى هذا الحبل قطعة ثقيلة من الرصاص فتلقى هذه القطعة بقوة فتغوص في الماء فعدد العقدات الفاتئة يدل على مقدار العمق ولكن هذه الآلة لا تصلح الا وقت السير البطيء وهي مستعملة كثيرا في المراكب الحربية أما هذه الآلة الجديدة فهي مبينة للتي شرحتها وهي صالحة لاظهار العمق في وقت سير الباطنة بأكبر سرعتها (أي ٢٣ ميلا في الساعة) ولأهميتها أصفها للقارئ بالتقريب :

في مؤخر الباطنة أسطوانة ملفوف عليها حبل دقيق من الصلب طويل وفي نهايته قطعة عظيمة ثقيلة من الرصاص بينهما وبين الحبل أنبوبة مقلدة من الجهة العليا ومن الجهة السفلى يمكن فتحها فتوضع داخل هذه الأنبوبة أنبوبة أخرى من الزجاج ملونة بلون أحمر زول سريعاً بالماء ثم تقفل الأنبوبة الحديدية وفي أسفلها توجد فتحات صغيرة لا مكان دخول الماء فيها وهي محكمة حتى إن الهواء الموجود

بالأنبوبة الحديدية لا يمكن خروجه وبعد ذلك يبلل الجميع في البحر بواسطة ادارة الأسطوانة التي يقف بجانبها أحد الضباط ويده عصا دقيقة من الحديد فهذه الآلة تسقط عمودية في قاع البحر وحيث إن الهواء الذى فى الأنبوبة لا يمكنه الخروج فكلما نزلت الآلة فى الماء ازداد ضغط الماء على الهواء المحبوس فى الأنبوبة فيتمصص جمعه من هذا الضغط ولا يزال كذلك الى أن يشعر الضابط بوصول قطعة الرصاص الى قاع البحر وهذا يظهر له من حالة الحبل المصنوع من الصلب فيوقف بعصاه الحديدية الإدارة وبعد ذلك تسحب الى الأعلى فللماء الذى دخل فى الأنبوبة الحديدية بواسطة الضغط أزال جزءاً من اللون الأحمر الملوثة به الأنبوبة الزجاجية ومعلوم عندهم طول الأنبوبة الزجاجية فيقاس الباقى منها أى الذى لم يذهب لونه وبحساب خاص عندهم يمكنهم معرفة عمق البحر أما مخترع هذه الآلة المفيدة فيدعى (طومسون) وقد كان يعمل هذا المقاس كل ربع ساعة فى وقت الضباب حتى يتأكد القومندان من الموقع الذى تمر منه البائرة .

جاء المساء وذهبنا للعشاء واذا كل الراكين يسرعون الى الخارج فقمنا لنرى ماذا جد واذا نحن أمام منار ( امبرواز ) القوى القائم

فى أول مدخل بوغاز نيويورك وبعد أن وقفنا قليلا للاطلاع عدنا  
لتعم عشاءنا ثم افرقنا على أن تكون على استعداد تام غدا الساعة  
٦ صباحا .

رست البخرة على محل الحجر الصمغى وحيث إن وصولها كان ليلا  
فقد أجلت عيادة الطيب للغد الساعة ٦ ونصف صباحا لعدم  
وجوده . فمت مبكرا الساعة ٥ صباحا (يوم الأربعاء ٨ مايو)  
وارتديت ملابسى فكنت على استعداد بعد نصف ساعة من قيامى  
من النوم وفى نحو الساعة ٧ و ٣٠ دقيقة نحتولنا للدخول فى الميناء  
ويلزمنا ٣٠ دقيقة لنصل الى الرصيف المخصص للشركة وقد لاحظت  
أن عمال المكس كانوا فى البخرة للقيام بواجبتهم . أما مخبرو الجرائد  
فلا تسل عن عددهم فلنهم أتوا أيضا ليتسّموا أخبار القادمين ويملّوا  
بها أعمالهم جرائدهم الكبيرة وهم يتسابقون الى ذلك فيتدثون بالاطلاع  
على كشف أسماء الراكين فى البخرة واذا وجدوا اسما بينهم من أسماء  
المشهورين يجتهدون فى مقابلة صاحبه وقد يمرون على غرف البخرة  
التى من الدرجة الأولى ليعرفوا من بها ولهم طرق غريبة فى استنشاق  
الأخبار من الملاحين أو من الخدم أو من الضباط أو من المسافرين  
أنفسهم فاذا علموا أن القادم من أرباب المصارف المشهورة يسألونه

عن قصده وهل له مشروع مالى جديد وما هي آراؤه في الحالة المالية في السنة الحاضرة واذا كان من كبار أمة يسألونه عن سبب زيارته لأمريكا ثم يستدرجونه بحيلهم في الكلام ويأخذون عما يدور بينهم بعض مذكرات ويتوسعون فيها بعد ذلك ويدرجونها بكل سرعة في جرائدهم . ولإني أرى أنهم مضطرون إلى عملهم هذا وإلا فما الذى يملأ هذه الجرائد العظيمة التى لا تقل احداها عن ثمان صفحات . فكان من نصيبي أحد هؤلاء المخبرين وهو شيخ عتيق في صناعته بارع فيها وهو مخبر جريدة (ورلد World) المشهورة بنيويورك ولعلنى أن مثل هؤلاء المخبرين يلزم الاحتراس من لسانهم فلم أرده خائبا بل قابلته وتحدثت معه على قدر ما استطاع من الاختصار وبعد ذلك طلبت أنمر أمام مفتش المهاجرين وكان يسلم إلى كل واحد منا ورقة حمراء صغيرة بها اسمه ولقبه وبعض إيضاحات أخرى وهى مجعولة لمعرفة شخصية القادم فيقتم السائح هذه الورقة لأحد المستخدمين المنوطين بذلك فيسأله عن اسمه وعن المدة التى سيقمها في أمريكا ويطبق أجوبته على الورقة التى كتبت أولا عند النزول في البصرة وهى التى تسمى جواز (ساجورتا) .

هنا يلزمنى أن أقول شيئا عن هذه الورقة إن الأسئلة التى بها كثيرة

جدا منها ما هو مستعمل في جميع جوازات بسابورتات العالم ومنها ما لم أره إلا في بلاد أمريكا كالأسئلة الآتية : هل أنت متزوج بأكثر من واحدة ؟ هل سبق أن أصبت بمرض معد وما هو ؟ ما هي حالة صحتك الآن ؟ هل أنت كامل الخلقة ولا توجد بك عاهات ؟ ما سبب مجيئك الى أمريكا وما هي المدة التي ستمكثها فيها ؟ ما هو مقدار ثروتك ؟ ما هو الموجود معك الآن من النقود ؟ أى جهة تقصد الإقامة فيها ؟ وهكذا مما لا أتذكره لكثرة فتأمل أيها القارئ مقدار هذه الشئمة ولو كان مثل هذا البساورت في بلادنا لاحتجت علينا الأفكار قاتل الله الأغراض .

ذهبنا في صحبة رئيس الخدم إلى رئيس ديوان المكس فعرفنا أنه وصلته أوامر من مركز الراسة التابع لها بواشنطن بأن لا يفتح حقائبنا فشكره على ذلك وأبدت له مرورى من هذه المعاملة الحسنة . وفي أثناء ذلك كانت البخرة ترسو رويداً رويداً على الرصيف وقد شاهدنا كثيراً من الرجال والسيدات والأطفال ويدهم جميعاً الأعلام المختلفة ينظرون القادمين من الأتارب والأحباء فكانت ترى علامات البشر والسرور بحسن القدوم بادية عليهم حتى إن بعض السيدات كنّ يرسلن القبلات من بعيد الى أقاربهن وأصحابهن . رست البخرة



فاشتتت المزاحمة على الخروج أما نحن فكاننا منفصلين عن هذا الجمع  
لنرى مدخل البوغاز الجميل ولا عجب فإنه يستحق الالتفات إليه  
والإعجاب به ورغمنا من انهيار الأمطار كان المنتظر بديها جداً فالبوغاز  
الراسية أو الذاهبة أو القادمة كانت لا تعد ولا تحصى كذلك الأرضفة  
التسعة التابعة لشركات مختلفة أما المنزل الشائخة ذات العشرات من  
الأدوار المصنوعة من الحديد فكانت تستلفت أنظارنا فتعجب من  
عظمتها وبدأنا نشعر بكبر هذه البلاد ووصولها إلى الغاية القصوى  
في صناعة الحديد وقد دلتنا ذلك على أن هذا المعدن رخيص في هذه  
البلاد حتى إنه يصنع منه كل شيء . وبعد ذلك نزلنا تقابل القومندان  
فودعته مكررا الشكر .

ولما أردنا التزول بعد أن هدأت الحالة قابلنا أحد رجال كوك وهو  
شاب السائق تظهر عليه علامات الذكاء والسرعة في تأدية وظيفته  
فأخبرنا أنه قادم لخدمتنا مأمور بالقيام بكل حاجتنا فأوصلنا إلى سيارة  
أعدها لنا في طريق كان يسابق إليه غيرو الجرائد فكم وكروا هذا  
المسكين وكم توعده بالشر لعدم مساعدتهم في إيقافنا لمخادتهم . ولما  
ركبنا السيارة أعطى اسم التزل مرأ للسائق حتى لا يسمعه هؤلاء  
المخبرون واستأذن منا في إحضار المتاع وطمحنا .

أما نحن فكانا لانعرف أين نذهب فتركنا أمرنا للسائق الذى أسرع فى السير إلى أن وصل إلى بانةرة معتة للتعنية من الشاطئ الذى نحن فيه وهو يسمى (ن . ٠ جرس N. Gersay) إلى الشاطئ الآخر الواقعة عليه نيويورك وكان أمامنا جملة من العربات والسيارات فأخذت كل عربة مكانها فى البانةرة ونحن أخذنا مكاننا أيضا بسيارتنا وقد لاحظنا أنه يوجد ثمان بوانر للتعنية الى جهات مختلفة من نيويورك أما نحن فأخذنا البانةرة التى توصلنا الى طريق نمرة ٣٢ وهنا يمكن أن أذكر أن الأمريكين لهم طريقة جديدة استحسنتها فى ترتيب شوارعهم وهى أنهم يخططونها كلها موازيا بعضها لبعض وليس لها أسماء بل نمرة . فمدينة نيويورك يخطرقها ١٦٢ شارعا كلها يوازي بعضها بعضا وهذا غير نيويورك القديمة الباقية على حالتها فشوارعها لاتزال تسمى بأسمائها القديمة .

مررنا أثناء سيرنا على جملة من الطرق وقد لاحظنا أنها ليست بالقبة الغاية فى النظافة بل هى كطرق سائر المياني فى النظافة ولكن الذى يستلفت النظر هو شدة الزحام وعدد العربات الكبيرة المحملة بضائع التى تجرها خيول عظيمة الخلقة من كل جنس وعلى ما أخبرنا أن نيويورك جامعة من جميع أجناس البشر وكذلك الحيوانات والعربات

والسيارات الاتية من بلاد مختلفة . أما منازلها ودكا كينها فلنراها على حسب الترتيب الانجليزى ومن كثرة دخان المعامل والمدخن يراها الإنسان سوداء وهى على الجملة ليست نظافتها كما يرام .  
وصلنا إلى زُل (بلمونت Belmont) فطلبُ لنا عُرفًا فأُعطيَ لنا في الدور الثالث عشر وصعدنا اليها وقربنا من منافذها فشاهدنا المنظر بديعاً جداً حتى إننا كنا نرى الأشخاص كالنمل من كثرة الارتفاع .  
كذلك كنا نتصور الترموايات العديدة كأنها اللعب الصغيرة التى تكون في أيدي الأطفال ولكننا لعدم تعودنا مثل هذه الأمكنة المرتفعة كنا نستصعب وجودنا فيها لا سيما أن النجاة لا تكون متيسرة لمن فيها اذا حدث حرق كالتحريب من سطح الأرض ففضلت أن أختار غرفة في الدور الأعلى ارتفاعاً من الذى فيه عُرفنا وقد طلبت ذلك وَقُلْنَا إلى الدور العاشر ولكن حركة الترموايات الكبيرة مقلقة جداً فذهمت السبب في اعطائنا الأدوار المرتفعة وعلمت أن فكرة الحريق يلزم إبعادها عن خيالنا .

إن عدد سكان نيويورك يبلغ ثلاثة ملايين نفس وهى تعد بعد لوندرة أكبر مدينة تجارية في العالم وهى في الحقيقة عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية ولو أن واشنطن هى مركز الحكومة الرسمى

وعاصمتها ولكن عددا هائلا مثل سكان مدينة كنيويورك محتاج إلى بضائع وأشياء أكثر من غيرها ولذا ترد التجارة إليها من كل صوب بفكرة أنها تروج وتباع

لغاية ظهر هذا اليوم لم ننقل من التزل وكنا ننظر متاعنا وبعد حضوره أبدلنا ماعلينا من الملابس وتزلنا إلى قاعة الاستقبال لمقابلة المسيو يانج (Young) مدير محل كوك في نيويورك فأريته برنامج سياحتنا فقهمت منه أنه يعلم ذلك قبل مجيئنا فعرض على أن يدخل بعض تجوير فيه .

لما حان موعد الغداء ذهبنا إلى غرفة الأكل ولما كان تزل بلونت من أحسن فنادق نيويورك كنا نتظر أن نرى فيه ما يروقنا ولكن خاب ظننا ولم يعجبنا خدامه وإلى أرى فرقا عظيما بين فنادق أوروبا الكبيرة وبين هذه في النظام ووضع الغرف والترتيب العام والنظافة .

هناكل شئ كبير هائل : المنازل بها فوق الخمسين طبقة وعدد غرفها يزيد عن الألف ولكنها صغيرة تشبه جُجر البواخر . نعم إن في بعضها عشر مصاعد ( اسانسورات ) للصعود والتزول ولكن ما الفائدة إذا كان النظام غير كامل . ومن الغريب في أمر هذه الفنادق أن هناك

إذنا عاما بالخروج والدخول والجلوس في ردهاتها وصالواتها فترى أناسا من كل الطبقات في ردهاتها يجلس أى إنسان في المحل الذى يريده يدخل كيف يشاء ويجزر خطاباته ويضرب مواعيد مقابلة فيها لأصحابه وهكذا وقد عرفنا أن هذا التساهل إنما هو لايهام الوافدين من أوروبا أو من بلاد أجنبية أخرى أن حركة هذا الفندق عظيمة والإقبال عليه كثير وهذا من باب الإعلان والنشر فتسمع من أصحابه مثلا أن عدد الوافدين اليه لا يقل عن ٢٠٠٠ نفس في كل يوم . صدقوا ولكن هل هذا العدد العظيم يقيم فيه ؟ لا -

إذا هذه الطريقة هي من ضمن طرق الاعلانات التي برع فيها الأمريكيون وقد لاحظنا أنه اذا حضر زائر وأراد مقابلة أى شخص بالفندق فما عليه الا أن يذكر اسمه واسم من يريد مقابله الى مركز الإدارة الذى يعطى هذين الاسمين الى أحد الغلمان فيدور في الردهات متاديا بهذين الاسمين نخلل إلينا أننا في إحدى الاسواق أو في أحد المحال التجارية التي يباع فيها بالمرزاد العلنى .

ان السماء كانت تمطر ولكني لم أرد أن أطوى سجل يومى بدون أن أرى شيئا جديدا فطلبت من المسيو بانج مدير محل كوك ارشاداته فإشار على أن تمتطي سيارة ونذهب الى الرياض العامة في أعلى البلد

ثم تزور الأماكن العظيمة المشيدة في نيويورك فواقفناه على هذه الفكرة ورجوته أن يأمر لنا بإعداد سيارة (ليموزين) ويحدد الأجرة مقدما ويزود السائق بما يلزم من المعلومات وقد حددنا ميعاد الاستراحة الساعة الثالثة بعد الظهر - هنا كل شيء غال ولا يسمع الانسان إلا الدولارات وأجرة السيارة في الساعة الواحدة ٥ دولارات أي خمسة وعشرون فرنكا .

صعدنا إلى غرفنا لتستريح قليلا حتى يأتي ميعاد الاستراحة فلم أتمكن من ذلك لوجود تليفون يجعري ورغبة الكثيرين من غجري الجرائد وأصحابها وغيرهم في مقابلتي وان سكك جرس التليفون كان يأتي أحد الخدم حاملا بطاقة يطلب صاحبها مقابلة وهكذا الى أن وردنا أخيرا ظرفان أحدهما يحتوي على رسالة من كاتم أسرار جمعية الاتحاد السوري بنويورك بإمضاء عباس أبي شقرة والآخر يحتوي على بطاقة المسير قيصر صباغ ففضي الوقت ولم أذق للراحة طعما وأتت الساعة الثالثة وإذا جرس التليفون يدق وقائل يقول لي إن السيارة في انتظاركم فأسرعنا بالتزول بواسطة المصعد (الأسانسور) الذي يلزمي أن أصفه قليلا ليعلم القارئ مقدار الصعوبات التي تكبدناها . ان هذا المصعد يهبط بالانسان بسرعة رائعة تذهب بالعقل وتؤثر في الأعصاب كذلك

في صعوده فانه يرتفع دفعة واحدة فيهتز الراكب اهتزازا شديدا يسبب في بعض الأحيان فقد الموازنة فيا لله اذا تكرر الصعود والهبوط جملة مرار . وبالاختصار ركبت السيارة وذهبت الى مدير محل كوك بشارع برودوى (Broadway) وهو أطول شارع بنيويورك طوله نحو ١٣ كيلو مترا فوجدنا بارسال دليل يرشدنا إلى كل ما نريده .

انى ممن يحبون الهدوء والسكون ولذا أعشق جمال الطبيعة ، وكثرة الحركات في المدن العظيمة لانروقى ؛ فإأراه الآن في نيويورك من الحركة المدهشة جعلنى أسأم الإقامة بها وإنى أشعر بنفسي كأنما وضعت في مصفحة اسطوانة جوفاء من الداخل والخارج ومعى جملة من قطع الحديد وقذف بى في شارع منخفض فصرت أتدحرج ولا قوة لى أن أمنع هذا السير السريع وأتخلص مما أنا فيه .

عدنا من محل كوك لتتم استراضتنا فذهبتا من الشارع نمرة ٥ وهو أجمل شارع بنيويورك به أعظم وأكبر المحال التجارية إلى الستراى بارك (Central Park) وهو متنزه جميل في وسط المدينة كمنزله (هايد بارك) بلوندره ومنه الى شاطئ نهر (الهدسون) الذى أعجبتى جدًا المناظر الجميلة التى به خصوصا المنازل الخصومية فانها مشيدة تشيدا يقتاد أعنة الحدق اليها ولم تقطع من هذا الشاطئ ٤ كيلو مترات حتى رأينا

تمثال الخنزير جرائت فاستمرتنا ونحن مسرورون بهذه الاستراحة اللطيفة الى واشنطن برك وهو مستراض آخر وعلى رهوة منه مدرسة العميان والصم والبكم . أما الحسور وعظمتها ودقة صنعها وارتفاعها وطولها فلا تسلي عنها . مذهشة وكثيرة ومن أحسنها جسر واشنطن . هذا وقد رأينا أثناء سيرنا بنايات هائلة ومدارس عديدة وقد ألفت نظركم كبر الجامعة الأميركية وحسن موقعها وجمال بنائها ولكن لا عجب من ذلك اذ أننا في بلاد المليارات والمشهور عن أغنياء أمريكا الفيرة الشديدة والمنافسة حتى في الهبات العلمية وبما أن جامعتهم حديثة بالنسبة لباقي جامعات الأمم الأوربية لا بدع أن اختاروا من كل جامعة مارأوه جميلا ومفيدا ووضعوه في جامعتهم ولا بد من أن تكون أرقى بكثير من أشباهها بأوروبا وغيرها ولا يخفى أن الذهب الوهاج يسهل الصعوبات ويجعل كل شئ ممكنا فبنوهم الهائلة يحضرون الأساتذة الماهرين والمخترعين المشهورين لأنهم لا يرضون بدفع أجور عالية تحبب المجتهدين فيهم .

عدنا إلى الفندق في الساعة السادسة مساء مسرورين من كل ما رأيناه ولقد استغربنا كثيرا لقللة رجال البوليس خصوصا في الأتحاء المتطرفة ولا بد أن نيويورك لا تخلو من قطائع الطرق والصوص



كسائر المدن الكبيرة - ولما دخلت غرقى وجدت فيها باقة من الورد  
الأحمر الجميل مكللة بشريط أحمر من الحرير مكتوب عليه بالقصب  
جمل الترحيب بحضورنا من نادى السوريين بنيويورك .  
تناولنا العشاء وافترقنا للنوم طلبا للراحة مما لحقنا من التعب وفي  
صباح الخميس ( ٩ مايو الساعة ٩ و ٣٠ دقيقة ) حضر عندنا المسيو  
يانج ومعه الدليل فنصحنا أن نذهب إلى المدينة القديمة لمعرفة الفرق  
بينها وبين الجديدة ثم إلى البورصة وإلى مركز التجارة قبل انمشورته فأمر  
الدليل أن يخاطب أحد سمامرة البورصة تليفونيا يرجوه أن ينتظرنا  
ليأخذنا معه إلى البورصة التي لا يمكن زيارتها إلا بواسطة أحد سمامرتها  
لأنه ألقيت من مدة قبلة مفرقة بيد أحد القوضيين في داخلها  
ومن وقتها حصل التشديد في قبول دخول غير المعروفين . فافترقنا على  
أن يعود المسيو يانج بعد الظهر وركبنا سيارة للذهاب إلى الأماكن التي  
ذكرها لنا وفي الطريق صادفنا زحاما شديدا ولا يمكن الانسان أن  
يتصور عدد المشاة وعدد العربات المختلفة الأنواع وإلى لا أذكر  
زحاما يشابه هذا الازدحام إلا في بعض الأحياء الكبيرة بلوندره .  
مررنا في الطريق على المكتبة التي أهدي أرضها المستر استور أحد  
أصحاب المليارات وقد قدر ثمن تلك الأرض بمبلغ ٢٠٠٠٠٠ جنيه

أما بناؤها العظيم فقد تكفل به المستر كارينجى من أكابر المالىين  
 فتركها واستمررتنا فى طريقنا الى أن وصلنا الى المباني العظيمة  
 (كاللاديسون سكوير) و (ساحة الاتحاد Place de l'Union) وقوس  
 النصر لجرورج واشنطن وبرودوى (Broadway) وقربنا من  
 البورصة وما كنا نرى على يميننا وشمالنا وأمامنا الا مباني هائلة مركبة  
 من ٤٠ الى ٥٠ طبقة وأغلبها فيه شركات التأمين وأكبر المحال  
 التجارية وأعظم المصارف . ومن دلائل الحيل التى برع فيها أهل  
 تلك البلاد أن أصحاب البيوت ذات الأدوار الكثيرة يجتهدون  
 فى اختيار أشهر موقع ويبنون منازلهم فيه بجوار المنازل الصغيرة حتى  
 يظهر الفرق بينهم وبين الآخرين فوقتنا أمام أحد المصارف وذهب  
 الدليل لاستحضار من سيدخلنا البورصة ولم يغيب عنا الا قليلا  
 وحضر معه رجل فى من الشىخوخة فعرفنا بنفسه وأخبرنا أنه صديق  
 المستر لويج الذى كان قاضيا عندنا فى المحاكم المختلطة بمصر وركب معنا  
 الى وُل استريت (Wall Street) فوقتنا أمام البورصة ورأينا على بعد  
 بضعة أمصار منها زحاما شديدا فاذا هو مجمع السامرة الفقراء الذين  
 يبيعون بعض أوراق على قدر حالهم وقد علمنا أنه لا يمكن أن يعد  
 سمسارا فى البورصة الا من كان مساهما فيها بمبلغ لا يقل عن ألفى جنيه

فدخلنا فيها وصعدنا بالمصعد الى الدور الثاني فاحترقنا طرقة ودخلنا من باب أوصلنا الى طنف (بلكون) يُطلُّ على ساحة عظيمة الاتساع مملوءة من المخلوقات فلا يرى الانسان الا رجالا تموج في هذه الساحة وأوراقا صغيرة كاسية وجه الأرض وغللانا مرتبة ملابس مخصوصة للبورصة تجرى ويدها أوراق لتوصلها الى أشخاص ومكتبا كبيرا للتغرافات ولوحيتين كبيرتين احدهما على اليمين والاخرى على الشمال تظهر منهما نمر السامرة المطولين والذين أعطوا عطاءً وبالجمله ان هذه البورصة تشبه خلايا النحل من كثرة العالم والجلبة التي فيها وفي أثناء ذلك حضر شريك الذي كان معنا وسلم علينا وبعد ذلك خرجنا وكلنا يعجب من هذه الحالة وشكرنا من أدخلنا .

ذهبنا بعد ذلك إلى محل ماكينات سنجر وإذا هو بناء مرتفع جداً عدد طبقاته ٤٢ فدفعنا أجرة الدخول وقدرها ٥٠ سنس (١٠ قروش) عن كل شخص وصعدنا الى أعلى دور في هذا البناء فانكشف أمامنا المنظر العام لمدينة نيويورك لكن مما أسفنا له أن البحر كان غائبا مكفهراً والأمطار تغطي مدرارا ولولا ذلك لملأنا أعينا من ذلك المنظر البديع والشمس تسطع على رؤوس هذه الجبال التي ابتناها الانسان ليسكن فيها ويجعلها لنفسه مأوى ومع ذلك لم نحرم

من رؤية جسر (بروكليس) ولا جزيرة المهاجرين ولا التكنات الحربية ولا العدد العظيم من الأرصفة التي من ضمنها الرصيف الذي رست عليه بانهرتنا . وبالجملة أمكننا أن نرى المدينة وأطرافها المتسعة وشوارعها المتوازية التي يقطع بعضها بعضا فرسمت تلك الرؤية في خيالنا منظرًا بديعًا جدًا . ربما يظن القارئ أن الاثنين والأربعين طبقة مملوءة مكينات ولكن لا . ان هذه العمارة ملك للمسيو سنجر له فيها محال على قدر احتياجه والباقي مؤجر ليكون مكاتب لأشخاص آخرين .

وقد سبق أن شرحت للقراء كثرة افتتاح الأميريكين في طرق الاعلان والنشر . وما بنى المسيو سنجر هذا البناء العظيم المرتفع إلا ليوجه الأنظار اليه وإلى تجارته . وعند نزولنا أعطيت لنا رسوم نيويورك على سبيل التذكار .

وصلنا إلى الفندق قبيل الظهر فأسرعنا لتناول الغداء لأننا كنا حددنا ميعادًا للتحاوجه قصير صباغ الساعة ٢ و ٣ دقيقة بعد الظهر وميعاد آخر لبعض أعضاء نادى الاتحاد السورى الساعة ٣ فعند الساعة الثانية وربع حضر الأول فوجدته لطيفا وهنأته لنجاحه في أعماله حيث إنه يملك ويدير محلا تجاريا للتفصيل والحياطة من أكبر المحلات بنيويورك ولا شك أن شرقيا يصل الى درجته وينجح

بين ثلاثة ملايين من الأتفس في بلاد هو غريب عنها يستحق المدح  
والثناء والفضل . بقلنا نتمجذب أطراف الحديث عن مدينة نيويورك  
ولكننا لم ننس أثناء الكلام أن نذكر بلادنا الشرقية العزيزة - لم يمض  
علينا وقت كبير حتى حضر أحد الخدم ومعه بطاقة أحد تجار اليونان  
بالإسكندرية فالآداب تقضى على بمقابلته خصوصاً لاهتمامه وإظهار  
ميله إلى فقائلته وجلس معي قليلاً وانصرف بعد ما علمت منه أنه  
يتاجر في أمريكا في بذر القطن المصرى الذى يسمى نوبارياً فشجعت  
على ذلك وقلت له إننا نشتري جملة أشياء من الخارج فيلزمنا أن نبيع  
للبلاد الأخرى بعض حاصلاتنا حتى لا نخرم من المكسب ولو كان  
قليلاً . إن البلاد العظيمة ما وصلت إلى درجتها إلا ببجتهاد سكانها  
ولا تعد غنية الا بثروة أفرادها . فياحبذا لو ألهم الله الأمم الشرقية  
الالتفات إلى موارد الثروة ومزاحمة الأمم الغربية في كل ما يعود عليها  
بالسعادة والهناء هذا ما أتمناه للشرق وفقنا الله إلى ما فيه صلاحنا  
وفلاحنا .

أتت الساعة الثالثة وحضرت من السوريين من أعضاء الاتحاد  
السورى بينهم طيب وصحافى والأربعة الباقون تجار فكانت حلقة  
عربية وأطلقنا لأفئتنا عنان النطق بلغتنا الشريفة مظهرها لهم سرورى

من إهدائهم لى باقة الأزهار الجميلة ثم دار بيننا الحديث فى جملة موضوعات مختلفة وقد علمت منهم أن لهم ست جرائد تطبع باللغة العربية فزادنى هذا الخبير سرورا لانتشار هذه الجرائد فى أمريكا لعلى أنها واسطة التعارف والارتباط بين أبناء العرب الكرام ولا بد أنها تأتى بمجداث وأخبار الشرق فلا ينسى المهاجرون أوطنهم ويكونون دائما على علم بما وصلت اليه بلادهم من السعادة أو الشقاء وبهذه المناسبة رجوتهم أن يحافظوا على جنسيتهم وأن لا يعترفوا بمدنية وارتقاء وثروة أمريكا فيعملوا اليها ويحنسوا بجنسيتها قبلادنا محتاجة الى أبنائها الأغزاء ومهما بلغت البلاد الأخرى فان الشرق هو مهد العلوم والمعارف وأصل المدنية ومنبع النور .

إن هذه المقابلة جعلت الرابطة بيننا وبينهم قوية حتى إننا افترقنا أصدقاء فودعناهم شاكرًا لهم شريف شعورهم داعيا لهم بالتوفيق .  
دعاني الخواجه قيصر صباغ لأن أتناول العشاء معه فى مطعم فرنسي شهير للسيو (مارتن) فقبلت دعوته وانصرف مع إخوانه على أن يعود إلينا قبل العشاء وبعد خروجهم حضر المستر (بانج) ومعه تذاكر السفر وقد فهمنى السبب فى تعديل خطة السياحة فتسلمتها منه وانصرف أيضا لأشغاله ولما صعدت إلى غرفتى وجدت بها باقة

من الزهور مرسله من الخواجه قيصر صباغ وعددا عظيما من بطاقات  
مخبى الجرائد وقطعا من الجرائد اليومية التي بها ذكر قدومنا إلى  
نيويورك فصممت على الخروج ماشيا لأجل الرياضة والراحة  
والابتعاد عن الفندق ولو قليلا حتى أتجنب مقابلة هذا الجيش  
العرمرم .

نرجنا ومشينا في شارع نمره ٥ وإذا بالأمطار تنساقط علينا فعدنا  
على أعقابنا مسرعين إلى الفندق وعند الساعة السادسة ونصف  
حضر الخواجه قيصر صباغ فذهبا معه ماشين إلى المطعم فوجدت أنه  
في أحسن المواقع وأن الاقبال عليه عظيم فلم أستغرب لكثرة الواردين  
عليه حيث ان الطعام في باقي المطاعم الأميركية ليس جيدا وقد  
علمت أن المسيو مارتن يدفع كل سنة عشرين ألف جنيه إيجارا  
ويصل في بعض الأيام دخله إلى ٢٠٠٠ جنيه بفلسا حول السفرة  
التي أعدت لنا بين زهور جميلة منصودة على المائدة وشجيرات خضراء  
متفرقة في مواضع مختلفة . ومن حسن الاتفاق أن الذي كان قائما  
بخدمتنا وقت الأكل تونسي يتكلم باللغة العربية فهذه المصادفة الجميلة  
جعلتني مسرورا .

اتهيئا من العشاء واقتربنا للراحة والنوم لأننا سنسافر غدا صباحا

الساعة ٨ و ٣٠ دقيقة بعد أن أرسلنا الى المحطة - وكانت أمام الفندق - حقائبنا الكبيرة لترسل الى شيكاغو .

أصبحنا في يوم الجمعة ١ مايو مبكرين وبعد أن تناولنا طعام الإفطار ذهبنا مع باقى متاعنا إلى المحطة نحو الساعة ٧ و ٣٠ دقيقة فاختارنا الطريق الفاصل بين الفندق والمحطة التي يشتغلون لتتيم بنائها وهي تسمى ( المحطة المركزية الكبرى ) والظاهر أن أكبر مساهم فيها هو المستر ويندريلت وقد نزلنا الى تقى تحت الارض للوصول الى الرصيف الواقف عليه قطارنا أما تذاكرنا فكانت معنا وبما أنها تذاكر جملة محطات سستزل فيها فكانت طويلة كالجليل يفصل منها كلما اقتضى الحال التذكرة اللازمة (Billet circulaire) .

رتبنا أمتعتنا في الصالون الصغير المعد لنا في العربة (Compartment) وإذا بالمستريانج قد حضر لوداعنا وللأسوال عما اذا كنا في احتياج لأى شئ ليؤدبه لنا فرجوته أن يبعث بشكرى للمسترف . كوك ويقول له انى لا أنسى الخدمات الجلييلة التي قام بها مستخدموه فانهم جميعا اجتهدوا في عمل كل مايسرنى .

أتت الساعة ٨ و ٣٠ دقيقة فودعنا المستريانج فتحرك القطار وقد لاحظنا أن الفراشين الذين كانوا سودانيين مرتدون ملابس بيضاء نظيفة .



تركنا المحطة وسار بنا القطار مخترقا نيو يورك فكأ أشبه براكي قطار  
المترو (Metro) نمرين أبنية وعلى جسور (جاري) الى أن وصلنا  
الى منازل العمال التي بعضها بجانب بعض على الجهتين وكنا نلاحظ  
أنهم ينشرون ثيلهم المغسولة على حبال سوداء فوق السطوح أو بين  
البيوت كالطريقة المتبعة في ايطاليا ولا عجب فتنهم ايطاليون .  
وفي نيو يورك ٣٠٠٠٠٠ عامل ايطالي . وقف بنا القطار خارج  
نيو يورك والى هنا كان قائد عرباتنا قاطرة تمشي بالكهرباء فوصلت  
عنا وأتى بقاطرة بخارية عظيمة بدلا وهذه سميت بنا ساعتين وثلاثة  
أرباع الساعة بدون أن تقف على محطة .

ابتدأنا نشاهد المناظر الجميلة فكان طريقنا على شاطئ الهمسون  
(Hudson) وهو نهج جميل واسع به ألوف من الزوارق واليواخر فكم  
مررنا على جسور وكما رأينا معامل عددها لا يحصى . وقد ذكرتم  
هذه المناظر بمناظر اليوسفور الجميل لأنها تشبهها في وجه كثيرة حتى  
إن الاتساع في بعض الجهات يكاد يكون واحدا . كان قطارنا يطوى  
الأرض طيا وكما نمر على بلاد كثيرة ولكن ليس في ذلك شئ خارق  
للعادة فانه كقطاراتنا السريعة التي تسير بين مصر والأسكندرية .  
تركنا محلنا وذهبنا إلى آخر عربية في متنها جزء مكشوف

كالطنف (Observation car) به كرسيات مخصصان لمن يريد الاشراف على المناظر ولكن كثرة الدخان والقمام المتصاعد من السرعة تجعل الجلوس في هذا المحل غير مستطاع . وصلنا الى الباني (Albany) عاصمة مقاطعة نيويورك وعدد سكانها ٩٥٠٠٠ وهى واقعة على الشاطئ الغربى لنهر (المهدسون) فى ملتقى مصب النهرين ايرى (Erie) وشامبلان (Champlan) وهى بلدة قديمة هولندية وتجارها البيرة والأخشاب . والى هنا كان المنظر بدىعا حيث كنا دائما على شاطئ نهر المهدسون وقد مررنا على جملة معامل بعضها متروك والبعض الآخر يشغل وألقت نظرنا معامل الآجر الكبيرة التى تصنع للبيات الهائلة بنيويورك وبعد هذه البلاد أخذنا ننظر بعض روابى وأخذ القطار يتبع طريقا به منحنيات فتغير المنظر وصار يشبه مناظر شمال ألمانيا أو بوهيميا . أما منازل الفلاحين التى مررنا عليها فاتها مصنوعة من الخشب وملونة بألوان مختلفة ولكن اللون الأحمر والاخضر هما اللونان السائدان المختاران عندهم والمنظر العام لهذه المنازل من بعد يشبه المنازل التورفية أو السويسرية ولكن لا يوجد بينها ما يسمونه باللغة الفرنسية (شاليه Chalets) هذا وهؤلاء الفلاحون يشبهون

الهولانديين والالمانيين والسويسريين والتمساويين ولم أرفقا بينهم  
يميزهم عن هذه الأجناس .

إن الانسان يشعروقت السفر والتنقل بين أرجاء تلك البلاد  
بمقدار اتساع الولايات المتحدة ويرى أن صدرها يتسع لكثير من  
المهاجرين غير من تزحوا إليها ملء فضائها العظيم وزرع أراضيها  
الواسعة التي لم تمسها الى اليوم يد الزراع .

قربنا من بلدة أوتيكا (Utica) فرأينا كثيرا من قطعان البقر ولكنه  
صغير الجسم ضئيله لا يماثل بقرة أو بقر أوروبا في جمال الهيئة وامتلاء  
الجسم أما هذه البلدة فعدد سكانها ٦٠٠٠٠ وهي مركز تجارة الجبن  
الأمريكي . وأثناء سيرنا كنا نرى من جهة اليمين والشمال كثيرا من  
المستنقعات وبعض أراضي مزروعة ولكن يظهر عليها أنها ليست  
جيدة التربة ولم نشاهد مقاطعات زراعية كبيرة ولا طرقا متظلمة بل  
كلها غامرة من هطل الأمطار فالقفر اذا ضارب أطنابه في هذه الجهة  
وأظن أن الاعتناء بالطرق الزراعية في أمريكا مهممل جدا ولا يرى  
الانسان بها أمثال طرق فرنسا مثلا المعنى بها تمام الاعتناء .

وصلنا بعد ذلك إلى سيراكوز (Syracuse) التي يبلغ عدد سكانها  
١٠٠٠٠٠ نسمة وهي واقعة على شاطئ بحيرة أونونداجا (Onondaga)

ويخترقها قنال ايرى (Erie) وقريب منها جملة ملاحات يراها الانسان بعد خروجه من المحطة

أما هذه البحيرة فيبلغ طولها عشرة كيلو مترات ويستخرج منها كل سنة ما قيمته مليون دولار من الملح وقد رأينا بها جملة معامل للقطار ومجموع تجارتها يقدر بثلاثة ملايين دولار كل سنة .

بعدنا عن هذه المدينة بقليل وإذا نحن في وسط مزارع وكنا نرى بين وقت وآخر طيوراً ذات ألوان بديعة تسر الناظرين .

قربنا من روشستر (Rochester) البلدة الكبيرة الشهيرة بمصنوعاتها وكنت أسمع عنها لشهرتها بصناعة آلة التصوير الشمسي المعروفة بالكوداك وعدد سكانها يبلغ مائة وتسعين ألف نسمة وهي واقعة بالقرب من بحيرة أونتاريو (Ontario) وبها معامل للجلعة والأقمشة والأحذية وآلات التصوير الشمسي وغير ذلك ويخترق وسطها نهر يسمى جنيزي (Genesee) فيكون بها شلالاً ارتفاعه ٢٩ متراً .

أما تجارتها فتبلغ خمسة وسبعين مليون دولار كل سنة وشركة آلة التصوير (الكوداك) رأس مالها ٣٥ مليون دولار . هنا لم يبق لنا الا محطة بفالو (Buffalo) التي يقف عليها قطارنا فلما قربنا منها تغير الجو وصار مائلاً إلى السواد من كثرة الدخان المتصاعد من مداخن

المصانع الكثيرة فلما دخلنا محطتها وجدناها كثيرة وبها مئات من الخطوط الحديدية وهنا يجدرني أن أذكر شيئا عن الطرق الحديدية الأمريكية :

ان لكل قاطرة بخارية جرسا عظيما يده أحد السواقين عند الدخول أو الخروج من محطة أو عند ما يقطع الخط الحديدي ممرا . والسكك الحديدية تخترق شوارع بعض المدن كمدينة روشنستر وبوفالو فيسمع فيها الانسان دق الجرس الآذن بالمسير - وقد لاحظنا أن قطارات البضاعة طويلة جدا أما المحطات فقلها لم يعن ببنائه وليس به زخرفة - مثلا محطة بوفالو الكبيرة ليست إلا مظلة تشغل مسطحا عظيما من الأرض ولا يوجد بها أرصفة ولا محال للاستراحة والانتظار - وللمخرج منها يمر الانسان على جملة خطوط فاذا كانت هذه حال تلك المحطة الكبيرة فكيف اذا تكون بقية المحطات

ان اسم مدينة بوفالوأت من اسم بوفل وهو حيوان كان يأتي الى بحيرة (أيري Erie) ليشرب منها ولما كان هذا النوع من الحيوان كثيرا جدا في هذه البقعة سميت البلدة باسمه وهي ثاني بلدة كبيرة في مقاطعة نيويورك يبلغ عدد سكانها ٤٠٠,٠٠٠ نسمة وهي واقعة على بحيرة (أيري Erie) على بعد ٣٢ كيلو مترا من جنادل نيا جارا وفيها قتل

الرئيس ما كيتزى بيد أحد القوضيين لما كان بها معرض سنة ١٩٠١ وبجيرة (أيرى Erie) هي الفاصل بين حكومة كندا والولايات المتحدة وطولها ٤٠٢ كيلومترا وعرضها يختلف ما بين ١٠٠ و ٥٠ كيلوا أكبر عمق لها ٣٧ مترا وهي متصلة ببجيرة (هورون Huron) ببوغاز (Détroit) ريفير (River) وبجيرة أوتسارويو بجنادل نياجارا وما أكثر الكهرباء بها المتولدة من تيار تلك الجنادل ومع ذلك لا يستغنى فيها عن الوقود فان عدد المداخن التي بها لا يحصى والدخان المتصاعد منها يتعقد في الجو فيكون سحبا مظلمة فوقها .

تركنا قطارنا لتأخذ قطارا صغيرا آخر (أومنيبوس) يوصلنا الى نياجارا بعد ساعة وبعد ركوبنا وجدناه مشحونا بالركاب وبعد قليل تحرك بنا ببطء فرأينا على شمالنا البحيرة العظيمة التي لا يمكن للناس أن يرى شاطئها الآخر ثم وصلنا الى نياجارا فولس (Niagara Falls) ونزلنا بجحلتها وفي الحقيقة لا يقدر الغريب أن يعرف أهو في المحطة أو خارجها لأن القطار أحيانا يقف في الداخل وأحيانا في الخارج وعلى أي حال قد تركناه ولما كنا لم نحرك عشرة ساعات متوالية أثناء هذا السفر فضلنا المشي قليلا على الأقدام حتى الفندق الذي مستزل به حيث هو قريب جدا منا . وأول خاطر يطرأ على القاصد على هذه

البلدة الصغيرة أن يجيل إليه أنه في إحدى بلدان أوروبا الشهيرة  
بمناخ المياه لأنها خالية من الزنترقة والسكون مخيم عليها فداخلنا السرور  
العظيم وشعرنا بالهرق الجلي بينا وبين مدينة نيويورك الكثيرة الحركة  
والضوضاء - وصلنا الى الفندق فاذا هو من نوع البانجالت الهندي  
(Bangalt indien) ومحاط بطنف (فيراندا) ومشرف على شوارع متسعة  
كلها مرصوفة بالاسفلت وأمامها كنيسة كبيرة وبجانبا حلة من المنازل  
الصغيرة الجميلة المصنوعة من الخشب أو من الآجر مرتبة ترتيبا أنيقا  
تشبه المنازل الصغيرة الجميلة المصنوعة أيضا من الخشب التي على  
شاطئ البسفور

صعدنا لثرى غرفنا التي أعدت لنا ولما كان باقيا على غروب الشمس  
نحو ساعتين ونحن نريد الحركة نزلنا ثانيا لنمشي الهوينا في الشوارع  
القريبة من الفندق فصادفنا في الطريق مؤجر عربات فعرض علينا  
سيارته لزيارة الجتادل وكل المناظر التي تستحق أن يراها السائح على  
أن تكون الأجرة بحسبة دولارات في الساعة وقد عاهدنا على أن زيارة  
كل هذه المزارات تستغرق ثلاث ساعات قبلتنا شروطه على أن يحضر  
صباح غد الساعة ٩ و ٣٠ دقيقة الى الفندق واستمررتنا في طريقنا  
في الشارع الذي على شمال مسكننا وصرنا نسمع خرير مياه الجتادل

المتساقطة الى أن وصلنا الى حديقة صغيرة بدیعة على شاطئ النهر ونحن مُعجبون بانحدار المياه الصافية فصرنا ننقل من مكان الى مكان ويستوقفنا كل منظر جميل فتمتلئ قلوبنا يقينا بجلال قدرة الخالق وبداع صنعه فلم نشعر إلا ونحن بالقرب من جنادل (شلالات) نياجارا الهائلة

هنا وقفنا خاشعين أمام القدرة الالهية فعجب من جمال المنظر وقد طال بنا الوقوف ولا تعلم لذلك سببا إلا أننا صُحِرنا من عجب ما رأينا وذهبت أفكارنا في عالم آخر لم نعهده من قبل حتى خيل لنا أن ما نراه إن هو إلا أضغاث أحلام كأن الطبيعة أرادت أن تتصورها بجلالتها وعظمتها ولم ننتبه من ذلك الخيال الذي ملك أفئدتنا الا وقد أرغى الظلام سدوله وتوارت الغزاة بالحجاب عن أعيننا فالتفتنا بعضنا الى بعض قائلين ماذا جرى لنا وقد طال بنا الوقوف ونحن عن ذلك غافلون فصممنا على العودة بالرغم منا وقلوبنا متعلقة بذلك المنظر الذي ملأها عجا ولكن ما الحيلة وكل شئ له نهاية وتلك سنة الله في خلقه ولن نجد لسنة الله تبديلا

ان المكان الذي نحن فيه الآن تابع لحكومة الولايات المتحدة ولأجل أن نعود من غير طريقنا ذهبنا الى شارع آخر يدعى الشارع



الكبير (Grande Rue) وعلى جانبيه يرى الإنسان جملة من الدكاكين  
الكثيرة يعرض فيها بطاقات البريد (الكروت بستانل) وصور مناظر  
الجنادل وبعض مصنوعات جلدية من صناعة الهنود الأمريكان ذوى  
اللون الأحمر مرسوم عليها صورة إحدى نسائهم أو أحد رجالهم  
بالزى الوطنى ومن معروضاتها أيضا ملابس مختلفة وحرايا وآلات  
أخرى مستعملة عندهم وكذا يجد الإنسان فيها عدة أشياء مصنوعة  
من الحجارة التى يعثرون عليها فى تلك الجنادل وقد أتقن صنعها  
(كأساور وعقود ومشابك وأزرار وغير ذلك) ولون هذه الحجارة  
أبيض ناصع وهذا الشارع مخصوص لزارى نياجارا

وصلنا الى الفندق وقصصنا المطعم الذى ليس به ما يستحق الذكر  
غير أن خدامه من السود فاخترنا من الطعام ما استحسنه وبعد ذلك  
صعدنا الى غرفنا للنوم مبكرين حتى نسال أنفسنا حفظها من الراحة  
فتقوى على احتمال متاعب القد

أصبحنا فى يوم السبت ١١ مايو سنة ١٩١٢ وكانت الساعة  
التاسعة صباحا وإذا بالسيارة حضرت أمام الفندق فلم تنتظر نصف  
الساعة الباقى على موعد الانشاق حتى لا نعود متأخرين وتوكلنا على  
خالفنا وركبنا فيها فسارت باسم الله بسرعتها العادية فقررنا على شارع

(بفالو (Buffalo)) الذى به مصنع بسكويت كبير ثم على الحديقة التى زرتها البارحة متبعين انحدار المياه فرأينا جزيرة المعز التى يصلها بالحديقة الصغيرة جسر وقد سميت بهذا الاسم لأن مالكها كان يربى فيها معزا وقد اشترتها الحكومة الأمريكية بمليون دولار لتجعلها مستراضا عاما ومساحتها ٣٢ هكتارا وبها كثير من الأشجار والنباتات ومنها خرجنا الى اليمين لنذهب الى جزيرة القمر (Luna Island) وهى جزيرة صخرية صغيرة واقعة بين جندل أمريكا وجندل كندا

ومن هنا يرى الانسان جندل أمريكا بكل عظمته وجلاله . ولما كان الجحوق صحو والشمس زاهية رأينا تحت هذا الشلال قوس قزح بألوانه المختلفة الجميلة ثم ذهبنا لرؤية ثلاث الجزر التى فى وسط النهر المرتبطة بعضها ببعض بحجور من حديد وهذه الجزر تسمى (Les Trois Sœurs) ومن مكاننا يشاهد السائح عظمة واقساع البعيرة ويرى كندا ثم من بعد هذه الجزر الثلاث ينقسم النهر الى فرعين ثلاثة أعشار مائه تسقط من جندل أمريكا وسبعة الأعشار الأخرى تسقط من جندل كندا . ولحسن الحظ استمر نور الشمس فرأينا مثلين آخرين لقوس قزح وقد علمنا أن هذا المنظر الجميل لا يبدو إلا فى الصباح عندما تبرز الشمس ويكون الجحوق رائقا فلواقف على الجهة التى نحن

بها الآن تكون الشمس ورائه من العجب أن هبوط الماء من علو إلى أسفل يحدث عنه فيما بين الشاطئين أشبه ثني بالبخار أو الضباب الرائق تظله أشعة الشمس فيبدو من ذلك نصف دائرة ذات ألوان مختلفة من بنفسجي وأزرق وبرتقالي وأحمر وغيرها كأنها قوس قزح .

تركنا مكاننا وذهبنا إلى الجسر المعلق هناك نمر على أراضى كندا وهذا الجسر هو الفاصل بين حكومة الولايات المتحدة وحكومة كندا .

وقتنا أمام خُصَّين (كشكين) صغيرين تابعين لحكومة إنجلترا ودفعنا رسم المرور وبعد ذلك اتخذنا طريقنا إلى أن عبرنا هذا الجسر ولا يلبث عابر هذا الجسر أن يصل إلى نهايته الأخرى حتى يشعر بوجوده في حكومة أخرى أكثر نظاما وأحسن ترتيبا وأول ما يصادف منتزه الملكة فيكتوريا الواقع على شاطئ الجندل وهو منتزه قد بلغ من حسن النظام غايته وبه للملكة تمثال محكم الصنع ومن عجيب ما رأينا أن أشجار هذا المنتزه لم تكن مُورقة مع أن أشجار سائر الجهات كانت مورقة وهذا ناشئ من كثرة الرطوبة وشدة البرد وقد علمنا أن أشجار ذلك المنتزه إنما تورق بعد أشجار سائر الجهات الأخرى بنحو أربعة أسابيع .

أما طول هذا المنتزه فيبلغ أربعة كيلومترات ورأينا جندل كندا الذي يطلق عليه اسم نعل الحصان لأنه يشبه تمام المشلبة (Fer à cheval) .

أما رشاش المياه الناشئ من سقوطها فانه يصعد حتى يوازي قمة الجندل وقد قدر ارتفاعه بمائة متر ثم تهدفه الرياح على الشاطئ ولذا أخضل الرشاش سراييلنا ونحن في السيارة فاضطررنا أن نتبعد عنه ووقفنا أمام خص (كشك) معد للترول منه إلى حيث يرى السائح الجندل عن كثب ودخلنا فيه فاذا هو كدكان بيع وشراء قسايق الينا جماعة من طلاب الربح ففهم من يريد أن يبيعنا من معروضاته ومنهم من يريد أن يصورنا كل ذلك لا يتراز دولارات السائحين ولكنا تركناهم وشأنهم ولم نعرهم التفاتا وبعد أن دفعنا الرسوم المقررة أدخلنا إلى غرفة معلق بها سراييل من القماش المشمع للوقاية من الماء وتحتها صندوق كبير مقسم إلى جملة عيون به أحذية مختلفة وهي أيضا متخذة من الجلد المشمع ليختار منها الزائر ما يوافقه فشرع كل منا يختار حذاء ين على قدر رجليه ثم تقدم الينا شخص وأعطى لكل واحد منا (بنطلونا) فلبسناه وبعد ذلك صار يلبسنا (سترة بنط) لتغطية رؤسنا فأغرب أشكالنا حيننا تبذلنا بزينا هذا الزى الجديد . ان هيئتنا التي تبذل كانت تضحكا كثيرا فالتنا صرنا نشبه الملاحين وقد لبسوا أمثال تلك الأردية وقت هطل الأمطار وكان معنا بعض السائحين والسائحات الذين ارتدوا مثلنا هذه الملابس وبعد ذلك ذهب بنا الى المصعد

(الأسانوسور) الذي هوى بنا مسافة . هـ متراً تحت الأرض فوصلنا الى  
تقى مضاء بالأنوار الكهربائية كالنقى الذى يتخذ لاستخراج المعادن  
ومشينا فيه الى أن وصلنا الى فرجة يشاهد منها الانسان الجندل من  
جانبه فأعجبنا منظره وهكأنا أمره ثم ذهب بنا الى مكان آخر أبعد من  
السابق فاذا نحن تحت مسقط الماء فما أشد تأثير الانسان فى هذا المكان .  
إن المقادير العظيمة من المياه التى تسقط من ارتفاع هائل بسرعة  
مدهشة تحدث أصواتا مزيجية تتحقق لهُولها القلوب فسيحان القادر على  
كل شئ .

إننا لم نجراً على الاقتراب من المياه المتساقطة مخافة البلل والذين  
دفعهم حب الاستطلاع الى الاقتراب منها ما كان نصيبهم إلا أنهم  
عُجروا بها فارتدوا على أعقابهم نادمين - وهنا يجدرى أن أذكر  
ماحكى لنا: أن سيدة تدعى تيلور (Tylor) صنعت لنفسها تابوتا على  
هيئة أسطوانة جوفاء فدخلت فيه بعد ما اتخذت فيه وسائل الحيلة  
حتى لا تموت من عدم الهواء ثم ألقي بها فى اليم لتسقط من أعلى هذا  
الجندل العظيم الارتفاع الذى يسمى (نعل الحصان) وقد كانت  
الجاهل المحتشدة على شاطئى النهر وعلى مقربة من الجندل لا يحصى  
عددها وكلهم موقن بأنها لا بد أن تفقد حياتها إن لم يكن بسبب

اصطدامها بجوانب تابوتها لسقوطها من علو هائل فوق الصخور المنتشرة أسفل الجندل كان هذا الموت محققا من كثرة الحركة ودوران التابوت بالسرعة العظيمة التي يرتج لها المخ فتذهب الحياة وبينما هم في مَرَجٍ ومَرَجٍ وجدال فيما عسى أن تكون عاقبة هذه المجازفة المهلكة رأوا على بعد من أسفل الجندل تابوتا يطفو تارة ويغمره المياه أخرى وهو يسير متبعاً سير الماء فصاحت هذه الجموع ظهر التابوت فهل هي على قيد الحياة ؟ وبعد أن انتُشل التابوت وفتح أمام الأطباء الذين كانوا على استعداد لإسعاف هذه السيدة وقت الضرورة رأوها حية ولكن لأحراك بها فكانت جسدا هامدا وإن كنت فيها الحياة فلا شعور ولا إدراك فحملت إلى ملجأ الإسعاف وما أفاقت مما غشيها إلا بعد ثمانية أيام .

إن هذه الجراحة مدهشة جداً وأعدّها من باب الجنون وقد كتبت عنها الجرائد وتحدّث بحادثتها كل رائج وغاد من أهل أمريكا فهي حادثة غريبة تتناقضها الأكسن وتحكى لكل من يؤم الجنادل .

تمت زيارتنا وصعدنا الى حيث كنا لنطلع ما علينا ونعود الى هياتنا الأصلية ولم نستغرق في هذه الزيارة أكثر من عشر دقائق . تذكرت كل ما قبل لنا مما يختص بهذا المكان فقد ذكر لنا أن الوصول الى

ما تحت جندل (نعل الحصان) يستغرق ٢٠ دقيقة وقد هولو النافى الكلام  
 عن أصوات المياه وقالوا انها تؤثر فى الآذان أسوأ تأثير فلا بد للذهاب  
 من أخذ قطن معه ليضعه فى أذنه حتى لا يصاب بصمم فلم نقرأ أقوالهم  
 التفاتا لعلنا ما جيل عليه بعض الأميركيين من التهويل وقد قلنا فيما  
 بيننا اذا كان الأمر يحتاج الى مثل ذلك فلا بد أن المؤكلين بحراسة هذا  
 المكان عندهم كل ما يلزم . أما ماسمعناه من صعوبة الوصول الى ما تحت  
 (نعل الحصان) وأن الزائرين يلزمهم أن يتماسكوا بعضهم ببعض حتى  
 لا تزلزل الأرجل فثنى كثير والحقيقة أن كله كلام باطل لاصحة له .  
 ركبنا سيارتنا واستقرنا فى طريقنا فرأينا عمارة جديدة كبيرة أخبرنا  
 أنها ستكون مطعما ثم مررنا بعد ذلك أمام بناء شاهق نظيف جدا به  
 الآلات المولدة للكهرباء التابعة لحكومة كندا الى أن وصلنا الى نبع  
 ماء حار وهو أيضا أعجوبة من عجائب الدنيا الجديدة :  
 ان هذا النبع واقع بالقرب من الباب الجنوبي للتنزه فأمرعنا بالتزول  
 من مركبتنا للدخول فى الخوص (الكشك) الصغير المحيط به وبعد  
 ذلك أدخلنا الى غرفة صغيرة من الخشب فى هذا الخوص فى وسطها  
 حوض صغير به ماء يغلى وقد صجبتا أحد مستخدمى هذا المحل فابتدأ  
 يشرح لنا باللغة الانجليزية مامعناه :

ان هذا المنيع كشفه الهنود الأمريكيون (ذوو اللون الأحمر) من نحو مائة سنة وماؤه كبير يقي حار مفيد جدًا لأمراض الروماتزم وقد يخرج منه غاز قابل للاشتعال ولتحقيق ذلك أجرب أمامكم التجارب الآتية :

قبل أن يتدنى تجاربه أقفل الباب حتى صارت الغرفة حالكة الظلام وأخذ أنبوبة دقيقة ووضعها وسط الحوض في ثقب فيه ثم أدنى عودا ملتهبا من فم الأنبوبة فاشتعل الغاز بشدة . ورأينا اللهب قسمين قسما أزرق وآخر أحمر فقال لنا ان الانسان يمكنه أن يضع يده أو متديله على هذا القسم الأزرق دون أن تحترق يده أو متديله وقد حقق هاتين التجريبتين أمامنا فلم يمس يده ولا متديله أدنى ضرر وقد أردت أن أجرب بنفسى ذلك فوضعت يدي على هذا القسم الأزرق فلم أشعر بشئ مطلقا ولكن حذار من الاقتراب من اللهب الآتجر فانه شديد الحرارة جدًا وبعد ذلك رفع الأنبوبة من مكانها فصرتا ترى الماء يغلي ثم أشعل مشعلا وقربه من سطح الماء فاشتعل واشتعلت النار ارتقاء عظيمًا وشعرنا بالحرارة الزائدة ولما أراد اطفاؤها أرجع الأنبوبة الى مكانها فاحتبس الغاز عن الماء ولم يكن له مخرج الا فم الأنبوبة فانطفأت ثم قدم لنا في قديح قليلًا



من ماء هذا النبع فذقته ولم أجد له طعما أو رائحة قوية كماء نبع حلوان  
ثم ألقى مافي القدح وأشعله بكبريت فهب الغاز من القدح كأنه كان به  
الكحول وقد ذكر لنا أن هذا الماء مفيد جدا للرؤى بالروما ترم  
ولولا أن مقداره قليل لكان مورد ثروة عظيمة ولا تنشر في العالم  
للتطبيب به وقد علمنا أن في ضواحي هذه الجهة بعض منابع أخرى  
من هذا النوع .

ان سرورنا من رؤية هذا النبع ومن التجارب التي شاهدناها يعدل  
سرورنا من رؤية الجنادل نخرجنا معجبن مما شاهدناه واتخذنا طريق  
المزارع لتصل الى مجرى (Whirlpool) الشديد وعبرنا الجسر الثاني  
المعلق فلم يرقنا نظلم هذه المزارع ولا شك في أن من شاهد مزارع  
أوربا المنسقة تنسيقا بديعا لا يمكنه أن يشهد الا بما شهدنا . وقد  
صادفنا في طريقنا كثيرا من أشجار القواكه وقد قيل لنا ان القلاح  
يكتسب من القدان الواحد المزروع فيه هذه الفاكهة من ١٠ الى  
١٥ جنيها في السنة . هذا ولا تسلم عن الطرق الزراعية التي اخترقناها  
وحالتها فانها رديئة جدا فكثرة الأمطار طمست معالمها وجعلتها غير  
صالحة للسير فيها بسهولة .

أما بلدة كليفتون (Clifton) التي مررنا عليها أيضا فان بطرقها آلافا

من المصابيح الكهربائية فيظن الناظر اليها أن تلك الطرق قد زينت  
بتلك المصابيح لأمر قائم لا تلبث أن تزول ولكن في الحقيقة هذه  
الزينة البديعة دائمة الى ماشاء الله .

وصلنا الى المجرى السريع المذكور ومشاهدته يلزم الدخول أيضا  
في خص (كشك) يشبه بهوا لأخذ مكان في عربة تنزل الى  
الأسفل حتى شاطئ النهر وأجرة دخول كل شخص ( ٥٠ سنس )  
وقد أسرع اليها كالعادة من يريد أن يرسم صورنا فلم نقبل فأخذنا  
مكاننا في هذه العربة ونزلنا الى الشاطئ فدهشنا من قوة المياه المنحدرة  
من هذا المجرى وسرعتها . وقد قيل لنا إنه الى الآن لم يُستطع تقدير  
قوتها والغريب أن ماء النهر ساكن بعد الجتدل ويستمر هذا السكون  
الى مسافة كيلومترين ثم ينعطف النهر فجأة فيحدث من انعطافه هذا  
زاوية قائمة فيكون دوامات هائلة سببها تلاطم المياه في الصخور  
ومصادمتها للشاطئ الشمالى . وبما أن النهر من طبيعته منحدر فقوة  
الاندفاع وكثرة المصادمات هي المسببة لهيجان النهر الذى نراه من  
المكان الذى نحن فيه الآن وقد قدر عمقه في هذه الجهة بحصة عشر  
مترا . وقد حكى لنا أن الكابتن ويب (Webb) الانجليزى أشهر  
شهير في العالم في السياحة وهو الذى عبر المانش ساجا أراد أن يعبر

من هذا المكان متجها مجرى المياه فألقى بنفسه في اليم ولكن قوته لم تساعد على المكافأة فابتلته المياه وذهبت به الى حيث شئت فما كان نصيبه إلا الموت . هذه واقعة من يلقى بنفسه الى التهلكة ان هي إلا عظة لقوم يعقلون .

في هذا الموقف العظيم أقيمت نظرة عامة على كل ما رأيته من عجائب هذا النهر فتجلت أمامي قدرة الخالق بجلالها فسبحان القادر على كل شيء .

كيف لا يدهش الانسان وتعلكه الحيرة من هذه المناظر التي بينما يراها بديعة جميلة يملأ حشاها نظره فتقربها عينه وينشرح لها صدره إذ يراها هائلة تخفق لرهبتها القلوب وترتاع من هولها النفوس . ان تحرير المياه تطرب له الآذان وصفاءه تقربه العيون فاذا وجه الانسان سمعه الى هذه النعمة الطبيعية المستمرة ووجه نظره الى هذا الصفاء البلورى ينشرح قلبه ويرتاح ضميره ولكنه لما يتأمل كيف تتحد المياه بشدة الى هوة لا يقل عمقها عن مائة متر وهذه الهوة محصورة بين حائطين عظيمي الارتفاع يشعر بالمهابة فيستصغر نفسه ويشهد أن الانسان مازال ولن يزال ضعيفا أمام هذه العظمة وهذا الجبروت . ان مكاننا ورؤيتي هذين الحائطين الهائلين جعلاني أذكر للقارئ

مثلا آخر من أمثلة الجسارة النادرة التي ظهرت أثناء زيارة جلالة ملك إنجلترا ادوارد السابع لكندا عند ما كان وليا للعهد . وقت زيارة جلالتة لهذا المكان كان هناك أحد المشهورين في الألعاب الرياضية (Equilibriste) المدعو المسيو بلوندين (Blondin) الفرنسي الجنس فوضع له من الشاطئ الى الشاطئ الآخر جبل على ارتفاع مائة متر فوق هذا المجرى السريع فمشى عليه حاملا رجلا على أكتافه أمام جلالتة من إحدى ضفتي النهر الى الأخرى وقد طلب من جلالتة أن يركب في عربة صغيرة بعجلة واحدة من الأمام ثم توضع على الحبل المعلق فيمشى بها ويدفعها أمامه بمن فيها فلم يجبه جلالتة الى ما طلب لما فيه من الخطر العظيم ولكن المسيو بلوندين المذكور أبى إلا أن يظهر براعته فربط متديلا على عينه حتى لا يرى الحبل ووضع الرجل الذي مَرَّ به أولا وهو محمول على أكتافه في هذه العربة ومشى به على هذا الحبل آمنا مطمئنا الى أن وصل الى الشاطئ الآخر للنهر - فما أجسره وما أبرعه في صنعته إنه أعجب الحاضرين وأدهشهم حتى صار يومه يوما مشهودا يذكر لكل السائحين كارتجاف حادثة من أهم الحوادث - أردنا العودة لتناول الغداء بالفندق فركبنا سيارتنا وأمرنا السائق أن يعود الى حيث أتى بنا وما نحن عن محل إقامتنا بعيدون - اتنا ننظر

أراضى الولايات المتحدة أنها أملنا على الشاطئ الآخر الذي رأينا به  
المحل الكبير المعد لتوليد الكهرباء التابع لهذه الحكومة وهو بناء  
لا يعجبك منظره ولكنه عظيم النفع حيث تنبعث منه الكهرباء الى  
بعد مائة ومعين ميلا انجليزيا -

مررنا على الجسر الفاصل بين الحكومتين وبعد قليل وصلنا الى  
الفندق وأننا رأينا كل ما يستحق المشاهدة في نياجارا ولم يتبق لنا  
قائدة ننظرها من البقاء بها أردنا الذهاب الى شيكاغو حتى لا يصعب  
وقتنا سدى ولكننا رجعنا فنذ كرنا أن غدا يوم الأحد ومحل كوك  
سيكون فيه مقفلا فذهابنا لا يفيدنا شيئا كثيرا فرجعنا عن عزمنا متبعين  
الخطة المرسومة لنا من محل كوك وعلى حسبها يكون السفر غدا الى  
شيكاغو -

ابتدأت الأمطار تسقط بعد ظهر هذا اليوم فحمدنا الله اذ تمنا  
زيارتنا في وقت صحو رأينا فيه كل المناظر على حالتها الطبيعية الجميلة  
ولما كانت الاقلمة بالفندق ممللة أردنا الاستراحة فشيننا في وسط تلك  
البلدة الصغيرة العاطلة من الزخارف إلا أن الصدور فيها منشرحة  
فأخذنا نمشي الهويناء نحترق شوارعها وقف تارة بعد أخرى أمام  
بعض الدكاكين لئلا نرى ما فيه . كل ذلك لتقضي الوقت - أن المساء

فعدنا لتناول العشاء وبعد ما أكلنا ما لد لنا وطاب صعدنا إلى غرفنا  
ونمتا في راحة إلى الصباح -

ابتدأنا يومنا ( يوم الأحد ١٢ مايو ) باستراحة قليلة وكان الجو  
مظلمًا والسماء تهتدنا بأمطارها ولم يمض علينا كثير من الزمن حتى  
أخذت السماء تنبكي رذاذ دموعها فرجعنا على أعقابنا إلى الفندق لأكتب  
مذكراتي عن سياحتي وجلسنا في الطنف (القيراندا) أمام الكنيسة  
حيث نرى الغادين منها والرائحين إليها وبقينا على هذه الحالة إلى أن  
حان وقت الغداء وبعده أحضر لنا صاحب الفندق بواسطة دليلنا  
دفترا معقدًا لتقيد أسماء الكبراء الذين يقدون على فدقه ولما كنا  
مسرورين بما لقيناه من الراحة قبلنا طلبه خصوصًا انه وامرأته بلغا  
من العمر أكله وهما يؤديان واجبات الخدمة بكل مافي وسهما لكل  
قادم عليهما . خرجنا بعد ظهر هذا اليوم نقصد الاستراحة فسمعنا  
من بعد نفحات موسيقى فقصدنا نحوها حتى نرى لأى سبب تعزف  
ولما وصلنا إليها وجدناها كالموسيقى التي تعزف في المواسم (الموالد) ولما  
سكتت نهض رجل وابتدأ يلقي خطبة فظن رفيقنا خيرى أن تلك  
الخطبة ربما كانت موضوعها الانتخابات حيث إننا الآن في ميعاد  
انتخاب رئيس الجمهورية وظن رفيقنا الآخر مصطفى أنها لإعلان عن

محل تجارى - كما يعمل في بعض الأحيان في مصر ولكن الحقيقة أن هذه الفئة تمثل جيش السلام (Armée de Salut) وقد شبهنا هذا الموكب بالصور الهزلية ومن رآه خصوصاً بعد أن تمت الخطبة وتحرك السير لا يسعه إلا أن يشاركاً في حكمنا فإن على رأسه رجلاً كان يحمل علماً وقد بلغ من العمر أرذله يمشى الخيَزَى وهو محدودب الظهر تظهر عليه علامات الضعف الشديد وبين صفوفه أطفال لا يبلغون الحول العاشر ينفخون في أبواق كما شاعوا وشاعت لهم معارفهم القاصرة في هذا القرن الجميل ووراءهم ست سيدات مرتديات ملابس مخصوصة لجيش السلام بينهم امرأة نيفت على الستين ولا بد أن تكون زوجة هذا الشيخ الخريف الحامل لواء السلام -

قربت الساعة الخامسة فعدنا مسرعين إلى الفندق والسماء تمتد إلى الأرض من الأمطار حبالاً لتناول عشاءنا في منتصف الساعة السابعة حتى نكون على أهبة السفر بالقطار الذي يتحرك من نياجارا في الساعة ٨ و ٥ دقائق - وفي منتصف الساعة الثامنة اعتمدنا على الله وخرجنا للسفر بعد أن ودعنا صاحب الفندق ووصلنا إلى المحطة قبل الميعاد وبما أن ذلك اليوم كان يوم بطالة رأينا عدد الغادين والرائحين أكثر منهم في باقي الأيام . أتأ الداخل إلى هذه المحطة فلا يرى إلا ساحة

كيرة بها مقاعد للمسافرين وفي وسطها صنوبر ماء للشرب بجانبه قدح واحد لعامة الناس وبهذه الساحة أيضا جرة صغيرة للتلفون لمن يريد المكالمة به مجانا -

انتظرنا مقدار ربع ساعة ثم أخذنا نبحث عن قطارنا الذي سنسافر فيه فوجدناه مستعدا فركبناه وقد أخذت مكاني في غرفة صغيرة طلبت من قبل أن تكون خاصة بي أما رفيقي فأخذوا مكانهم مع باقي المسافرين في (البولين كار) وما أتت الساعة الخامسة صباحا من يوم الاثنين ١٣ مايو حتى كنا مردين ملابسنا ففتحتنا احدى النوافذ لترى ما نمر عليه فاذا نحن على شاطئ بحيرة (مسيجان) العظيمة الاتساع التي تشبه البحر بأمواجها المتلاطمة - استمر القطار في السير بنا بمجوار هذه البحيرة مدة من الزمن ثم لحنا دخانا متصاعدا من جملة مداخن مصانع على بعد عشرين دقيقة من مدينة شيكاغو فما أكثر الخطوط الحديدية في هذا المكان إنها متشعبة الى شعب كثيرة تذهب الى جهات مختلفة . أما الحركة العامة للقطارات العادية والرائحة الى هذه المدينة فعظيمة ومدهشة . ومن غريب ما رأينا أيضا ميناء كبيرة على هذه البحيرة بها جملة منارات كالتي توجد في البحار العظيمة - وصلنا والحمد لله إلى محطة شيكاغو فنزلنا من قطارنا وذهب بنا إلى



عربة عامة (أمينيوس) لتوصلنا الى الفندق الذى كنا نظن أننا منه على بعد شاسع ولكن لم يمض على سيرها أكثر من ثلاث دقائق حتى وصلنا اليه وهو واقع على أكبر شارع واسمه شارع ميشيغان (Avenue Michigan) على مقربة من المستراض العام الكبير (Grand Park) فدخلناه فإذا هو أيضا ذو خمس عشرة طبقة ومن أكبر فنادق شيكاغو وأبدعها نظاما وإحدى جهاته تشرف على بحيرة ميشيغان. وقد تسمى مدينة شيكاغو بمدينة الأهوية لاشتدادها فيها وهي تأتي من جهة البحيرة وهي أكبر مدينة تجارية وصناعية بعد نيويورك في الولايات المتحدة . وهي مركز تجارة الحبوب وقد بنيت على مستنقعات ومنازلها لا تزال صغيرة غير أنه ابتدئ في جعلها كبيرة ذات أدوار عديدة وذلك للنافسة بينها وبين نيويورك فكلما هدم بيت صغير أقيم على أنقاضه آخر ذو أربعين أو خمسين طبقة ومن العجب أن الأمريكيين لا يحبون أن يكون لهم منازل خاصة بهم حتى لا يدفعوا ضرائبها ولا أجرة الخفر ولا غيرها مما يدفعه الملاك ويفضلون السكن بالاجار ولو في الطابق الثلاثين أو الخمسين -

وقد كان ينتظرنا في الفندق كالعادة أحد مخبري الجرائد فرأيت أن أقابله أيضا وتحدثت معه قليلا ثم حضر مدير محل كوك وأظهر لنا أنه

على استعداد تام لخدمتنا فشكرناه . ولما كنا عازمين على ألا نقيم في هذه المدينة أكثر من يوم واحد بادرنّا لزيارة كل الأماكن اللازم زيارتها فصحبنا عامل كوك وجلسنا في الشوارع المهمة ومررنا على المحال التجارية الكبيرة مثل البون مارشيه (Bon Marché) واللوفر (Louvre) اللذين يباريس ومثل (الأرمي اند ناڤي Army and Navy) الذي بلوندره والذي استلقت نظرنا في هذه المحال التنسيق وحسن النظام وأن كل ما يختص بالسيدات محصور في أمكنة خاصة به واللاتي يبعنه سيدات أيضا والذي يختص بالرجال في أمكنة أخرى ويبيعه رجال وليس ذلك النظام متبعا في المحال التجارية الكبيرة بفرنسا التي يرى فيها الانسان البائعة بجوار البائع وربما تبيع السيدات ما يختص به الرجال ويبيع الرجل ما يختص به السيدات وربما ترى بائعا يلبس سيدة تقافا وهكذا . أما نظافة هذه المحال فحدث عنها ولا حرج فانها في مشى الكمال وقد لاحظنا أن الجزء المخصص للروائح العطرية في هذه المحال كبير جدا وهذا مادلسا على أن الأمريكيين مغرمون بها كثيرا ولم أستغرب ذلك لأننا لما كنا في البانحة كانت معنا سيدة من أسرة غنية في صحبة زوجها والاثنان كانا مرتدين ملابس الخزن فرغما من ذلك كانت هذه السيدة تدهن بالعنبر العبق الرائحة الذي كان

يلزم الانسان أن يهرب قبل أن تقترب منه خوفاً من تأثيره الشديد .  
وقد ذكرني ذلك صديقنا القديم زبير باشا ورائحته العطرية الشديدة  
وقد كنت مندهشاً كيف يتيسر لزوجها أن يقيم معها في غرفة واحدة  
دون أن يتأثر من هذه الرائحة الشديدة . وهذا أمر لم أفهم له علة إلا  
أن العادة تعير الصعب سهلاً بل قد تحوّل السم دواء .

ثم خرجنا من هذه المحال لزيارة دار المحافظة وبقي مراكر إدارة  
ولاية اليونى (Illionis) التابعة اليها (Chicago) شيكاغو فوجدناها جميلة  
وعظيمة ونخرجنا منها إلى إدارة البريد الهائلة ثم ذهبنا إلى البورصة  
وهي مركز بيع جميع أصناف الحبوب : ولشهرتها يجذبني هنا الإشارة  
إلى مجمل وصفها ليكون للقارئ إلمام بها . دخلناها وصعدنا إلى مكان  
مرتفع به كراسى معدة للزائرين فأخذ كل منا مجلساً قرأنا ما يستحق  
الذكر . أنها تشبه بورصة نيويورك حيث يجتمع في بيوها أربعة  
أو خمسة جموع من التجار والسامسة الذين يصبحون بكل قواهم  
ويسرون إشارات مختلفة تدل على قبول البيع أو رفضه ووراء كل  
جمع كاتب مرتب يبدو عليه كمال المقدرة والنشاط المدهشين فانه يقيد  
في ملح البصر أسماء الذين قبلوا البيع ومقدار ما باعوا وما اشتروا . وهنا  
تقتاد أعة الفكر حالة المشتريين والباعين وصعود الأثمان وهبوطها

في كل لحظة ومن الغريب أن آخر الأسعار ترسل بواسطة آلة كهربائية بها سير متحرك يسير برقعة كتب فيها السعر فيوصلها إلى الطرف الآخر من البهو المعد لذلك . وقد لاحظنا في شمال هذا البهو ستين من عمال التفراف يرسلون الأسعار النهائية بالتلغرافات إلى جميع أنحاء أمريكا فإذا بورصة شيكاغو هي التي تضع وتحدد أثمان الحبوب لسائر الولايات المتحدة ولا أغلى إذا قلت إنها ربما تحددتها لجميع أنحاء الدنيا -

خرجنا من البورصة للذهاب إلى الفندق حيث آن موعد الغداء وبعده استأجرنا سيارة لزيارة المدينة وحدائقها والمحل الذي كان قد أقيم فيه المعرض وقد كانت بودى رؤية مذبج (سلخانة) شيكاغو الشهير لولا أن نصحنى أصدقائي بعدم الذهاب إليها لفضاعة المنظر ولكراهة الروائح التي تنبعث منها - خرجنا من الفندق نحو الساعة الثالثة بعد الظهر متبعين شارع ميشيغان (Michigan) لزيارة حدائق واشنطن وقد لاحظنا أثناء سيرنا أن الشوارع المهمة نظيفة ومعنى بها أكثر من شوارع نيويورك فقررنا على المحطة التي أتينا منها وصرنا نتبعد عن منظر البحيرة أى أننا بعد هذه المحطة غادرنا الرصيف وصرنا نحترق من شوارعنا كثيراً لا يرى الإنسان على جانبيه إلا محال تجارية

للسيارات وظنى أن هذا الشارع هو مركز تجارة السيارات فى الولايات المتحدة -

هذا والذى استغريته أنى رأيت كثيراً من السيدات راكبات عربات صغيرة مقفلة تمشى بقوة الكهرباء وهن اللاتى يحركنها بأنفسهن بدون سائق يقودها بلا خوف ولا وجل فقلت اذ ذاك ان الأمريكيين الذين أمهاتهم أمثال هؤلاء السيدات الممثلات نشاط وثبات وقوة جنان جديرون بما تالوا من الصيت الطائر فى جميع أنحاء العالم فأكثر أخلاق الولد وعوائده مكتسب من أمه فالأهم ترتفع بارتفاع المرأة فيها وتخط بانحطاطها

وصلنا إلى حديقة واشنطن فرأينا فى مدخلها تمثال جورج واشنطن واخترقناها فأعجبنا بجمال ونظامها ومنها ذهبنا إلى حديقة جاكسون (Jackson Park) وهى ثانى حديقة لا تقل عن الأولى فى نظافتها وترتيبها وقد رأينا بها ساحات عظيمة مقسمة إلى جملة ملاعب كملعب التنس (Tennis) وكرة القدم والجولف (Golf) وبها بحيرة للتجذيف فى فصل الصيف وفيها أقيم المعرض الكبير -

إن هاتين الحديقتين على مقربة من بحيرة ميشيجان وفى الثانية رأينا حوضاً به أربع سفن من الخشب يزعم الأمريكيون أنها تمثل

المراكب التي كُشف بها كرسُتوف كولومب أميركا وظنى أن هذا زعم باطل -

إن استراضتنا هذه كانت في جنوب المدينة والمنزل التي مررنا عليها رأيناها على أحسن حال من النظافة غير أننا لم نمر بمساكن الصنّاع والفَعلة حتى يكون حكمنا عاما فشهادتنا هذه لما رأيناها بأعيننا - ذهبنا من هذا الطرف إلى الطرف الآخر الشّمالى للمدينة لرؤية حديقة لينكولن (Lincoln Park) ومررنا أثناء سيرنا على حديقة جرانت (Grant Park) التي بها تمثال هذا الجنرال وقد رأينا أيضا مدرسة الفنون الجميلة ثم عبرنا نهر شيكاغو (Chicago River) ومنه وصلنا إلى شمال المدينة فالتفتاد نظرنا ما رأيناها من حسن النظام وبديع الترتيب في شارع كبير أجمل من الشوارع التي رأيناها واسمه شارع الملياردير وهو في الحقيقة بالغ غلبة النظافة ومعنى به جدّا وقد علمنا أن هنا منازل أصحاب المليارات الفاحرة المحكّمة البناء التي بها المصاييح الكهربائية الكبيرة على اختلاف أشكالها البديعة فلا يخلو منها هناك مكان حتى الطرق الفاصلة بين هذه القصور الأنيقة -

وصلنا إلى حديقة لينكولن (Lincoln Park) فإذا بها أيضا بحيرة متصلة بحيرة مشيجان فرأينا فيها جملة زوارق تسير بالبنزين أو بدونه

وقد وجدنا بهذه الحديقة مكانا خاصا لنباتات البلاد الحارة فنزلت من السيارة لائقه نظرة على هذه النباتات وقد كانت بجوارها حديقة للحيوانات فلم أتمكن من زيارة الأخيرة لانهمار الأمطار قعدت مسرعا إلى سيارتنا فركبت فيها وسارت بنا . ولما كانت هذه العربة ليست مقفلة فهي من ذوات الغطاء (الكبود) شعرنا بالبرد الشديد وخيل لنا أننا في طريق الأهرام وقت اشتداد البرد في فصل الشتاء حتى إن رفيقتنا مصطفى بك استغربت من هذه الحالة خصوصا أن مدينة شيكاجو ليست على جبل واننا في شهر مايو الذي لا ينتظر فيه برد مثل ما نشعر به الآن - اشتد المطر وزبحر الرعد فرأينا الصنّاع (من نساء ورجال) الذين يخرجون من مصانعهم يسرعون ويهرولون ليلحقوا التراموايات التي توصلهم إلى منازلهم وعلى رؤوس بعضهم مظلات والبعض الآخر قوا جراند على قبعاتهم كل ذلك لانتقاء الماء أما نحن فأمرعنا في السير حتى وصلنا إلى فندقنا . ولما كان باقيا على ميعاد العشاء نحو ساعة وكان ينتظرنا عامل كوك الذي كلفته باحضار تذكرة القطار المعد للنوم (Billet de nuit de Pullman) التي لم آخذها من نيويورك رأيت أن أقضي بعضها معه لحديثه عن إيجابي بمدينة شيكاجو وكيف رأيت المنتزهات والشوارع بها في غلة النظافة وجرى بنا الحديث إلى

مارأيت في نياجارا خصوصا نبع المياه الحارة القابل للالتهاب فقال لي إنه لا يؤمن بصحة هذه الأعجوبة ويظن أنها مصنوعة فلم أستغرب ذلك في مثل هذه البلاد - أما فكري الخاص في هذه المسألة فساكنت أجزأ على التصريح به ضد الرأي العام الذي يعتقد تمام الاعتقاد بصحتها فلما وجدت لي شريكا في اعتقادي صرحت أنا كذلك بأني لا أعتقد بصحة هذه الأعجوبة لمخالفتها للحقائق العلمية -

إن مدينة شيكاغو على ارتفاع ١٧٩ مترا عن سطح المحيط الاطلانطي و ٤٥٠ مترا عن سطح بحيرة ميشيغان ومساحتها ٥٢٠ كيلومترا مربعا وعدد سكانها يبلغ مليوني نسمة وقد قيل لنا إنه لا يوجد بين هذا العدد أكثر من ٣٥٠,٠٠٠ من الأمريكيين القدماء أعني الذين أصلهم إرلانديون أو هولنديون أو سويديون (Suédois) أو دينمارقيون (Danois) وهؤلاء السكان ينقسمون كما يأتي :- ٧٠٠,٠٠٠ ألماني و ٢٠٠,٠٠٠ إرلاندي و ٨٠,٠٠٠ اسكاندينأوى

(Scandinévois) و ١٠٠,٠٠٠ بولوني و ٩٠,٠٠٠ بوهيمي (Bohémiens) و ١٠,٠٠٠ انجليزي ايقومي (Anglais Ecosais)

و ٤٠,٠٠٠ من العبيد والباقي من أجناس مختلفة وقد يتكلم فيها بأربعين لغة وبها جرائد كثيرة تطبع بلغتين وتؤدى القرائض الدينية



هناك بثلاثين لغة فهي إذا بلدة يسكنها خليط من أجناس شتى وقد لاحظت بها كنيسة روسية . هذا وقد رأيت بها كثيرا من التماثيل ففي حديقة البحيرة تمثال الجنرال جوهن لولوجان (John le Logan) وفي حديقة لينكولن (Lincoln Park) تمثال الرئيس لينكولن (Lincoln) وبها أيضا جامعة كبيرة رأس مالها ١٠ ملايين دولار تبرع من هذا المبلغ المثرى الشهير المستر روكفلر (Rockfiller) بسبعة ملايين دولار وليس هذا عليه بكثير فاته أكبر غنى في العالم ومعظم ثروته آتية من استخراج زيت البترول أما عدد تلاميذ هذه الجامعة فيبلغ خمسة آلاف طالب - وبهذه المدينة مكتبة عظيمة تسمى باسم من أسسها المستر نيورى (Newberry) بها ٣٠٠,٠٠٠ مجلد وقد ذكرت قبلا أنى لم أزر مذبحها ولكن هذا لا يمنع من أن أذكره شيئا مما علمته لأهميته فإن مساحته ٢٠٠ هكتار وبه ٤ كيلومترا مربعا قد زرعت فيها النباتات الصالحة لتربية الماشية (Pature) و ٣٠ كيلومترا تغمرها مياه للشرب - وقد يحتوى على ٧٥ ألفا من البقر و ٣٠ ألفا من الخنازير و ٥٠ ألفا من الضأن و ٥٠٠٠ حصان ولا يستغرب القارئ ذبح هذا النوع الأخير من الحيوانات فإن في أوروبا كثيرا من الفقراء يأكلون منه فمثلا في النمسا بعض جزارين لا يبيعون إلا اللحم

التخيل وقد يعلنون عن ذلك في إعلاناتهم التجارية فالأمريكيون أولى من أولئك بأكل تلك اللحوم لأنهم أكثر الناس تهاافتا على جمع الثروة والبحث عن الدرهم بأى وسيلة فأى مانع يمنعهم من التجارة فى هذه اللحوم ؟ ربما يدهش القارئ أكثر اذا قلت له ان لحوم هذه الحيوانات تخطط أحيانا مع باقى لحوم الحيوانات الأخرى ومن ذلك الخطيط تكون اللحوم المحفوظة وهل يعرف أى خيول تذيب ؟ الخيول المسنة التى طال عليها القدم ولم تعد تصلح للاستغال - إن الأمريكين لا يحبون أن يتركوها تموت أو تعلم بدون أن ينضجوها فى شلبيها يسخرونها حتى تفقد قواها ثم يذبحونها ويتاجرون بلحومها - وقد يرد على هذه المذابح كل سنة من ٣ الى ٤ ملايين من البقر ومن ٧ الى ٨ ملايين من الخنازير ومن ٣ الى ٤ ملايين من الضأن و ١٠٠,٠٠٠ حصان ويقترون ثمن هذه الحيوانات التى تذيب بتلك المذابح بمبلغ ٣٠٠ مليون دولار -

أكتفى الآن بما ذكرت عن مدينة شيكاغو بما أن ميعاد العشاء أوف -

بعد أن تعشينا بادرنا إلى النوم وقد عز منا على ترك هذه المدينة غدا ان شاء الله فى منتصف الساعة العاشرة صباحا ولكنى بعد أن أبدلت

ملا بسى خطرى أن أكتب قليلا في رحلتى عن حالة المدينة ليلا وعن أمور رأيتها ولا بد من ذكرها - أما حالة هذه المدينة ليلا فلها تسر الناظرين بأنوارها الساطعة المتلازمة اذ ليس بها كثير من أمثال المنازل الشاحنة ذات الطبقات الكثيرة التى شاهدها فى مدينة نيويورك ولا تساع شوارعها العظيمة تلك الأمور التى لاحظتها هى :-

ان نساء مدينة شيكاغو وبناتها يظهر عليهن الجمال ولكنى أنكر عليهن كل الانكار تمثلهن بالرجال فانهن يركبن الدراجات التى تسير بالبترو (الموتوسيكلات) وكما ترى أحيانا سيدة ورجلا أوفى وفتاة راكبتين على دراجة واحدة من هذا النوع أما اللاتى ينتهزن بالعربات الكهربائية أو السيارات على اختلافها ويقدنهن بأنفسهن فعدددهن لا يحصى والذى ألفت نظرى أكثر من كل ذلك أن الصبية منهن تخرج فى الشوارع والرياض والطرق إلى أن تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها وهى لابسة حلة قصيرة (Jupe courte) عارية الساقين حتى يظهر لها زوج فتغير زياها هذا - ان هذا فى نظرى ونظر كل شرقى لا يزال محافظا على آدابنا الشرقية العالية تبرج ممقوت له من سبى العواقب مالا أريد أن أجاهر به - أما اختلاط الطالبين والطالبات

فى مدرسة واحدة فأظنه أيضا لا يلائم الطبيعة البشرية التى لا تسلم  
مما يشينها إلا اذا جعلت لها دائرة من الحدود لا تنتعها فالحرية  
الانسانية يجب أن يكون لها حد تقف عنده وإلا استعالت إلى حرية  
العجماوات السائمة فى بوادىها - وإلى هنا أترك الحكم فى ذلك للقارئ  
فليحكم بما يشاء - هذه ملحوظاتى أبديتها وأختتمها بكلمة أنصح بها  
أخوانى الشرقين : حافظوا على عوائدنا وتقاليدنا وعلّموا المرأة ما يؤهلها  
للقيام بشؤون منزلها وواجبات زوجها وتربية أطفالها فإن فى ذلك  
نفخنا وسعادتنا وراحة ضميرنا والله يهدينا الصراط المستقيم -

أصبحنا والشكر لله فى الرابع عشر من شهر مايو وما أنت الساعة  
السابعة حتى كا على أهبة السفر فتركنا غرفنا ونزلنا لنُدفع الأجر ثم  
خرجنا من الفندق الساعة الثامنة وركبنا سيارة إلى المحطة التى سنسافر  
منها ولم تكن قريبة من الفندق كالتى وفدنا منها وعند وصولنا إليها  
وجدنا القطار حاضرا فصعدنا إلى عربتنا ووصلنا إلى المحال التى  
جعلت خاصة لنا وهى أيضا عربية (Pulliman) غير أنه كان فى هذه  
المرّة بقطارنا عربية للآكل فاحرة ومحلّ للتدخين وآخر للطالعة  
به جملة جراند ومحلّ للحلاقة به حلاق سودانى ومحلّ لمسح الأحذية  
وفى قطارنا آلة للتلفون يمكن اتصالها بآلة تلفون أى محطة يقف

عليها القطار بجبل دقيق يحفظه خادم العربية الذي يقوم بذلك العمل كلما طلب منه وعلى شريطة الامراع قبل أن يتحرك القطار -

ما أخذنا مكاننا حتى مر علينا مفتش القطار وهو يتبسم إلى كأنه يعرفني وقد رأيت من سائر مستخدمي هذا القطار كل لطف وأدب وهذا الذي سرني كثيرا وبعد أن تحركنا حضر المفتش ومعه مساعده وطلب تذاكرنا بعد أن قدم لنا واجبات الترحيب ثم أتى لي بدليل الطرق الحديدية فعلبت من كل ذلك أتى معروف عندهم وقد وصلتهم أوامر خصوصية في شأنى - بعد قليل أحضر إلى سودانى بعض جرائد بها رسوم فأخذتها مع الشكر . وهنا أذكر للقارئ أن المستغلين بالخدمة في الخطوط الأمريكية الشرقية كلهم عبيد سودانيون ما عدا رئيس السفيرين فهو من الجنس الأبيض وكذا السواقون والمفتشون والمعاونون فانهم من الجنس الأبيض أيضا وقد لاحظنا ذلك أيضا في سائر فنادق نياجارا وشيكاجو حتى إن في بعضها رئيسهم أسود مثلهم وإنى أفضل البرابرة الذين عندنا على هؤلاء العبيد لحقتهم وسرعتهم وتأديتهم حق الخدمة بكمال الآداب مع الدقة . بعد قليل حضر إلينا رئيس السفيرين ليسألنا أن نريد شيئا غير الذى عندهم ليحضره من إحدى المحطات الآتية ويعده لنا

فزادنى سرورا كل هذه الآداب وحسن العناية خصوصا بعد ما قرأتهم عن أمريكا فى المؤلفات التى يذكر فيها أن الأمريكيين لا يرعون للأجانب حقوقا وأنهم فى الحملة غليظو المعاملة لا يهتمون براحة السائحين فى رأيته ولقيته من سائر العمال وانخدم جعلنى أحكم بعكس ذلك .

إن الخط الذى نسير فيه الآن يسمى خط (روك ايسلاند) (Rock Island) وعند خروجنا من شيكاغو إلى ضواحيها لم نرق مناظرها بل هى كضواحي أكثر البلاد الكبيرة حيث منازل العملة والطبقة الفقيرة تكون عادة فيها .

وبعد أن تركناها ودخلنا مزارعها رأيناها جميلة فجعلنا ننعم أنظارنا فيها الى أن أتينا بلدة جوليت التى عدد سكانها ٣٥٠٠٠ نسمة وقد سميت باسم رحالة فرنسى وبها معامل كبيرة لعمل الجعة ولصناعة الصلب وتنانير كبيرة لعمل الفحم الذى يسمى فحم كوك . هنا الأراضي الزراعية التابعة لهذه البلدة عظيمة الاتساع وعدد سكانها بالنسبة لأرضها الزراعية قليل بخلاف الجهات التى سبق مرورنا عليها وقد رأينا بها جملة مزارع كبيرة للفلاحة ولتربية الحيوانات .

وصلنا بعد هذه البلدة إلى أوتاوا (Ottawa) وعدد سكانها ١٠٠٠٠ نفس وبها معمل للزجاج وهى واقعة على نهر فوكس (Fox River)

ومنها الى بلدة لاسال (La Salle) وسكانها ١٢٠٠٠ ودعيت باسم رَحالة فرنسي آخر وبها مصانع للزئبق والسيانيد وفي ضواحيها خمسة مناجم لاستخراج الفحم الحجري وأراضيها خصبة ومبسوطة وتزرع فيها الحبوب وقد مررنا على بعض مستنقعات وبعض مراعي لتربية المواشي .

هذا وقد لاحظنا أن فلاحي أمريكا يستعملون الخيول لا الثيران وربما كان ذلك لأن الأولى أسرع من الثانية . ولا عجب فأن طبيعة الأمريكيين السرعة والحرص على الزمن . أما حالة البقر والثيران فليست جيدة .

وصلنا الى بلدة مولين (Moline) وعدد سكانها ٢٥ ألفا وهي جملة معامل لقضبان الطرق الحديدية ولصناعة السلوك من الحديد - إن الوافد على هذه البلدة حالما يرى بيوت العملة يحكم بأنهم ليسوا على شيء من الثروة . أما من جهة أراضيها فلها تشبه الأراضي التي سبق وصفها .

الساعة الآن واحدة ونصف بعد الظهر وقد كاذهينا قبل هذا الميعاد إلى عربة الأكل فوجدناه طيبا فأخذنا مالد لنا وطاب وعندما قربنا أن ننتهي منه وقف بنا القطار في محطة روك إيسلاند (Rock Island)

التي بها ٢٦ ألفا من السكان ومصنع للسفن تابع للحكومة ثم وصلنا الى دافمبر (Davemport) وسكانها ٤٥٠٠٠ وهى فى مقاطعة يوكا (Iowa) واقعة فى غرب الميسيسى وشهرتها أنها مركز الخطوط الحديدية المنتشرة الذاهبة إلى الشمال والجنوب والشرق والغرب - وفى نحو الساعة الثالثة وصلنا إلى بلدة يوقاسيتى (Iowa City) وسكانها عشرة آلاف نسمة وبها جامعة عظيمة تسمى باسمها .

وفى الساعة السادسة و ٢٥ دقيقة وقف بنا القطار فى محطة موان (Moines) وعدد سكانها ٨٦٠٠٠ وهى عاصمة مقاطعة يوكا (Iowa) وواقعة على نهر الموان أيضا (Moines Rivers) أما منازلها فبديعة الشكل محكمة البناء وموقعها جميل .

أنت الساعة السابعة فذهبنا إلى المطعم للعشاء وفى أثناء ذلك كانت أسرتنا تعد ومن الغريب أنه قبل لى قبل إن هذه الجهات لا يسرك مناظرها ولا حالة مزارعها وفلاحتها ولكنى رأيت الأمر على عكس ما قبل لى فالمزارع أراها سارة فيها جملة ضياع كبيرة مزروعة وقد أنبتت نباتا حسنا ويظهر على سكانها آثار النعمة بما لهم من المنازل الكبيرة الجميلة التى بها اصطبلات لمواشيهم ومخازن لحاصلات أرضهم .

انتهينا من العشاء ولما قربت الساعة التاسعة اقترقنا للنوم تاركين



قطارنا يخترق هذه المقاطعة والمقاطعة الأخرى التي تسمى نيبراسكا (Nebraska) هذا وله الحمد طويلا ليلتنا في راحة ولم نشعر بهزات القطار خصوصا وقت وقوفه وقيامه من المحطات كما كنا نشعر بها وننتبه مذعورين عند حضورنا الى شيكاغو فكان الله أراد أن يتم نعمته علينا فألمهم أيضا السواق أن يتق كل ما يزعمنا وجعله لا يقف ولا يقوم دفعة واحدة فصرنا راضين عن كافة المستخدمين حتى سواق القطار .

قنا من مضاجعتنا نحو الساعة خمسة ونصف صباحا من يوم ١٥ مايو وإذا نحن في خلاء عظيم الاتساع فقررتنا أن عدد سكان تلك البقاع قليل بالنسبة الى أرضها الواسعة وذلك لبعدها عن بعض والسافات الشاسعة بين كل قرية وأخرى . وفي نحو الساعة السابعة و ٥ دقيقة وصلنا الى محطة جودلاند (Goodland) وهي قرية صغيرة يبلغ عدد سكانها ١٥٠٠ نسمة ولكنها على صغرها مشهورة بتجارة الحبوب وتربية الطيور الداجنة ففي أراضيها الواسعة يزرع القمح والشعير وغيرهما .

من بعد هذه القرية آتينا نأرى أرضا مقفرة فكان لا نرى إلا فضاء واسعا وقليل من البقر والحيل ترعى الكلاء الطبيعي .

وقف بنا القطار في محطة ليون (Limon) الصغيرة التي سكانها لا يجاوز عددهم خمسمائة نسمة ولكن منها يتفرع انشط الحديدى الى فرعين : فرع يذهب الى جهة ديفرسيتى (Denver City) وفرع آخر الى كولورادو وپوبلو (Colorado et Pueblo) وهذا الأخير هو الذى سنتبعه ونسير فيه فبقينا في عربتنا وفصلت باقى العربات الذاهبة الى الفرع الثانى وقبل تحرك قطارنا أقبل علينا جميع المستخدمين الذين لا يهابون معنا ليحيونا تحية الوداع و بعد لحظة التوديع بخمس دقائق تحرك بنا القطار الى حيث وجهتنا .

نحن الآن في مقاطعة كولورادو وكأ ترى القطار الآخر الذى افترق عنا يسير على بعد منا ولم يغب عن نظرنا مدة ربع ساعة . وبعد مدة من الزمن أبتدأنا ترى بعض مرتفعات في هذا الخلاء وعليها الثلج الناصع البياض والمواشى تخرج في هذه الأراضى التى بها أيضا بعض تقط بيضاء من هذا الثلج فتمشى بينها ترعى كيفما شامت وحيث طاب لها المرعى . في جهة الكنزاس (Kanzas) قبل كولورادو كما ترى على جانبي خط الطريق الحديدى كثيرا من عظام وهياكل الخيول وقد عدنا أكثر من اثني عشر هيكلًا في مسافة قصيرة فعرفنا أن هناك أيضا ترك الجثث الى أن يفتنها الزمن .

ابداً الجوى يعتدل والحالة تحسن فان الجبال الصخرية ظهرت لنا من بعد ونحن في هذا المكان في مستوٍ مرتفع عن سطح البحر بثلاثة آلاف قدم أما مناظر الثلوج فانها بدعية لا مسبوها وإن خلقها من الأوساخ والغبار أكسبها رُواءً وزادها بياضاً وقد أخذت الشمس ترسل على تلك الثلوج أشعة نظرها الحادة فتذيب قوادها فتبكي دموعاً كاللؤلؤ تساقط فتجتمع فتكون مجرى صغيراً يخدر في سهام الأرض فيرسم على وجه البسيطة أشكالاً مختلفة فسبحانك مبدع كل شئ .

إن رُعوس هذه الجبال معمرة أيضاً بالياض الذي أكسبها وقاراً وكما تقرب منها رويداً رويداً وما مضى ساعة وعشر دقائق حتى وقف بنا القطار في محطة كولورادو اسبرينج (Colorado Spring) وقد كانت في انتظارنا بواب الفندق الذي أسرع اليها فسألناه عن مكان الفندق فأجابنا انه لا يبعد عنا أكثر من مسافة خمس دقائق وهو أماننا نستطيع أن نراه فلا داعى لعربة تذهب بنا إليه .

عند ذكر القارى أن كولورادو تطلق على بلدين متجاورتين احدهما تسمى كولورادو سیتی (Colorado City) وعدد سكانها ٥٠٠٠ نسمة وهى العاصمة القديمة لمقاطعة كولورادو والأخرى تسمى كولورادو اسبرنج (Colorado Spring) وعدد سكانها ٣٠٠٠ نسمة .

مشينا على أقدامنا فررنا على فضاء صغير به بعض أشجار غير مورقة  
وبعده ظهر أمامنا بناء مشيد ذو ست طبقات فاذا هو محط رحلتنا .  
وصلنا الى الفندق الذى يسمى أنتلر (Antler) فدخلناه واخترنا  
غرفنا فى موقع حسن يشرف على الجبال وقد كآ أعطينا وثائق حقائبنا  
للجواب المذكور لياتى بها اليانا فلم نتظره وصعدنا لتفحص عنا غبار  
السفر ولم نستغرق فى ذلك من الزمن إلا قليلا لاشتداد جوعنا وزلنا  
مسرعين الى المطعم حيث كانت الساعة اثنتين الاربعاء فأخذنا  
مكاننا وانتظرنا رحمة السافرين فان هؤلاء الخدم على خلاف عادة  
أرباب الأعمال الأمريكانيين فى غلية البلادة والكسل .

انتظرنا نصف ساعة حتى آتى لنا بالطعام فأكلنا وحمدنا الله وبعد  
ذلك نرجنا ومشينا فى طرقات وأبهاء الفندق فأعجبنا حسن النظام  
ثم أردنا الصعود الى غرفنا لتغير ماعليتنا من الملابس فبدا لى أن أقصر  
أولا شعرى الطويل فذهبت الى حلاق الفندق وفرغت من ذلك  
أيضا ثم صعدت الى غرفتى للاغتسال ولتبديل ملابسى فأخذنا كلنا  
أولا نقدم ملابسنا غير النظيفة التى غيرناها أثناء سفرنا لتغسل حيث  
انا على حسب برنامج رحلتنا سمنكت فى هذه البلدة بحمة أيام فعندنا  
إذا من الوقت مايسع ذلك . هذا وقد أخذت ملابسى الخارجية

جميعها تكون غير لائقة لكثرة التنقل ولوضعها في العياب ولا يخفى ما يحصل عادة أثناء هذه الرحلات للحقائب الكيرة فلن الحملين يلقونها كيفما شاؤوا حينما يفتحها صاحبها يرى عليها سافلها فأعطيها كلها لمن يكويها ثم دخلت الحمام وما ابتدأت في فتح صنوبر المياه حتى سمعت جرس التليفون يدق فأسرعت لأرى ما أراد مني فأخبرت أن أحد مخبري (غازيت دي كولورادو) يريد مقابلي فقلت لمن يكلمني لا أستطيع ذلك الآن لأنني قد أعددت نفسي للحمام . وما انتهيت من عملي هذا حتى سمعت الباب يدق فذهبت لأرى ماذا جد أيضا فإذا هو نفس مخبر الجريدة فاعتذرت له حيث اني لم أكن بملايس تليق بالمقابلة فذهب عني وتحلّصت منه وفقه الحمد .

ألقيت نفسي قليلا على سريري طلبا للراحة وفي نحو الساعة الخامسة والنصف طلبت بالتلفون أن يؤتى الى ملايسي (الاسموكين) فأجبنى من يكلمني : حالا ياسيدي - ولم يمض على ذلك برهة من الزمن حتى دق الباب فقلت من الباب فأجبنى صوت أتريد ياسيدي لفائف تبغ كبيرة أو صغيرة فاستغربت وقلت إني لا أدخن ولم أطلب أبدا بائع التبغ - اني طلبت (الاسموكين) للبسها -

والحقيقة أنه قد التبس عليهم الأمر فلن كلمة (أسموكين) بالانجليزية

معناها تدخين وبما أنه في كل ساحة فندق يوجد بائع دخان فبمجرد سماعه هذه الكلمة من أى سائح يسرع اليه ليقدّم له من تجارته أعلاها ولكنه رجّع خاطبا ولم يكتسب منى فلما واحدا .

بعد ذلك صرت أعلّل نفسي الى أن دق الباب ثالث دقة فقلت لا بد أنهم في هذه المزة قد أتوا الى بما أريد ففتحت الباب فلما رأيت رأيت سيدة تقول انى أصلح الأظافر فهل تريد أن تشرفنى بأن أوذى هذه الخدمة فشكرتها على تلطفها معذرا لها عما تكبدته من التعب ذاكرا لها أنى أصلحتها بنفسي الآن فذهبت الى حاليها وأخيرا أحضروا لى ملابسى فارتديتها وكان فى أثناء ذلك رقيقاى على استعداد أيضا فنزلنا وذهبنا الى مكتب الاستعلامات لنستعلم عما يلزم زيارته فأرشدنا أن نذهب الى الكريستال بارك (Cristal Park) مع باقى السائحين وهو مكان فى أعلى الجبل يُصعد اليه بسيارة معدة لذلك فقرّر رأينا على اتباع هذه المشورة لمشاهدة هذا المكان .

ان كولورادو اسبرنج أطلق عليها الأمريكيون اسم مدينة الشمس وقالوا ذلك لأن الشمس لا تغيب عنها أكثر من ٠ ٤ يوما فى السنة أى إن جرتّها دائما صحوا والمطر فيها قليل ونكتفى لست على يقين من صدق ما قالوا وقد ذكرت هذا برحلتى بناء على أقوالهم . وأرى أن

الأولى بهذا الاسم هي عاصمتنا فيمكننا إذا أن نسميها مدينة الشمس الحقيقية .

إن المدينة التي نحن فيها الآن مرتفعة عن سطح البحر ستة آلاف قدم وهي مبنية تحت الجبال الصخرية وبها شوارع كبيرة مغروس على جوانبها أشجار لم تورق الى الآن وقد سمعنا أن السماء أمطرت قبل حضورنا بيوم واحد برداً تراكم بعضه على بعض حتى بلغ ارتفاعه فوق سطح الأرض أربعين سنتي متراً . أما أشجارها على اختلاف أجناسها فانبثت متأخر في الإبراق ولكن هواءها جاف ومفيد جداً للصائين بأمراض السل والصدر فهي لذلك مورد هؤلاء البائسين الذين يحضرون للسكنى فيها ويؤجرون منازل صغيرة معلة لهم في حيّ معلوم . ولقد كان حضورنا بهذه البلدة قبل ميعاد موسمها الذي يكون عادة في الخامس عشر من شهر يونيه وطالما سمعنا عنها كثيراً حتى قيل لنا إنه ممنوع كلية البصق في الطرق للحفاظ على الصحة ومن يخالف ذلك يعاقب بغرامة قدرها دولار ولكنا رأينا كثيراً من الناس ينتهزون فرصة عدم وجود الشرطة فيبصقون في الأرض تاركين آثارهم يدل عليهم مخالفين الأوامر والتنبيهات وأما الألواح الصغيرة المعلقة في كل مكان ومكتوب عليها (ممنوع البصق) فلم تعد أيضاً ولم تبطل من الناس

هذه العادة القبيحة التي تكون أحيانا سببا في انتشار الأمراض  
 الشديدة التي تذهب بحياة الانسان . ختمنا يومنا وبعد العشاء افترقنا  
 للنوم وفي اليوم الثاني (الخميس ١٦ مايو) في الساعة العاشرة صباحا  
 ركبنا السيارة مع باقي السائحين وعددنا نحو عشرين شخصا للصعود على  
 قمة الجبل لرؤية الكريستال بارك وسرنا في طريق خاص للسيارات  
 التابعة للشركة التي احتكرت هذا الطريق ولا يمكن لأحد أن يصعد  
 ويسير فيه الا بواسطتها وعلى سياراتها التي أعنتها لذلك . دفعنا أجرة  
 هذه الزيارة دولارين عن كل فرد وصرنا كسائحى كوك كلنا في سيارة  
 واحدة ومعنا دليل شاب صغير واقف على سبلها وظيفته أن يشرح  
 لنا ما يقتضى شرحا فاخترقنا البلدة ووصلنا الى كولورادو سبتي فألقمت  
 الدليل نظرنا الى كوخ قديم وقال لنا إنه أقدم منزل في هذه البلدة كان  
 يسكن فيه القومندان المعين من قبل الحكومة لما كانت هذه الجهة  
 خالية من العمار . هذا وقد كانت كولورادو تابعة للكنساس (Kansas)  
 التي كانت تحت أيدي الهنود أولى اللون الأحمر وبها معابدهم وألهمهم  
 وقد رأت الحكومة الشدائد والأهوال في إخضاعها لاعتقاد هؤلاء  
 الهنود بأن أراضيها مقدسة .

استمررنا في طريقنا مدة من الزمن ثم أشار دليلنا الى صفور عالية



جاء واقعة على مسافة من يمين الطريق وقال : ان هذا المكان يدعى  
 حدائق الآلهة وبعد ذلك مشى بنا السيارة الى جهة الشمال ثم وقفت  
 أمام باب كبير كان مغلقا بسد الطريق ففتحته الدليل ومررنا منه  
 ووراء هذا الباب الأرض التي فيها طريقنا وهي مملوكة لأحد  
 الأمريكيين - وقد قيل لنا ان المدة التي أنشئت فيها هذه الطريق  
 استغرقت سنة وعشرين يوما وذلك لصعوبتها لأنها حجرية - هذا وقد  
 مررنا على كثير من الصخور التي لها أشكال مختلفة تمثل هيئة  
 حيوانات أو طيور أو غيرها ولأجل أن يشغلوا السائح فلا يشعر بملل  
 سمو كل شكل اسما يوافق هيئته فصار الدليل بين وقت وآخر يشير  
 الى صخرة قائلا انظروا هذه فلها شبه الأسد تمام المشابهة وهذه تشبه  
 (الضفدع) والأخرى تحاكي (الرينوسيروس) وهكذا - فتتجه الأنظار  
 الى هذه الصخور وصرنا نلاحظ ما يقوله رفاقنا الراكبون معنا فنهم  
 من تظهر عليه علامات الاستغراب والدهشة من انطباق الشكل على  
 الاسم ومنهم من يرى بعض النقص في انطباق الشكل على اسمه .  
 أما نحن فكان همتنا أن نسمع ما يقال ونرى ما يشار اليه فتعقب  
 أقوالهم ونحكم بعد المداولة بيننا ذاكرين أيهم أحق وأصدق قولاً  
 وأقرب الى العقل .

استمررنا السير في هذا الطريق الذي يرتفع تدريجاً الى أن وصلنا الى عقبة كؤود وهي إحدى تلك الأشكال فوجدنا المرور منها صعباً فاضطر سائق السيارة أن يرجع قليلاً الى الوراء منعنداً ثم يتقدم الى الأمام محرّكاً السيارة الى الاتجاه المراد السير فيه وهكذا الى أن مر من هذا المضيق الذي أزعج المرور منه بعض السائحين وذهب بالطمأنينة من نفسه خصوصاً مصطفى بك الذي لم يسبق له الصعود الى أعلى الجبال فكان يرى الصعوبة أمام عينيه مجسمة وقد قرأنا ذلك على هيئته وشف عنه كلامه وحركاته الدالة على عدم الاطمئنان .

هنا رأينا حفرة عملت لتكشيف معدن الذهب ولما وجدت النتيجة لا تنفي بالغرض تركت .

استمررنا الصعود الى أن وصلنا الى مكان آخر أصعب من الأول ولإدارة السيارة لتسلك الطريق المتعطف دفعة واحدة عمل لذلك (بلات فورم) يشبه الذي في بعض المحطات المعد لتحويل اتجاه القاطرات (صينية تغيير اتجاه القاطرات) فتمت هذه العملية الصعبة ونحن لم نترك مكاننا - هنا ظهر لنا منظر مدينة مانيتو (Manito) الجميلة التي يبلغ عدد سكانها الألفين وبها كثير من منابع المياه المعدنية والغازية .

وفي أثناء سيرنا وجدنا بعض العملة يشتغلون في إصلاح الطريق وإزالة الثلج المتراكم عليها وفي منعطف منه قيل لنا : هنا ( الجلالة والعظمة ) حقيقة المنظر جميل ولكن لا أراه يستحق هذا الوصف .  
وقفت بنا السيارة فلم تستطع السير فان كثرة الثلج على الطريق منعها وفي أثناء ذلك نزل منها رجل ومعه آلة التصوير وصعد على ربوة في منعطف لتصويرنا فأخذ في إزالة ما يعوق السيارة وبعد جهد وعناء وقفنا الى الاستمرار في السير وتركنا هذا المصور في مكانه وقد صادفنا هذه العوائق ثلاث مرات وفي كل مرة نلاق مشقة في إزالة ما على الطريق من الثلج .

وصلنا بعد عناء شديد الى ما يقرب من آخر قمة الجبل ولم يبق بيننا وبين آخر الطريق أى أعلى مكان فيه الانحدار . ٤ مترا ولكننا أيضا في هذه المرة وقفت بنا العربية وقوفاً تاماً رغماً من قوة آلانها لتراكم الثلج أكثر مما صادفناه قبل فاضطر السائق أن يترك السيارة ويذهب للبحث عن فأس وغاب عنا وقد كانت أمامي سيده عجوز فسمعتها تقول : إني لأشعر بجمال هذه المناظر فأحدث به الالام بعد نزولنا ووصولنا الى أسفل الجبل سائلين . فعلت أن ليس مصطفى بك هو الوحيد في شعوره وذهاب الطمأنينة من نفسه فقد شاركته هذه

السيدة فيما يجد وطالما سمعته يردد هذه الجمل بين شفتيه : الى متى  
نصعد الى قم الجبال ؟ وهل من فائدة تنال من وراء ذلك ؟ إلى  
أرى في عملنا هذا مخاطرة .

حضر السائق ومعه الفأس وأخذ يشتغل في فتح طريق للسيارة  
حتى نصل الى غايتنا ففتحت الطريق وصعدنا الى اعلى قمة  
في الكريستال پارك (Cristal Park) - هنا المنظر يستحق الإعجاب  
بلجانه الرائع فبالرغم من ذلك الارتفاع الهائل نحن في متسع من الأرض  
لا يصعب على سيارتنا أن تدور فيه فليتصور القارئ هذا المكان  
المستوى على قمة الجبل وكيف يكون حال السائح بعد تكبده الصعاب  
للوصل الى هذه القمة الشاهقة خصوصا حينما يرى نفسه في مكان  
آمن يرى آثار قدرة الله وجلال صنعه وأتما يوجه نظره يشاهد من  
المنابر المختلفة ما تقر به عينه فينشرح به صدره .

بعد أن مكثنا قليلا من الزمن في هذا المكان الرفيع أدار السائق  
سيارته للتزول بنا وقد تغير الحال وسهل الأمر يزوال عقبات الصعود  
وقد وجه دليلنا أنظارنا الى صخرة سماها (فيدى Fedie) ويعنى بهذا  
الاسم المستر ووزفت ونظن أن سبب هذه التسمية مشابهة بينهما .  
وفي أثناء نزولنا صاح الدليل النسر النسر فسرعان ما تحولت أنظار

السائحين الى الجهة التي أشار اليها باحثة عن هذا الطائر الشهير لرؤيته عن قرب ولكن ماذا رأوا ؟ رأوا طرف غصن شجرة يابس يشبه النسر قليلا فما أكبر مغالاتهم وما أوسع دائرة خيالهم .

لم يمض على مفارقتنا المصور أكثر من عشرين دقيقة حتى رأيناه ينتظرنا في الطريق فصعد الى السيارة ويده صورتان في غلاف لطيف وشرع يعرضهما على السائحين وهما اللتان صوّرهما عند صعودنا وفيها زميلنا مصطفى واقف ويده كرة من التلج . فما أسرعه في عمل الصورة انه أدهش الحاضرين .

وقد كان مع هذا المصور دفتر لكتابة أسماء من يريد شراء عدد من صوره وكان يأخذ ثمن الصورتين نصف دولار ويعطى المشتري وثيقة تشهد بأنه تسلم الثمن ويقيد في دفتره العنوان الذي يسجل معه أن يرسل الصور اليه وقد فعل وأرسلها اليوم التالى لهذه الزهرة .

استمر بنا النزول الى أن وصلنا الى سطح الأرض ومنه ذهبنا الى الفندق نحو الساعة ١ و ٣ دقيقة بعد الظهر وقد مررنا في طريقنا على ثلاثة محال لتطهير الذهب المستخرج من بطون الأرض ولم تستغرق رياضتنا هذه أكثر من ثلاث ساعات ونصف في الذهاب والإياب مع أننا ارتفعنا ألفي قدم عن مدينة كولورادو اسبرنج قباضافة

هذا الارتفاع الى ارتفاع هذه المدينة نجد أننا كنا على علو ٨٠٠٠ قدم عن سطح البحر والغريب أننا لم نشعر وقتئذ بشدة البرد وهذا ما جعلنا مسرورين من استراضتنا هذه .

لست ممن يجنسون الأشياء حقها ولا ممن ينكرون على الطبيعة جمالها ولكن كثرة سياحائي في أنحاء العالم جعلت لي بعض القدرة على التمييز بين المناظر فترت عندى ملكة ترشدني الى مواضع النقص في كل مكان . اني أعرف أن كل جهة خصها الله بمزايا توافق حالها وموقعها ولم يكن عززا عليه سبحانه وتعالى أن يجعل الكون جميعه على حالة واحدة فلهكمة يعلبها خلق جمال الطبيعة وفرقه بارادته على البقاع فهو رب الكون يفعل به ما يشاء جلت قدرته وتنزه عن أن ينقذ عمله ناقد غير أنه لما كان لكل ساحح أن يكتب مآرآه في رحلته وما استحسنه فلا أريد أن أحرم نفسي من إهداء ما يتاجني به شعوري أمام منظر .

إني وفيه هذا المكان حقه من الوصف فلم أحط من قيمته وما أبدت ملحوظاتي الآتية إلا مضطرا لذكرها بحكم تأدية الواجب على ساحح وضع نفسه موضع الحكم العادل فأستطيع القارئ في بيانه :

إن جبال هذه الجهة كثيرة وما أضع بهجتها إلا أنها متقاربة بعضها من بعض لا تزينها الأشجار الكثيرة ولا تكسوها النباتات المختلفة تلك

الحلة الخضراء . والنظر اليها لا يشعر بعظمة ارتفاعها لأنها مرتفعة في انحدار فذهب ذلك بكثير من عظمتها أمام الراى فلم يترك منظرها في نفسى أثرا للعجب والامتصان فأين السكان ومنازلهم الجميلة وأمن الحيوانات التي ترتفع وتسرح في مراعى الكلا إنها خلوية قاحلة مجدية أينما مرّح السائح نظره فيها لا يرى إلا فضاءً واسعاً وسكوناً موحشاً وإنى ممن يفضلون رؤية النسر يُخلق في هواء هذه الجبال عن رؤية غصن يابس لا يشابهه إلا في خيال الأميركيين الذى يخيل اليهم من العدم وجوداً ومن المبالية مشابهة .

هذا وقد كان بوذى أن أرى في ربوع هذه الجبال سكان أميركا القدماء بيوتهم القديمة وملابسهم المختلفة الألوان يسرحون ويمرحون في بداوتهم الأولى .

بعد وصولنا إلى الفندق ذهبنا تناول الغداء فلم يؤت إلينا به قبل الساعة الثانية والنصف فأكلنا وصعدنا إلى غرفتنا للراحة قليلاً ولما كانت الاقامة فى كولورادو اسيرنج لم ترقى كثيراً خصوصاً مدير محل كوك بشيكاجو أخبرنى من قبل بأن اقامة أربعة أو خمسة أيام بها داعية إلى الملل فأسرعت إلى مكان يقصده طلاب السنسر (Agent de voyage) وهو على الطريق أمام الفندق وسألت هل

يستطاع تغيير موعد سفرنا وتقديمه إلى اليوم الثامن عشر من مايو بدل العشرين منه حتى نكتسب من الوقت يومين نقضيهما بكاليفورنيا على شاطئ البحر بين إساتينها النضرة وزهورها الشهيرة فأخبرني أحد العمال أن القطار السريع (الأكسبريس) الذي أخذنا تذاكرنا للسفر فيه إلى (الجران كانيون) لا يسافر من هنا إلا مرة واحدة في الأسبوع فيلزمنا الانتظار إلى يوم ٢٠ مايو فإذا لم يكن بد من تعجيل السفر فليس أمامنا إلا القطار العادي الذي يقطع هذه المسافة (أى بين كولورادو اسپرينج والجران كانيون) في ٣٨ ساعة وليس به عربة أكل و يلزم المسافر فيه أن ينتقل من قطار إلى آخر مرات ففضلت التعب على أن أمكث هنا بدون فائدة خصوصا أننا لو أردنا الاستراحة في متنهايتها للزمنا للذهاب إليها قطع مسافة لا تقل عن ١٠ كيلومترات .

فوعدني أن يرسل إشارة برفقة إلى شيكاغو وداشر (Chicago et Danver) ليكون على علم من وجود محال خالية بالقطار فافترقا على ذلك وذهبت إلى الفندق لكتابة رجلي في غرقتي وإذا بأحد الخدم حضر ويده بطاقة زبدة أحد السوريين فكلفت مصطفى بك أن يذهب إلى هذا الزائر ويقابله ويعلمه بكل لطف أني الآن متعب وفي فرصة أخرى إن شاء الله أقابله . ولما اطلع خيري بك على هذه البطاقة أخبرني أنه



يعرف أخاه وهو أحد ضباط القسم الطبي بالجيش المصرى ويظن أن صاحب هذا الاسم يكتب أحيانا جريدة المقطم بمصر فقلت له لك أن تذهب اليه لتعرف الحقيقة وبعد ربع ساعة نزلت من غرقي فوجدت رفيقاً جالساً مع هذا الزائر فرأيت أن أقبله لاسيما أنه أتعب نفسه بالحضور للسلام على - والسؤال عنى فأشرت إلى زميل - أنى مستعد لمقابلته فحضرا به وقدماه إلى فعلت منه أنه الآن موظف حكومة بكونرادو اسبرنج وقد رأيت منه ضعفا شديداً وعجزاً عن أداء ما يريده باللغة العربية فكأنه نسي لغته الشريفة وقد صار يكلمنى باللغة الانجليزية أما معرفته اللغة الفرنسية قليلة وقد حكى لى أنه كان موظفا بمصلحة الطرق الحديدية المصرية قبل بضع سنوات والآت أجل أمانيه العودة إلى بلاد الشرق التى يحن إليها فتكلمت معه مدة عشر دقائق خصوصاً عن المعيشة الأمريكية وغلانها وعمانجده فى بلادنا من أن قليلاً من الكسب يكفى لمعيشة أهناً وأطيب من المعيشة فى مثل هذه البلاد التى تحتاج إلى نفقات فادحة - وبعد ذلك انصرفت وتركته صديق - معه ولما أتى ميعاد العشاء تناولناه وبعد أن استرضنا عشرىن دقيقة بجوار الفندق سعدنا واقترعاً للنوم .

وفي صباح يوم الجمعة (١٧ مايو) حضر مخبر الجريدة الذي يريد  
بأى وسيلة مقابلي فقابلته وسألته عما يرغب فقال لي انه قرأ في جرائد  
نيويورك وشيكاغو كثيرا عنى وبما أن للأمريكيين مصالح كثيرة  
في مصر فيود أن يعرف من أخبارها شيئا حتى يكتبه في جريدته ليفيد  
قراءها فاعتذرت له ببعدي عن المسائل السياسية وفهمته أنى  
لم أحضر الى أمريكا لأى غرض سياسى بل كل ما أقصد السياحة  
فلم أرد الكلام معه في هذا الموضوع لقبوله التفسيرات الكثيرة التى  
تتوسع فيها الجرائد على حسب ملهوى ولما فى ذلك من التعرض  
لعدم استحسان بعض المشتغلين بهذه المسائل فيكثر القيل والقال  
والأخذ والرد وربما ينسب الى حديثى ما لم أقله فالى وهذه الشؤون  
المقلقة التى ليس وراءها جدوى .

انتقلنا من هذا الحديث الى موضوع رى الأرض ولما أراد معرفة  
أى الطرق أوفى بالغرض وأتقع للزراعة أخبرته أنى أبلغ من العمر  
نحو الست والثلاثين سنة وفى خلالها سمعت كثيرا عن أحوال  
الربى ولا أعلم أى الطرائق المصرية أم الهولندية أم الأمريكية كانت  
أحسن نتيجة من غيرها وظنى أن كل بلدة ترى أن طريقها أتم وأكثر  
اتقاناً من طرق البلاد الأخرى وقد ضربت له مثلا اختلاف

افكار المهندسين في هذا الموضوع وقلت له كيف لي أن أحكم في هذا الموضوع والخصيصون به إلى الآن لم يبتدوا ويتفقوا على طريقة واحدة فان كل مهندس يرى أفكاره وطرائقه في الرى أحسن من أفكار الآخرين ولو أنهم في بلدة واحدة فما بال الطرائق المتعددة التي تتبعها البلاد المختلفة . وبعد ذلك رجوته ألا يكتب في جريدته مادار بيني وبينه من الحديث ثم تكلمت معه عن سياحتي وعمالقيت من حسن مقابلة الأمريكيين ولطفهم الذي جعلني أمحو ما علق بفكرى من كل ماقرائته في الجرائد والمؤلفات الكثيرة التي طالما كتبت عما يلاقيه السائح من الصعوبات في أمريكا وغيرها وقد أخبرته أنى أفضل الأمريكي الساذج بأخلاقه السهلة على الأمريكي المثرى صاحب المليارات الذي يتغلب عليه الكبر فيتيه عجا . وقد أظهرت له ما أخذته على أمثال هؤلاء الأغنياء الذين يذهبون كثيرا إلى أوروبا للاقامة فيها رغبة في الظهور فان أموالهم الطائلة تجعلهم هناك من أصحاب المنازل الرفيعة حتى يشار اليهم بالبنان فيلاتون من الاحترام والاكرام ما لم يحلوا به في بلادهم الواسعة التي بها كثير من أمثالهم ممن يفوقونهم في الثروة وان كان لهم شئ من الشهرة في بلادهم فهي محصورة في دائرة أشغالهم بين من لهم ارتباط بأعمالهم فلا يعرفون بين

الأمريكيين مواطنيهم الا باسم (المستر فلان صاحب معامل كذا أو المستر فلان مالك أراضى كذا) وبما أن الأغنياء في أمريكا كثيرون فوجودهم في بلادهم لا يوجه الأنظار إليهم . كذلك السيدات المثرىات الشهيرات يجالهن يذهبن أيضا الى أوربا فتكتب عنهن الجرائد وتفتح أمامهن الأبواب وتسابق الى معرفتهن أصحاب الألقاب الضخمة فتشرح صدورهن وتخلو لهن الإقامة بتلك الديار التي يجدن فيها كل أسباب السعادة والهناء فالفرق إذا عظيم بين وجودهن في أمريكا الواسعة التي لا تشعر بمقدارهن لكثرة أمثالهن وبين وجودهن في أوربا موضع الإجلال والاحترام التي تسطع أنوارهن فيها ويظهرون في سماتها كأئبن الأقدار .

انتقل بنا الحديث الى أحوال البحر وتغير الطقس ثم الى أنواع الفواكه والخضر فقلت له في ذلك إن كل شئ في أمريكا كبير مجسم حتى فواكهها فلها أكبر من فواكه البلاد الأخرى فكان الطبيعة أرادت أيضا أن تخرج من نبتاتها أثمارا تشبه أخلاق الأمريكيين المغرمين بكل شئ كبير ولكن مع الأسف أراها حسنة المنظر قليلة الخلاوة ولذاذة الطعم . افترقا بعد هذه المحادثة وذهب الى حال سبيله مسرورا . أما نحن فعولنا على زيارة حديقة الآلهة Jardin des Dieux

التي تبعد بمقدار اثني عشر كيلومترا فلستأجرنا سيارة ومررنا إليها محترقين شوارع المدينة مازين على كولورادوسني وفي ابتداء الطريق الموصل إلى الكرستال يارك الذي سبق الكلام عليه سرنا إلى جهة اليمين وهناك أيضا المدخل ملك خاص لأحد الألمان فوصلنا إلى حديقة غريبة الشكل صخورها منتشرة ومتفرقة وكلها ذات لون أحمر قاني كلون القرميد فكان لون السماء الأزرق الصافي وأشعة الشمس الذهبية المنبثة على هذه الصخور تجعل المنظر بديعا رائعا وقد أخذ سائق سيارتنا يقول لنا انظروا إلى هذه الصخرة إنها تشبه الجاموس الوحشي وإلى هذه قلنا تشبه السلحفاة وإلى الثالثة التي أمامنا إنها بحملين يتعانقان وإلى الرابعة البعيدة عنها قليلا إنها تمثل امرأة إيرلندية وهي تفصل وقد وصل به خياله أن نطير إلى صخرة وقال ما أقرب الشبه بينهما وبين أبي الهول إنها تشبهه من كل وجه . وأخيرا وصلنا إلى صخرتين قائمتين كههيئة باب يسمونه باب حديقة الآلهة فقربنا من خص (كشك) هناك خرج منه شيخ أراد أن يبعنا صورا (فتوغرافية) فسأته هل أنت ألمانى : فأجابني بالطبع ولم أعرف سببا لجوابه الا افتخاره بعظمة ومجد أمته وبالشرف الذي يلحقه بالانتساب إليها وقد سألتى هو أيضا هل أنتم فرنسيون فأجبتة إننا مصريون فظهر لى من هيئته أنه قد لا يعرف

بلادنا وموقعها في الدنيا فاشترت منه مجموعتين بهما مناظر حديقة الآلهة وقد قال لي سائق السيارة ان لهذا الألمان ٤٠ هكتارا من حديقة الآلهة وابقيا ملك لكيلورادوا سبرنج وهو يكتسب من الصور التي يبيعها للسائحون وبعد ذلك استمررتا في طريقنا وعاد السائق الى دينه فأخذ يلفت أنظارنا الى الصخور التي تشبه الأسد وغيره من الحيوانات الى أن صرنا قرييين من بعض صخور غبراء اللون بفعل موقعها بين باقى الصخور الحمراء المنظر يديعا فلاختلاف أشكال هذه الصخور وألوانها اعتبرتها الهنود القدماء ( ذات الجلد الأحمر ) حديقة الآلهة - هذا وقد ألفت نظرنا في هذا المكان حفرة مائلة قائمة على طرف حفرة أخرى وهي مائلة إلى جهة الأرض فيخيل إلى الناظر إليها أنها على وشك السقوط لضعف مركزها وظنى أنه إن حصلت زلزلة بهذه الجهة فلا بد أن تذهب بهذه الصخور -

خرجنا من زيارة هذه الحديقة وصرنا شمالا فوصلنا إلى حديقة طبيعية ملك للجنرال بالمر (General Palmer) في مدخلها وجدا خصا (كشكا) للبواب وهي تستحق الزيارة لشدة الاعتناء بها وقد نظمها هذا الجنرال وأحكم تنظيمها لما كان قومنداننا لهذا الموقع وقد توصل إلى اقتناء ثروة عظيمة تقدر بالملايين . هذا وقد فاتني أن أذكر

أنا قبل مدخل هذه الحديقة رأينا بناء صغيرا جعله الجنرال مدرسة  
لتربية أبناء مستعظميه .

إن هذه الحديقة تشبه باقي الأمكنة المجاورة لها فإن بها صخورا قائمة  
مكونة لأشكال مختلفة بعضها أحمر وبعضها الآخر أغبر غير أنها تريد  
عن غيرها بوجود أشجار بين هذه الصخور ونبع صغير يجري مائه  
فاكتسبت جمالا وزادت حسنا وقد تصورتها بعد أن تورق أشجارها  
وحكمت أنها لابد من أن تكون آية في البهاء لاسيما ان القصر المشيد بها  
المتخذة أحجاره من صخور رصاصية اللون أبعد عنها وحشة العزلة  
والانفراد .

ان هذا القصر كان يسكنه الجنرال بلر وقد توفي منذ سنتين ولم  
تفتح أبواب هذه الحديقة لعامة الزائرين إلا من ابتداء السنة الماضية  
هذا وقد رأينا غير ماذكر مصابيح كهربائية منتشرة بين الأشجار محكمة  
الوضع وأظن أنها اذا أضيئت ليلا تكون ذات بهجة ففسر الناظرين .  
وقد ترك الجنرال ثلاث بنات اثنتان منهن متزوجتان بأمريكا والثالثة  
تقيم الآن بمدينة لوندرة .

بعد أن أكتمنا زيارتنا بهذه الحديقة عدنا من طريق آخر مستورى  
منه منظر المدينة ووصلنا إلى الفندق نحو الساعة الحادية عشرة والنصف

فصعدنا إلى غرفنا لازالة ماعلانا من التراب ولتهيئ أنفسنا لتناول  
الغداء .

ولما كنا ننتظر مساء ماذا نتم في شأن السفر فبعد الظهر لم نرد  
الاتعداد كثيرا عن الفندق واكتفينا بركوب عربة للرياضة داخل  
البلد التي وجدناها مستطيلة قليلة العرض وقد مررنا في وسط شارع  
عظيم على جانبه منازل (قِيَلًا) صغيرة محكمة التشييد والتنظيم وهذا  
الحق هو مسكن بعض الأغنياء أصحاب القناطير من الذهب التي  
اكتسبوها من استخراج المعادن وقد علمنا أن أعظمهم ثروة يدعى  
المستر بورنس وقد كان في الزمن السابق (لميجي) مشهورا بإدمانه الخمر  
وإفراطه في سكره فساق اليه حظه تكشيف منجم أكسبه هذه الملايين  
الكثيرة - نعم إن أغلب المعادن تمتلكها الشركات ولكن أكبر  
المساهمين فيها هم الأغنياء . - والطريقة المتبعة في أمريكا أن أى  
شخص يثبت للحكومة أنه صرف مبلغ . . . ٥٠٠ دولار أى مائة جنيه  
في البحث عن معادن أو غيرها وأنت هذه المباحث بفائدة تعطيه  
الحكومة في بقعة يبحث ما مقداره عشرة هكتارات ولا شك أن  
الباحث إذا رأى فائدة من امتلاكه مايجلور مامنحته الحكومة لا يلبث  
أن يشتري مايراهنا فعا له منها بدون صعوبة - أن مدينة كولورادو إسبرنج



مشهورة بمناجها الغنية وقد كانت سببا في إثراء كثير من المشهورين بالثروة في أمريكا ولكنهم رغما من ذلك لا يصرفون في إصلاحها شيئا وإن هم إلا رجال أعمال فكما زادت أموالهم اتسع مجال أطعامهم ولا هم لهم إلا مضاعفة ثروتهم فلا يشتغلون إلا للجمع والادخار كأنهم خلُقوا ليملكوا زمام الأموال . وقد بنى هنا المستر بورنس ملهى صغيرا جميلا لالمنفعة العامة بل لما سبذره عليه من الأموال عند افتتاحه .

هذا وقد رأينا ببولورادو اسيرنج طريقة غريبة لرش الشوارع وهي أن تمر عربة من عربات الترامواي وبها صهرج كبير مملوء ماء قُرش الشارع على عظيم سعته وقد لاحظنا أيضا طريقة أخرى لتنظيم الشوارع وجعلها في مستوى واحد بسرعة عظيمة وهي : عربة كبيرة تجرّها عشرة أفراس وفي آخرها من الخلف محراثان من الحديد لقلب الأرض وهما موضوعان بميل حتى إذا مشت العربة زادت طبقة الأرض المزالة فتسقط على بساط دائر أيضا يحمل الأتربة ويسير بها الى الأمام فتجتمع في مقنعة العربة وهناك مجرى بارز على جانبيها الأيمن تخرج منه الأتربة المتراكمة فتأتى عربة صندوق تمشى تحت مصب هذا المجرى وتتبعها عربات أخرى مثلها وكلها امتلأت الأولى

أمرعت لتفريغ حمولتها وأخذت مكانها عربية أخرى وهكذا فتحرث الأرض وتزال طبقة من وجهها وتحمل الأتربة كل ذلك يتم في آن واحد وقد ربط في مؤخر هذه الآلة أربعة أفراس لحفظ الموازنة وجعلها تمتشى على خط مستقيم . فتأمل الى أى غاية وصل استعمال الآلات المسهلة للأعمال حتى استخدمت في تنظيم شوارع المدن .

لأزلنا في رياضتنا هذه داخل المدينة الى أن أخذ المطر ينهمر ولما كانت عربتنا مكشوفة ولم يكن معنا مطريات (شمسيات) نتقي بها المطر ولا (ماكينتوشات) اضطررنا أن نضع أحلاس الخيل (أشلال) القذرة على رؤوسنا نتقي بها الأمطار وكان منظر رفيقنا مصطفى مضحكا جدا فانه قبع في حلس (شل) كما يقبع القنفذ في إهابه حتى اختفى فلم يبد منه الا عيانه فتذكرت حالتنا وشبهتها بحالة الفقراء بمصر عند هطل الأمطار وهم يضعون ثيابهم (جلاليهم) على رؤوسهم وكان يودى أن تُرمم صورنا ونحن على هذه الحالة حتى يكون عندنا أثر وتذكّار لهذه الاستراحة وعدنا مسرعين الى الفندق على آخر سرعة الخيل .

ولما جاءت الساعة السادسة ذهبنا الى مركز أسفار السائحين للسؤال عما تم في شأن تقديم ميعاد سفرنا فأخبرنا أنهم لم يجدوا محال خالية تكفيهم ومن عجيب أمرهم أنهم قبل أن يصلهم أخبار عن امكان

سفرنا وقبل أن يعلموا هل كنا قبل السفر بهذه الطريقة الصعبة أرسلوا  
إشارة برقية الى شيكاغو أعلنوا فيها أننا استغنينا عن محالنا القديمة  
فسأني هذا التصرف المدهش وسألتهم كيف رأيتم أنه يتيسر لنا السفر  
مادامنا ثلاثة ولم نجدوا الا محلين مع ما فيه من كثرة الانتقال من قطار  
الى آخر فطلبت إعادة محالنا القديمة الينا فأخبروني بأنهم مضطرون  
إذا إلى إرسال إشارة برقية أخرى الى شيكاغو حالا لإعادة محالنا  
القديمة فتكدرت من هذه الحالة اذ يجوز معها أن لا يتيسر لنا السفر  
في يوم ٢٠ فنضطر الى الإقامة بهذه البلدة الى الأسبوع التالي فأين  
تقضى أوقاتنا اذا قدر ذلك ونحن من الآن أخذنا نشعر بالسامة من  
الإقامة فيها ولما رأوا استيائى من تصرفهم قالوا انهم سيبدلون كل  
ما في وسعهم لإعادة محالنا الينا ورغما مما بدا لي من اهتمامهم وتأكيدهم  
لم أطمئن ولم أثق باستطاعتهم إرجاع هذه المحال فعدت الى الفندق  
مغموما وجلست مع رفيق في طنقها (غير انقلتها) واذا بسيدة صارت  
تقترب منا فرأيت من هيئتها أنها ليست أمريكية وذلك اسواد عينيها  
وشعرها وميل لونها الى السمرة وقد أصاب ظني قلنا لما سمعنا تتكلم بلغتنا  
العربية جاءت الينا مسرعة تخاطبنا بهذه اللغة الشريفة فعملت من  
ألفاظها ولهجتها أنها سورية وكنت لا أتوقع أن أجد في كولورادو اسبرنج

سيدات سوريات فعلت منها أنها تاجرة ولها عمل تجارى في البلد وانخر في الفندق فسألها عن حالتها وهل تجارتها رابحة فأخبرتني أنها تباع في السنة بما يزيد عن الألف والخمسمائة جنيه ولكنها تشكو كثيرا من غلاء مطالب المعيشة فكل ما تكتسبه أو جله يذهب في نفقات معيشتها وقد قالت إنها وفدت مع أمهرتها الى هذه البلدة حين بلغت الثانية عشرة من عمرها ولم ينسها طول غيبتها عن وطنها هذه المدة لغتها الأصلية ولم تزل تحن شوقا الى بلادها أما والدها الذي يبلغ من العمر عتيا فانه لا زال يتذكر وطنه ويترقب الفرص التي تمكنه من العودة اليه . وقد رجينا أن نزور دكانها الذي بالفندق فأجبناها الى ما طلبت فدخلناه ومكثنا به قليلا فرأينا فيه ما تدعنه فشجعناها على عملها واستحسننا فكرة والدها ورغبناها في تحقيق أمنيته بعد أن نجمع من المال ما يكفيها للاقامة في سوريا وبعد ذلك عدنا الى مكاننا .

ومن باب الفكاهة أذكر هنا حادثة يعلم منها القارئ أن في أمريكا كثيرا من الناس يعيشون وباب الأمل في الحصول على الثروة مفتوح أمامهم ولو كانوا من الإملاق بمكان عظيم : قرب منا بواب الفندق وهو الإنجليزي الأصل ينطق وجهه بما هو فيه من الفقر المدقع وسوء الحال فأخبرنا أنه كان مستخدما في الهندية ببلاد الهند ووقد علي

أمريكا من منذ أربع وعشرين سنة فسأته ألم يحصل الى الآن على  
الثروة الكافية ولما ذا ترك بلاده وفضل هذه الحرفة على غيرها وهلا  
يمكنه أن يشتغل بهذه المهنة في إنجلترا فقال لي عفوا ياسيدي اني مع  
مائة من أصحابي مشتركون في منجم ذهب وستسمع ان شاء الله في أول  
يناير سنة ١٩١٣ أن هذا البواب الحفير الذي يقف أمامك الان له  
دخل سنوى يبلغ ستة آلاف جنيه وحينذاك ياسيدي أترك هذا البلاد  
وأذهب الى وطني رجلا من ذوى اليسار وأنسى كل مارأيت في خلال  
السنين الطويلة التي مضت على وأنا أتقلب على ثرى الفقر . فقلت  
اذا كنت واقفا من بلوغ تلك الأمانة العظيمة وذلك المستقبل الباسم  
في وجهك خصوصا بعد هذه المدة القليلة جدا فلم أذا تبقى هنا بوابا  
مع أن في إمكانك أن تقترض من الآن ما يكفيك لمصروفك وتذهب  
إن أردت إلى بلادك حتى يأتيك دخلك العظيم فتسدد ما اقترضته  
وتعيش من الآن مثل هذا بروتك . فأجابني اني لا أود ترك مهنتي  
لأنى أحبا وأعشقها ولولا أنى في يناير سنة ١٩١٣ سأكون ذا ثروة  
طائلة ومن العار على الأغنياء أمثلى أن يحترفوا بحرفة البوابة لما  
تركها أبدا فصجنا من شعوره الغريب ومن تلك الأمانى الباطلة التي  
جسمها له الوهم حتى جعلها في نظره حقيقة ثابتة لاريب فيها

فبنى عليها ما بنى من سعادة مستقبله . فتأمل فى الأمل وكيف يسهل المعيشة ولولاه لما كانت كثير من أمثال هذا التعس فى أمريكا يطبقون الحياة التى كلها شقاء .

أعطى النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل  
أتى ميعاد العشاء فذهبت إلى المطعم وبعده صعدنا إلى مضاجعنا .  
وفى صباح يوم الجمعة ( ١٨ مايو ) سألنا من مكتب الاستعلامات  
هل بقى لنا شئ يهتما زيارته فأشار علينا العامل الذى كان بهذا المكتب  
أن نذهب إلى (Sud Canion, Nord Canion et les 7 cascades)  
فى ضواحي البلدة ولما كان الذهاب إلى هذه الأمكنة وزيارتها يستغرقان  
أربع ساعات قررنا أن نغادر الفندق الساعة الثانية بعد الظهر للذهاب  
إليها وقضينا الوقت الذى كان باقيا على الميعاد فى شراء بطاقات البريد  
( كارت پوستال ) وبعض جرائد أمريكية . ولما قربت الساعة الثانية  
عشرة ذهبنا لتناول غداتنا وفى الساعة الثانية أعد لنا عربية أمريكية ذات  
ثلاثة مقاعد يتلو بعضها بعضا وكل مقعد يسع اثنين فهى إذا تسع  
سته أشخاص من بينهم السائق وقد كانت تشبه الشربان (Charaban)  
غير أن عجلاها دقيقة كالنمراز الأمريكى يجرها فرسان ذهب الكبير  
بلونهما الأزرق الأصلى واستحال إلى أبيض ذى نقط حمراء فتوكلنا

على الله وركبنا هذه العربة وسارت بنا . وقبل الوصول الى الأماكن المهمة كان يلزمنا أن نقطع ثلاثة أميال انجليزية لنصل إلى مكان يسمى شين (Cheyenne) به جملة من الأكواخ الصغيرة متجاورة كأنها الخيام وبها يقيم المصابون بداء السل وقد علمت أن بعض أشخاص أصحاء يسكنون أيضا هذه الجهة فلم أدركيف يأمنون على أنفسهم من الإقامة في هذا المكان الملوء بالجراثيم الفتاكة أفلا يخافون العدوى خصوصا على أولادهم الصغار الذين لا يميزون بين النفع والضرر ولا يعرفون هذا المرض القاتل حتى يتقوا شره ؟

مررنا بعد ذلك على متنزه جميل به أراجيح وألعاب أخرى للتسلية كالجبال الروسية (Montagnes Russes) وغيرها ويقصده سكان المدينة أيام الأحاد للرياضة وقضاء الوقت في هوايهم . ولما قربنا من مدخل المضيق (Entrée des deux Gorges) رأينا اصطبلا كبيرا به عربات كثيرة وخيل وحمير أعدت ليستأجرها الذين يريدون الرياضة في هذا المكان . وقد لاحظنا أن هذه الحمير لها وبر طويل كأمتالها في أوروبا وليست سريعة السير وما الغرض من ركوبها أيضا إلا التمتع . هذا وقد صادفنا أثناء مرورنا ثلاث فتيات راكبات حميرا وهن لا يليق في أن أصف حالتهن وكيف كنن على هذه الحمير .

وصلنا إلى المضيق الجنوبيّ (Bad Canyon) فوجدناه جميلا وأخذنا  
 نسير بجانب مجرى صغير ونمترّ على أشجار شتّى وصخور كثيرة وقد كان  
 الطريق يضيق بنا تارة ويفرج أخرى إلى أن وقفنا أمام باب بجانبه  
 خص (كشك) فسألت عن سبب وقفنا فأخبرني سائق العربة أنه  
 يلزم دفع ٥٠ سنس (نصف ريال) عن كل شخص لأننا من بعد  
 هذا الباب سنسلك طريقا مملوكا لبعض الأهلين للحكومة . وقد حكي  
 لي أن المجلس البلديّ لكونولورادو أراد أن يشتري هذا الطريق وما  
 يجاوره من الأراضي من أصحابها ليجعله متنزها عاما ولكمهم لما طلبوا  
 ٢٠٠٠٠ ريال ثمنا رأى المجلس ذلك الثمن كثيرا جدّا فعدل عن  
 الشراء . وقد علمنا أن عدد الزائرين كل سنة الذين يدفعون كل شخص  
 نصف الريال يبلغون خمسة وسبعين ألفا فهذا الدخل ولا شك عظيم  
 جدّا . بعد أن مررنا من الباب تحيل أماننا جمال هذا الموقع  
 وبهاؤه ولو كنت مكان هؤلاء الملاك لما فرطت في هذا الكثر الثمين  
 ولو دفع إلى فيه ثمن عظيم . وبعد سير خمس عشرة دقيقة وصلنا إلى  
 جندل (شلال) على مقربة منه خص (كشك) يباع فيه بطاقات البريد  
 (كارت پوستال) وأشياء أخرى ولا يرى الإنسان هناك منظرا جميلا  
 إلا إذا رقى ١٠٠ درجة من سلم خشبيّ ثابت يصل إلى قمة الجندل



لا يقل عدد درجاته عن ثلثمائة . فترلنا من عربتنا وذهبنا الى هذا السلم الذى كان فى فضاء تحته رجل معه آلة تصوير وبجانبه حماران أحدهما أبيض والآخر أسود فلم نلتفت إليه ولا إلى حماريه لأن هذا لايهمنا وأخذنا أن نصعد فكنت أنا الأول ويتبعنى خيرى ثم زميلنا مصطفى بك فأسرعت فى الرقّ ولصعوبة الصعود فى هذا السلم قلقة انحداره رأينا آخرنا يلهث تعباً يعانى فى رفع قدميه كأنهما مثقلتان برصاص إلى أن وقفت مفاصله وخارت قواه فلم تساعده على الاستمرار فجلس على إحدى درجات السلم خائراً هامدا مصغراً وصار صدره يصعد ويهبط بسرعة من كثرة التنفس بخلاف خيرى الرجل العسكرى فانه لقوة جسمه لم تؤثر فيه صعوبة الرقّ أما أنا فخالة رفيقنا مصطفى أضحكتنى كثيراً حتى ذهب الضحك بقوى فلم أقدر أن أستمّر . وعلى ذلك قعدنا قليلا على دكة من خشب موضوعة للاستراحة ثم عاودنا الصعود إلى أن وصلنا إلى نهاية السلم فرأينا حقيقة منظرا يستحق هذا التعب الشديد فان الماء كان صافيا والمكان كان محاطا بالتلوج وأينما وجه الانسان نظره لا يرى الا جمال الطبيعة وقد وجدنا قريبا من الجندل شجرة مرشوقة بعدد عظيم من بطاقات الزبارة لأولئك الذين وصلوا إلى هذا المكان فتركوها هناك تذكارا وأترا

لتحملهم مشاق الصعود ووصولهم إلى متهى السلم . وبعد أن ملأنا أعيننا من مشاهدة هذه المناظر تزلنا إلى حيث أتينا ولكن النزول أيضا كان صعبا لوضع السلم عموديا فبعد الجهد الجهد وصلنا الى أسفله وركبنا عربتنا للنهاب الى المضيق الشمالى وفى الطريق كان يروقنا أيضا المناظر الطبيعية اللطيفة .

ابتدأنا فى دخول المضيق الشمالى (N. Canion) وقد لاحظنا أنه ليس ضيقا كثيرا وصرنا نصعد تدريجيا ولكن ذلك المضيق على ما فيه من بعض السعة لا تسلكه سيارة وهى آمنة من الخطر ولذا لم تأذن الحكومة لسيارة أن تسلكه بل جعلته خاصا للعربات التى تجرها الخيل . هذا - ولشدة الاحتراس ولتلا تحدث حوادث مكثرة جعل طريق للصعود وأخر للنزول وهذان الطريقان معلومان لكل الحوذيين يتبعونهما بنظام معطر حتى لا تصادم عربتان أثناء السير . وقد أنصفت الحكومة فى ذلك إذ كيف يتسنى لعربتين أن تسيرا متضادتين فى طريق ضيق حتى لو أراد أحدا الحوذيين أن يدير عربته لما أمكنه ذلك . وقد استمررنا فى طريقنا هذا صاعدين وكلما توغلنا فيه حلا لنا المنظر وازداد جمالا وقد رأينا أيضا جملة فُرج فى الطريق فتحها أولئك الذين يبحثون عن مناجم الذهب ولما قربنا من أعلى مكان

وقف بنا سائق العربة ووجه نظرنا إلى أسفل فرأينا سهلا عظيم  
الانساع فأعجبنا رؤيته من مكاننا لاسميا أن ظل السحاب يجعله يشبه  
البحر الزائر فكشنا قليلا نتمتع نظرا بهذا المنظر الحسن ثم استمرنا  
في طريقنا إلى أن وصلنا إلى خص (كشك) من خشب تسكنه  
امرأة عجوز تبلغ من العمر السبعين ويسمونها الكبتن حاك  
(Capt. Jacques) وقد قيل لنا إنها في هذا المكان من مدة ثلاثين  
سنة وهي تبحث عن الذهب والغريب أنها تعيش وحيدة في فصل  
الشتاء ويقم معها خادمة أو اثنتان على حسب الضرورة في فصل  
الصيف لمساعدتها على خدمة الزائرين الذين يصعدون عادة على  
أرجلهم إلى هذا المكان ولبعد المسافة يضطرون إلى قضاء نهار كامل  
في الصعود والنزول فيعرجون على كوخ تلك العجوز ليشرىوا قهوة  
أو يطعموا طعاما مما أعدته هي وخادمتها ليعه لهؤلاء الزائرين . من  
هنا يتبدى طريق النزول ولا تحذاره أسرع التحيل بعض الاسراع  
ومصطفى أخذ يصيح أى رب مالهذا الشقاء ألم تكن في غنى عن  
كل هذه المخاطر التي تروغني وتملا قلبي رعبا واضطرابا ولقد كنا  
نصادف مجارى ماء مختلفة بين كبير وصغير فكانت العربة تندفع فيها  
عابرة لها وهناك يحدث ارتجاج شديد يزيد اصفرار وجه زميلنا الذي

كلما حدث ذلك ونظر إلى أسفل فرأى الهوة الهائلة التي لا تبعد عن طريقنا بعض سنتيمترات يصرخ قائلا يارب سلم ونجنا من الخطر .  
لا شك أن خوفه هذا لم يكن إلا لأنه لم ير من قبل مثل هذه المناظر  
الرهية فصرنا نكلمه حتى نشغله ونبعد عنه الخوف إلى أن نزلنا بحمد  
الله سالمين . وطريق النزول لم يكن به شيء يستحق الذكر لخوفه من  
كل جمال ورواق وبعد نصف ساعة وصلنا إلى الفندق وقد استغرقت  
هذه الاستراحة أربع ساعات ونصفا .

وفي مساء هذا اليوم ذهبنا لتسليم عن أما كننا في عربة النوم لعلنا  
نقف على ما يريح أفئدتنا ولكن عدنا مع الأسف بدون جدوى فلم  
يصل خير عن ذلك . عدنا إلى الفندق وتعيشنا وصعدنا إلى غرفنا  
لنوم والراحة .

وفي يوم السبت ( ١٩ مايو ) ذهبنا صباحا إلى مكتب الاستعلام  
للسؤال عما تم فيما كلفناه به فأخبرنا أنه إلى الآن لم يصلهم الجواب  
فتكدرنا من ذلك وقلت لرئيس هذا المحل ما العمل إذا ونحن  
مصممون بعد الظهر على الذهاب إلى مزار وأتم ربما تغادرون  
مكتبكم فمن الذي يعلننا إذا جاءكم خبر فأجابني إن مكتبهم مفتوح  
إلى الساعة السادسة ويجرد وصول خبر يكتب به ويتركه في الفندق

فتركاه على هذا الوعد وذهبنا لتسأجر العربية التي كانت معنا بعد ظهر  
البارحة وقابلنا السائق وأخبرناه أن غرضنا رؤية المانيتو (Manitou)  
وويليام كانيون (Williams Canion) ومغارة الأهوية التي يطلق عليها اسم  
(Wends Cave) وافقنا معه أن يحضر إلينا نحو الساعة الثانية من بعد  
ظهر هذا اليوم ثم عدنا إلى الفندق وجلست في مكان للكتابة في رحلتي  
إلى أن أتى ميعاد الغداء . وفي منتهى الساعة الثانية ركبنا عربتنا لهذه  
الاستراحة التي تستغرق ثلاث ساعات فأخذنا أولا الطريق التي  
أوصلتنا إلى حديقة الآلهة بعد أن تركا كولورادو سيتي ولم ننعطف  
إلى اليمين أو الشمال بل سرنا إلى الأمام متبعين الطريق الذي به ترام  
إلى أن وصلنا إلى قرية مانيتو (Manitou) ومن العجيب أن هذه  
القرية يطلق عليها هناك اسم مدينة مع أن عدد سكانها لا يتجاوز  
سبعائة نسمة . نعم إنه في فصل الصيف يأتي إليها كثير من السائحين  
والمرضى للاقامة فيها والاستشفاء بمياهها الغازية أو الحثلية ومع ذلك  
لا أرى أنها تستحق اسم مدينة لصغرها . هذا وقد رأينا فيها كثيرا  
من الفنادق . وكلها بمقتضى الحال منظمة لورود عدد عظيم  
من السائحين إليها . تركا هذه المدينة أو القرية وذهبنا إلى مضيق  
ويليامس الذي به بعض أمكنة ضيقة جدا لا تمر منها العربية إلا بعد

عناء شديد بين الصخور . وقد رأينا فيه كما في بقية المضائق بعض مجارى مياه صغيرة واستمرنا فى طريقنا إلى أن وقفت أمامنا عقبة كأداء لقيت التحليل الشدائد حتى اجتازتها فوصلنا الى خص فوقفت بنا العربية وقال لنا السائق هنا المغارة فإن أردتم فزوروها ولما كنت قد رأيت كثيرا من أمثال هذه المغارة بل أجمل منها فى بلاد النمسا وسويسرا لم أرد أن أتضيع الوقت فى شئ لا يستحق قيمة رسم الدخول التى هى خمسة فرنكات عن كل شخص وذكرت ذلك للهوذى وسألته عن مقدار علمه بها فأجابنى إنه لا يعرف أى أجمل من المغارات التى رأيتها أم تلك ولكن كل سائح يزورها كان يخرج منها مسرورا فاشتقت إلى رؤيتها وأخذنا تذكر الدخول وقيمة التذكرة الواحدة دولار . وهذه المغارة أيضا ملك خصوصى . وقد رأيت الاقبال على زيارتها كثيرا فهى إذا مورد ثروة عظيمة .

ولما دخلناها استصحبنا دليلا ليرشدنا ويشرح لنا ما يحتاج إلى شرح فقادنا إلى رجة عظيمة مضاعة بالألوان الكهربائية ومنها مرنا فى دهاليز بعضها مرتفع وبعضها منخفض وقد رأينا فيها أشكالا كثيرة كما شاهدنا آثار المياه التى أظن أنها بشدة تأثيرها أحدثت هذه الفتحات ورسمت أشكالا مختلفة منها ما يشبه الخفاش وغيره

والذى جذب نظرنا كثيرا وأعجبنا هى أشكال المرجان المتجمعة بكثرة والمنظمة تنظيما يديما يجعل الانسان يعظم قدرة الخلاق . هذا عدا أشكال أثمار البحار المختلفة الدقيقة الصنعة المنتشرة فى كل مكان فراقنا لى هذه المناظر البديعة التى لم أرها من قبل فى مكان آخر وبعد أن أمضينا زمنا فى التمتع برؤية هذه الأشكال الجميلة صعد بنا الدليل إلى سلم فزرنا باقى المغارة المكونة من ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وبها جملة غرف بين صغيرة وكبيرة وقد كنا فى بعض ممشى نضطر للانحناء حتى نستطيع المرور وقد وجدنا فى ركن من أركان هذه المغارة عددا عظيما من بطاقات الزائرين ( كارتات ) مرشوفة فى حائطها تذكارا لشدة إعجابهم بخلقه الاله . كذلك رأينا فى حائط آخر جملة من مشابك السيدات التى ينظمن بها شعورهن مرشوفة أيضا على زعم أن ذلك يجلب السعادة لمن . وقد استخلصنا من ذلك أن العالم مهما وصل من الرقى فلا يخلو من المعتقدات التى لا أصل لها وهى مختلفة باختلاف الأمكنة والأجاس فإذا لا محل للاعتقاد على المصريين والمصريات الذين لم يسموا بعض معتقدات تشبه ما رأينا آثاره فى هذه المغارة . استغرقت زيارة هذه المغارة ومشاهدة كل ما فيها ثلاثين دقيقة وإنى أعتقد أنه لا بد أن توجد فى تلك الجهة بعض مغارات

أخرى تشابهها وقد استندلت على ذلك من الفتحات الكثيرة التي رأيناها في جبل هذه الجهة .

أما فكرى الخصوصى في هذه المغارة فاني مع ما رأيت فيها مما لم أراه في غيرها أفضل عليها المغارة القريبة من (Interlaken) بسويسرا لاساعها فان طولها يبلغ نحو ثلاثة كيلو مترات وتجرى المياه في جوفها وتكون بعض بحيرات تسر الناظرين .

خرجنا من هذه المغارة وألقينا نظرا من مكاننا المرتفع إلى ما حولنا فأعجبنا المنظر وبعد ذلك توكلنا على الله وابتدأنا في النزول إلى مانيتو (Manitou) فأمضينا عشرين دقيقة للوصول إليها وفي نحو الساعة الخامسة وصلنا إلى الفندق فأسرعت إلى مكتب الأسفار مع مصطفى بك فعلبت ماسرني وهو أن محالتنا في القطار خالية وقد أعدت لنا غمدت الله على ذلك وعدت إلى الفندق للاستراحة بعد ما اشترت الجرائد لأقف منها على الأحوال والأخبار . هنا أستمع القارئ أن أذكر له حادثة بسيطة مضحكة جرت وقت ذهابنا إلى مكتب الأسفار . عند ما وصلنا الفندق تركنا العربة وأحيانا أن نذهب إلى هذا المكتب راجلين وقد كانت ييىدى عصاى التى أتوكأ عليها وما كنت أعلم أن الأمريكين لا يستعملون العصى فصرتا كلما مررنا على



جماعة نراهم ينظرون إلينا بعين الاستغراب ويشيرون إلينا ضاحكين  
مقهقهين فأخذتنا الدهشة من ذلك ونحن لا نعلم أسباب هذا  
الاستغراب اللهم الا إن كانت أشكالنا تخالف ما أهوا أو هيأتنا غير  
منتظمة في نظرم فصرنا نتساءل بيننا هل فينا ما يوجب هذا الضحك  
وأخيرا دقت النظر لعلی أجد السبب فأزيله حتى لا نكون موضع  
التفاتهم ونظرم وضحكهم فرأيت جميعهم لا يسكون العصي فبعضهم  
أيديهم في جيوبهم والآخرون قابضون على لفائف التبغ وليس بين جميع  
من في هذا الشارع أحد بيده عصا الا أنا فعلت السبب ولكن كيف  
يتسنى لي إزالته وأنا بعيد عن محل اقامتي فتركهم وشأنهم غير ناظر إلى  
ضحكهم حامداً الاله أن السبب نافه لا يوجب هذا الالتفات الغريب  
فماذا يضربنا لو أنا في هيئة تخالف هيأتهم أو على شكل لم يرد عليهم .  
نحن في بلادنا لا ننظر إلى هذه الأشياء النافهة فكم يمر أمامنا  
غرباء بأزياء غريبة قلما ننظر إليها أو نضحك منها وأخيرا وجدت  
طريقة أخرجتني من هذا الموقف بأن جعلت عصاي وراء ظهري  
حتى تغيب عن أنظارهم فما أشد استغرابهم لأدنى شيء . بعد أن  
واريت عن أعينهم ما أضحكهم أخذت أنا أيضا أضحك من حالهم  
الغريبة .

أصبحنا في (يوم الاثنين ٢٠ مايو) وهو يوم الراحة فأحضر لنا أحد خدام الفندق رسائلنا الواردة إلينا من مصر وقد أخذت من بينها كتابا مطولا كتبه إليّ من طرابلس صديقي طاهر بك ففرضتها وأمضينا وقتا في قراءتها والردّ عليها وقبل الغداء مشينا قليلا أمام الفندق ثم عدنا إليه وأخذنا ماطلب لنا من الطعام وبعد ذلك عدنا إلى نعيم الإجابة على هذه الرسائل وفي نحو الساعة الثالثة طلبنا عربة فركبناها للاستراحة وأمرنا سائقها أن يقودنا إلى جهة المضيق الجنوبي وإلى الشاين حيث يوجد أجمل منزهات البلدة . ولما وصلنا إلى المنتزه العام وجدناه مملوءا بالمتنزهين الذين كانوا يروضون أنفسهم بالألعاب مختلفة كركوبهم الأراجيح ولعبهم كرة القدم وغيرها . وقد شاهدنا مسابقة بين مشهورى كولورادواسبرنج (Colorado Spring) ودنفر (Denver) في لعب الكريكت وكان المشاهدون كثيرين جدًا ينتظرون وقد قد صبرهم ليعلموا أى الفريقين يتغلب على الآخر . وقد كان الجلس ظاهرا على الجميع وإلى من يشجعون جميع الألعاب الرياضية لأنها في اعتقادي تؤدي إلى تقوية الجسم ومادام الجسم سليما فالعقل أيضا سليم . خصوصا وأن هذه الألعاب توصل إلى نتيجة سامية وهي أن الانسان متى شعر بقوة بدنه فانه يعتمد على نفسه ويتربى عنده

الإقدام وهو أساس الفلاح . إننا معشر الشرقيين في بادئ أمرنا  
 كما مهتمين في أوقات فراغنا بجميع فنون الألعاب الرياضية وليس كل  
 ضروب الألعاب الرياضية التي تشغل بها الآن الفرنجة وغيرهم من  
 مخترعاتهم فإن جلها إن لم أقل كلها قد سبقهم إليها العرب وقد كان من  
 زمن ليس ببعيد تخرج الشبان في منتزهات مصر ممتطين جيادهم  
 يلعبون على ظهورها فالتدثر أيضا هذا اللعب وأصبحت لا ترى خيولنا  
 العربية الجميلة منتشرة في منتزهاتنا فيالله كم ترك من عوائدنا المفيدة .  
 إننا نتاونا في كل شئ حتى في مسائل تسليتنا النافعة إنى لأقصد  
 بذلك أن نهتم بالألعاب وترك أشغالنا الحقلية ولكني أنصح  
 لأبناء وطني الأعزاء أن يعتنوا بأعمالهم النافعة كثيرا وأن يحدّدوا  
 أوقات الفراغ ما قدوده من إتعاب الفكر بالرياضة البدنية المؤدية إلى  
 الصحة وتتمام العافية - فنعلم هو البال المكثود . قبل أن نصل إلى هذه  
 المنتزهات مررتنا في طريقنا على مايسمونه وادى القمر لونا بإرك  
 (Luna Park) وقد كان الجمع هناك أيضا عظيما وحول كل لعبة عدد  
 كبير من المشاهدين فالأمريكيون على شتة حرصهم على أوقاتهم  
 الثمينة لا يخلون على أنفسهم بما ينسبهم أتعاب الحياة في أيام البطالة .  
 والحمد لله لم نحرم مصر أيضا من وجود مثل هذا المكان وإنى لأنتقد

على الذين يذهبون إليه على شريطة المحافظة على آدابنا الشرقية العالية .  
عدنا بعد ذلك من طريق آخر غير الذى أتينا منه ويسمى برودموور (Broad moor) وعلى مرتفع منه فندق به كازينو لا يفتح إلا فى فصل الصيف . وقد رأينا فيه بحيرة صناعية جميلة والحق يقال إن موقع هذا الفندق صحى لجودة الهواء وقد رأينا قريبا من هذا المكان منازل مشهورى الأغنياء وأخص بالذكر أحدهم المدعو المستر بالدوين (Baldwen) فانه صرف مليون دولار فى بناء تريانون تشبها بملوك فرنسا العظماء ولكن أنى له أن يصل إلى أمنيته وغابات فرساليا العظيمة الجميلة ومتنزهاتها البديعة لا تحيط ببنائه الشائق الذى يشبه حقيقة من الخارج بناء فرساليا . إن قدرته لم تمكنه من الإحكام فى محاكاة ما فعله أولئك الملوك بالرغم مما صرفه من القناطير المقنطرة من الذهب فى تشييد قصره الخالى من مناظر فرساليا الفريدة . وقد رأينا أيضا قصرا كبيرا لأحد مشهورى الأغنياء الذى لا بد أن يكون قد صرف فى بنائه مبلغا جسيما ولكنه لم يفكر فى حلية القصور وهى المتنزهات والحدائق وفى نظرى أن القصور العالية مهما وصلت من الاتقان فانها لا تكمل إلا إذا كانت محاطة بهذه الحلى التى أراها متممة لجمالها .  
هذا ما رأيناه فى يومنا ولا تسلم عن عدد الكائنات فى هذه المدينة

فانه لا يحصى وقد ألفت نظرنا حين عودتنا إلى الفندق بناء محفل ماسونى جميل الشكل .

وصلنا إلى الفندق نحو الساعة الخامسة وأمضينا باقى نهارنا فى الأخذ بأطراف الأحاديث بيننا

أصبحنا فى يوم الثلاثاء ( ٢١ مايو ) فباكرنا بالذهاب إلى مكتب الأسفار لأعلم هل حدث تبدل فى نمر أسرتنا والغرفة المخصصة لى ولكن والله الحمد لم يحصل تغيير كبير الا فى سرير واحد أعطى لنا بدله وبعد ذلك جئنا جولة فى المدينة ثم عدنا الى الفندق وأخذنا مكاننا فى طُفَّحِها ( فيرانده ) فأنت إلينا التاجرة السورية التى تكلمت عنها قبل وقدمت لنا عددا عظيما من جرائد سوريا التى وصلتها فى البريد الأخير وبينها جريدة من جبل لبنان فشكرتها كثيرا وحمدت لها تمسكها بحب بلادها وتعلقها بشؤون وطنها مشجعا اياها أن تستمر على قراءة هذه الجرائد العربية حتى لا تنسى لغتها الشريفة المحبوبة

بعد الغداء شرعنا نرتب أمتعتنا وبعد أن أتممنا ترتيبها سلمنا الكبير من حقائبنا إلى بواب الفندق لتسفيره إلى لوس انجلوس ( Los Angeles ) ولما كان قطارنا يقوم فى نحو الساعة السابعة والنصف مساء سألنا هل يوجد به عربة أكل فأخبرنا بعدم وجودها فأوصينا أن نُبَيَّا لنا سفرتنا

الساعة الخامسة والنصف وقد بادرتنا الى محل العشاء اذ في مطاعم هذه البلاد لا يقدم للانسان مطلوبه الا بعد نصف ساعة على الأقل من وقت جلوسه على المائدة فاحتطنا لأنفسنا حتى لا يضيع الوقت علينا ولكن بعد ذلك حضر الينا بواب الفندق ونصحنا أن نتناول عشاءنا في مطعم المحطة (البوفيه) قبلتنا نصيحته لاسيما وأن في ذلك تفهيرا في الحالة ربما نقف منه على شئ جديد من العوائد التي لم نرها الى الآن فالتفتنا أمرنا الأول . وفي الساعة الخامسة والنصف خرجنا من الفندق الى المحطة راجلين بعد أن أوصينا بارسال باقى أمتعتنا الخفيفة اليها قبل ميعاد السفر فوصلنا اليها بعد خمس عشرة دقيقة وهذه المحطة تابعة لخطوط (سنتافيه) الموصلة الى جنوب كاليفورنيا وهي غير المحطة التي أتينا منها . وقد وجدناها أنظف قليلا من باقى المحطات الأخرى فدخلنا المطعم فراقبنا نظافته أيضا وقد رأينا من يقوم بشأن الخدمة فيه خادمت مرئيات ملابس ذات رُواء وأول ما وقع نظرنا عليه ترتيب ووضع أنواع الفطير والحلوى المختلفة الأشكال فطاب لنا النظر اليها ووددنا أن نتناول شئاً من كل نوع بغلسنا بعضنا بجانب بعض وكل طلب ما اشتناه طأنا أنه سيتمتع بأحسن ما عملته أيدي طباشى أمريكا ولكن منظر هذه الأشياء كان أجمل من طعمها .

وبالاختصار فرغنا من عشاءنا ولم يبق على ميعاد سفرتنا الا عشرون دقيقة ولما حضر القطار أسرعنا لأخذ محالنا بعد أن رتبنا حقائبنا وصرفنا الجمالين بعد أن أعطيناهم أجورهم . تحرك القطار في ميعاده وكان ذلك في وقت الغروب فلم أر شيئا يستحق أن يذكر في رحلتي وأول محطة وقفنا عليها كانت محطة پويبلو (Pueblo) وهي مدينة عظيمة بها ٤٠٠٠٠ نسمة وبها معامل عظيمة لأنواع الحديد الصلب والزهر وبها أيضا بناء شامق (Mineral Palace) سطحه مكون من ٢٨ قبة كلها مرصعة بأحجار كولورادو اسبرنج الجميلة الخاصة بهذه الجهة . أما ضواحي هذه المدينة فثنا غنية بمناجم الفحم وغيره من باقى المعادن وقد رأينا (Pueblo) پويبلو ليلا وهي مضاعة بالأنوار الكهربائية الساطعة تخرقها الشوارع المتسعة المنظمة التي تكثر فيها حركة المركبات الكهربائية ف شعرنا بكمبرها وشمربها .

وبعد أن غادرنا هذه المدينة أردنا النوم ولكن من أين تأتينا الراحة وكلما يقف القطار أو يتحرك نشعر برجة شديدة وصدمات يتلو بعضها بعضا حتى يكاد الانسان أن يقع من سريره فما أصعب هذه الحالة خصوصا إذا أغمض المسافر عينه ونام فانه يقوم مذعورا خائفا وقد خيل إليه أن مصادمة حدثت وأرى أن من حق المسافر على هذا

القطار ألا يدفع أجرة سريره لأنه لايجد من الراحة ما يستحق هذه الأجرة .

وقد أيقنت وقت حدوث إحدى هذه الرحلات المائلة ان قطارنا مال عن طريقه ولم يذهب ذلك عن فكرى وتطمئن نفسى الابد أن رأيت أن قطارنا لم يزل مستمرا فى سيره وقد كنا نتبع فى طريقنا منحنيات كثيرة ففوق تلك الرحلات المتوالية كانتهزكأنا فى باخرة تلعب بيا أمواج البحر المتلاطم وعريقنا كانت الأخيرة فكان اهتزازها أشد من اهتزاز سائر العربات فتصور أيها القارئ حالتنا هذه فهل ترى فيها قليلا من الراحة

قمت يوم الأربعاء ( ٢٢ مايو ) مبكرا ولم تأت الساعة السادسة حتى كنت مرتديا ملابسى وخرجت فوجدت صاحبي جالسين على استعداد فى مكانهما فسألتهما عما تم لهما فى هذه الليلة فأخبرانى أنهما لم يذوقا طعم النوم وقد تسبب عن ذلك مرض مصطفى بك . وفى الساعة السابعة أعد الأكل فى عربته فذهبنا إليها لتناول القهوة وصرنا نرى أننا نسير فى أراضى مستوية يظهر على سكانها الفقر فان منازلهم حقيرة مبنية بالطين تشبه منازل فقراء فلاحى مصر فسألت عن أحوالهم فقيل لى إن أغلب سكان هذه الجهة من الفقراء



وصل بنا القطار الى البوكيرك (Albuquerque) وهي المحطة التي يتفرع منها خطان خط يوصل إلى تخوم مكسيكا والآخر إلى البازو (El Paso) وهناك تفصل العربات الذاهبة إلى هاتين الجهتين وليس بهذه المدينة ما يستحق الذكر إلا أن السائحين ينتهزون فرصة وقوف القطار مدة نصف ساعة فيذهبون إلى دكان بجوار المحطة به معروضات سكان أمريكا القدماء ويسمى المتحف الهندي والذي يدل على أن هذه المدينة ليست كبيرة أن عدد سكانها لا يبلغ ثمانية آلاف نسمة فنزلنا نحن أيضا كسائر السائحين ورأينا نساء هؤلاء الأمريكيين (الهنود) جالسات على الأرض وأمامهن مصنوعات أيديهن معروضة للبيع وقد كانت وجوههن الحمراء التي لا أثر عليها من الجمال مكشوفة وعلى رؤسهن الخمر (الشيلان) وفي أرجلهن الأحذية ذات الساق فألقينا نظرة إلى هذه المعروضات ثم ذهبنا إلى المتحف الهندي فوجدنا أنه يباع فيه أنواع كثيرة من السجاجيد التي هي من عمل هؤلاء الهنود والأساور والأقراط المختلفة الأنواع بعضها مصوغ من قنود مكسيكا القديمة وهذا غير أحجار هذه الجهات المرصع بها الخواتم والدايايس وغيرهما يشتريها الذين يريدون أن يقدموا هدايا لأصحابهم وأقاربهم بعد عودتهم من سياحتهم لتكون تذكارا فنظرنا كل هذه الأشياء ولم

تأخذ منها شيئا وقد استحسنا بعض بطاقات البريد (كارت پوستال) فاشتريناهن ثم عدنا إلى عربتنا وما استقر بنا الجلوس حتى حضر إلى أحد مخبري الجرائد وسألني أيكم الأمير (الفرنس) فأخبرته أنني أدعى خيري بك الياور المعين في خدمته أما دولته فقد ذهب ليستريح الآن ولا يريد أن يقابل أحدا من مخبري الجرائد حيث إنه تعب كثيرا من كثرة هذه المقابلات خصوصا وقد قرأ ما يكتبونه عنه فوجد كثيرا منه مخالفا لما صرح به فصار يسألني عما استحسناه إلى الآن في أمريكا وصرت أجابه مع تمام الاحتياط وأقول له إن هذه البلاد كبيرة جدا فأخبرني أنه يعرف في هذه البلدة أحد السوريين ويدعى المسيو خوري وآخر تركا اسمه سلمون (Salamon) يسكن (البازو) وهو ذو ثروة عظيمة ولا بد أن يكون هذا الأخير إسرائيليا ثم انصرف من عندي شاكرًا حسن مقابلي له معجبا بقوتي في اللغة الانكليزية حتى إنه ظن أنني درستها في إنجلترا فوافقته على ظنه وبعد أن تخلصت منه أسرع إلى خيري بك وطلبت منه ألا يترك مكانه حتى يقوم بنا القطار وقصصت عليه ما دار بيني وبين هذا المخبر ذا كرا أنني استعرت اسمه ووظيفته وتكلمت مع ذلك المخبر كأني خيري . ولأجل أن يتم فصل التكرار هنا ولا ينكشف أمره طلبت من خيري ألا يخرج بل يبقى

مستريحاً اذ لو خرج فلقبه المخبر لوجب عليه أن يحاكي أمام ذلك  
 المخبر كما حاكته أنا من قبل وفي ذلك ما فيه من تكلف الظهور بغير  
 الحقيقة . أما قطارنا فقد ماع بيأتى البضائع الهندية وغيرهم من  
 الذين وظيفتهم الإعلان وتشويق السائحين إلى زيارة الجرائد كانيون  
 (Grand Canón) وقد كنا رأينا قبل أن نصل إلى هذه البلدة يحيطين  
 هؤلاء الهنود وعرفناهم من سيماهم بالرغم من تغيير ملابسهم واستبدالها  
 بالملابس الأوروبية فان ألوانهم ومحتهم كانت ناطقة بجنسهم وأصلهم  
 أما نساؤهم فوضعهن الحجر على رؤسهن كان سبب تمييزهن والاختلافات  
 إليهن . هذا وقد لاحظنا أن الجهة التي يسكن فيها هؤلاء الهنود  
 التعسوت رطبة وبها كثير من المستنقعات المسببة للأمراض التي  
 تفتك بهم وتقلل من عددهم عاما بعد عام . أما أراضيهم فليست  
 مزروعة كما يرام وهم يستعملون من فقرهم أدوات الزراعة القديمة  
 فلا يجنون ثمرة أتعابهم إلا بكل مشقة وقد رأينا لهم بعض مراعى  
 لثريبة الخيول ولكن جل المراعى هناك لثريبة الماشية . وقد علمنا أن  
 هذه الحيوانات ملك لكثير من التجار وليس هنود الأمريكين إلا  
 خداما يحافظون عليها ويرعونها في الحقيقة المكسب العظيم هو  
 لأرباب الأموال من الأوروبيين والأمريكين وأما هؤلاء الهنود

فلا يكتسبون الا أجرهم الضعيفة . واذا أراد الانسان أن يستفهم عن مقدار ثروتهم فلنأخذ ثقتهم بما يمتلكه الشخص من رؤس الغنم والخليل كالعرب . أما وصف مراعيهم فلنأخذ من النباتات الطبيعية التي أنبتتها الأرض وقد رأينا خيولهم تزعى الكلاب النابت في وسط هذه المستنقعات وقد ظهر على وجه الماء أو القريب من تلك المستنقعات

قام بنا القطار ونحن نسير الآن بجوار نهر الـريوجراندى (Rio Grande) وهو نهر عظيم متسع يصل إلى مكسيكا جميل المنظر على شاطئيه كثير من أنواع الشجر المخضرة وبين وقت وآخر كما نرى في وسطه جزائر صغيرة لطيفة بها أيضا نباتات وأشجار . وقد مررنا على جملة قرى صغيرة هندية كانت ظواهر أحوالها ناطقة بفقرها أهلها وسوء حالهم . هنا أصف للقارئ حالة بيوت هذه القرى - إن أغلبها دور واحد ومن مميزاتنا أن ليس لها أبواب للدخول فيها على سطح الأرض بل أبوابها في سقفها ولكل منزل سلم يصعد فيه صاحبه ليصل به إلى جوف منزله نهارا ويرفعه مساء خوفا على أنفسهم من أعدائهم ولكن ما ذا يفيدهم ذلك وهذه البيوت ليست مرتفعة فالفارس يمكنه أن يزل بسهولة فوق سطحها .

إن هؤلاء الهنود لهم قبائل مختلفة ففي هذه الجهة التي نمر عليها قبائل الموكيس (Mokis) والزونيس (Zunis) والتاجوس (Navajos) والباش (Apaches) والبياس (Pimas) ولا يتصور القارئ أن هذه القبائل تكون مدنا عظيمة كبيرة فلها تسكن متفرقة في قرى صغيرة لا يكاد سكان كل قرية يبلغ مائة أسرة وليس كما كنا نسمع أن كل قبيلة لها رئيس يحكمها ويتصرف في أتباعه تصرف الحاكم المطلق فقد ذهب كل شيء مما كانوا عليه قديما حتى الكثير من عوائدهم وزيمهم وأصبح السائح لا يرى الهنود بملابسهم الغريبة ذات الألوان المختلفة ولا قبعاتهم المنظمة المزدانة بريش الطيور الملونة أو المصبوغة بالألوان التي يستحسنونها فقد ذهب كل ذلك وتقلب الزي الأوروبي على كل هذه الأزياء والسائح إن أراد أن يرى شيئا من ذلك فلا يراه إلا بالطلب لكافة تاريخية تمثل فقط أمامه فله الملك وكل شيء زائل الا هو سبحانه وتعالى .

إننا في طريقنا نمر على كثير من القرى بعضها عامر بهؤلاء الهنود وبعضها بالمكسيكيين أو المهاجرين من البلاد الأوروبية وغيرها ولا يجد السائح صعوبة في تمييز هذه القرى بعضها من بعض فكأنه أن ينظر إلى أبوابها حتى يعلم ان كانت للهنود أو لغيرهم وكفاه أن يقرأ

آيات الفقر على حال بعضها حتى يعرف ان كانت للمكسيكيين أو المهاجرين الأوربيين فان الأخيرين أرق بكثير وأنظف في أحوالهم ومعيشتهم ممن عداهم أما اذا أراد التمييز بينهم في الجنسية فلا صعوبة في ذلك فان الهندي الأمريكي لونه أحمر ورأسه كبير وشعره أسود وقوى البنية ومتوسط القامة أما المكسيكي فانه يشبه سكان صعيد مصر وإن كان أكثر منهم سمرة وأضعف جسما ولا تظهر عليه القوة مثلهم .

مررتا على بلدي إيسليتا ولاجونا (Islita, Laguna) المسكونتين بالهنود الأمريكيين وليس بها ما يستحق الوصف ولأوضح للقارئ بعبارة أفصح أى جهة يسكنها عادة الأوربي المهاجر أو الأمريكي الفاتح أقول . إن الجهات التي بها معادن أو التي أرضها خصبة هي من حقوق أولى اللون الأبيض أما الأراضي المجدبة أو التي بها مستنقعات فهي من نصيب الهنود أو المكسيكيين وكفى بهذا دليلا على أن الانسان مهما وصل من الرقي فان الظلم لا ينجث من طبيعته والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم وصلنا إلى ولاية النوفيل مكسيك (Nouvelle Mexique) التابعة أيضا للولايات المتحدة وهي على حدود مكسيكا وأغلب البلدان التي

مررنا عليها لها أسماء إسبانية وليس ذلك عجيب لأن الأسبانيين هم الذين كَشَفُوا الدنيا الجديدة وزحوا اليها لاستعمارها واستخراج معادنها المكتنزة في أراضيها

أتى ميعاد الغداء فذهبنا إلى عربة الأكل فوجدنا رئيس الخدم وكذلك الطباخ ألمانيين ولما كالم نتلذذ من ابتداء حضورنا إلى يومنا هذا من أطعمة الأمريكيين وجدنا أن الغداء الذي قدم إلينا على قلة أرواته كان مصنوعاً جيداً فأكلناه مع اشتهاء فأنشيت على رئيس السفيرين وقبل أن تقوم من مكاننا شعرنا بشدة الحر حيث كانت الشمس تلقى أشعتها الذهبية على الصعاري والأودية التي تمر عليها. فشبّه لنا أننا في صيف مصر وكانت المراوح الكهربائية تدور ولكنها لا تتغلب على هذا الحر

أتت الساعة الخامسة فرأينا على بعد مدينة تظهر عليها الثروة لكثرة المصانع بها فإن عدد مداخنها كان كثيراً جداً وهذه المدينة تدعى جالوب (Gallup) وهي شهيرة بمناجم الفحم الحجري ومعتبرة مركزاً لمهام الحصن العسكري المعد للدفاع ضد الهنود والمكسيكيين وهي على بعد ٤٠ كيلومتراً من هذا الحصن فهي إذاً متممة للوقع الحربي ولما وصلنا إلى مانويليتو (Manuelito) دخلنا في أراضي الأريزونا (Arizona)

التي بها الجرانديكانيون (Grand Canón) وهي عبارة عن صحراء بها كثير من الصخور ذات الألوان المختلفة وبعد ذلك مررنا على ادامانا (Adamana) وأرضها رملية لونها أحمر وبها أيضا كثير من الصخور الحمراء والسوداء التي تشبه الفحم الحجري وبما أن هذه الأراضي قاحلة فلا أثر للزروع بها . وكنا نشاهد حيث يوجد نبع صغير من الماء منزل أسرة هندية واحدة فلم نصادف إذا ما يستحق الذكر الا كلب الوادي المنتشر انتشارا هائلا .

قرينا من بلدة وينسلو (Winslow) المعروفة بحصول واقعة حرية هائلة بها بين الامريكيين والهنود الاپاش (Apaches) وفي هذه الواقعة الشهيرة أوشك الامريكيون يبيدون الهنود عن آخرهم . وقف قطارنا وألحقت به عربة للذين يذهبون نوا الى الجرانديكانيون . ولما أتى ميعاد العشاء ذهبنا لعربة الأكل وفي أثناء العشاء نقل خادم عربتنا الزنجي الذي صحبنا من كولورادو اسيرنج أمتعنا إلى العربة الجديدة وما أمتعنا العشاء حتى كان كل شيء مرتبا في محلات الحديد فلم نتعب إذا في النقل ولا غيره بل ذهبنا الى محلات هادئين مطمئنين . وصلنا الى ويليامس (Williams) نحو الساعة الحادية عشرة وقد كنا متأخرين عن الميعاد الأصلي بنحو نصف ساعة وهي بلدة صغيرة جدا



شيرة بقطعان البقر الذى صار وحشيا بعد عهده برؤية الانسان .  
 هنا انفصل قطارنا عن عربتنا واستمر في مسيره الى لوس انجيلوس  
 في كاليفورنيا أما نحن فامضينا ليلتنا في هذه العربة أمام محطة ويليامس  
 لغاية الساعة الخامسة صباحا من يوم الخميس ( ٢٣ مايو ) ثم ألحقت  
 عربتنا بقطار صغير ليقودنا إلى الجرائدكانيون

فشعنا في هذه الساعة بايذاء تحركا وفي الساعة السابعة صباحا من  
 هذا اليوم اركبنا ملائنا وقد كان الجو صحواً والطقس معتدلا  
 حيث كا على ارتفاع ٤٥٠٠ قدم فوق سطح البحر فصرنا نرى أننا  
 نخترق واديا عظيما متسعا به كثير من الشجيرات ترتع فيه الألوف  
 من الأرائب البرية . وبعد قليل من الزمن وقف بنا القطار في محطة  
 صغيرة جداً لم يكن بها الا زرائب من الخشب بها كثير من الغنم  
 فكان منظرها وهى مجتمعة في مكانها جميلا . وبعد بضع دقائق قام  
 بنا القطار فأخذنا ندخل في غابة كثيفة وبعد عشر دقائق من الساعة  
 التاسعة وصلنا إلى الجرائدكانيون

فكأننا قطعنا المسافة بين محطة ويليامس والجرائدكانيون في ثلاث  
 ساعات وعشر دقائق .

إن الفندق الذى كا نريد أن نزل به على بعد خطوات من المحطة

فقلنا من عربتنا وقصدناه راجلين ولكن قبل أن يصل الانسان إلى هذا الفندق لابد أن يصعد على سلم عال متعب جدا وذلك لوضعه رأسيا فقلقلناه واجتازنا هذه العقبة أيضا وبعد ذلك وصلنا إلى الفندق وهو منزل كبير مبنى بالأخشاب يحيط به من كل جهة طنوف (فيراتدا) فذهبنا تَوًّا إلى جرة الأكل لشرب قهوتنا وفي أثناء ذلك حضر أحد رؤساء الفندق وأثبت أسمائنا في مذكرته وبعد أن انتهينا من الأكل أردنا رؤية غرفة فقادونا إليها فإذا هي قليلة الزخرف ولكنها نظيفة ومرتبة وقد أعجبنا حسن موقعها وجودة هوائها خصوصا أننا لا نسمع فيها أى حركة تقلق راحتنا ولا عجب في ذلك فأننا في خلاء واسع تحيط بنا الغابات الكثيفة الجميلة ولا بد أن السكون والهدوء ملازمان لهذا الموقع الخالي من المنازل وبني الانسان الا السائحون التازلين بهذا الفندق

بعد أن استرحنا قليلا من عناء السفر وتخلصنا مما لحقنا من غبار الطريق وأبدلنا ما علينا من الملابس خرجنا نتمتع نظرا بأ كبر وأعظم أعجوبة في العالم على حسب قول الأمريكيين وقد يقولون عنها إنها الدليل القطعى على إثبات قدرة الخالق العظيم ولكنى والله الحمد لم أحضر إلى هذا المكان لأقف على هذا الدليل حتى يزداد يقينى

في الخلق جبل وعلا فأتى أعترف بهذه القدرة من ابتداء نشأتى الأولى  
أذا فلا محل عندى لزيادة إيمانى برؤيتى هذه المناظر وما كنت لأنتظر  
هذا اليوم حتى يتشبع روى بعظمة وجلال رب السموات والأرض  
إن موقع الفندق على ارتفاع ٢٠٠٠ متر من سطح الماء ومعنى  
جراندكانيون (Grand Canón) الخلق الكبير أو المضيق العظيم وبلغ  
طوله تسعة وأربعين وثلاثمائة كيلو متر وعرضه من ١٣ الى ١٦ كيلو  
متر وعمقه من ٣٠٠ الى ١٥٠٠ متر ويمر بقاعه نهريدى كولو رادو  
(Colorado) لا تزيد أعظم سعة له عن الستين مترا وفي أوقات فيضانه  
لا يزيد عمقه عن السبعين مترا .

إن الناظر إلى الصخور في ذلك المكان يجدها مكونة من عدة  
طبقات مختلفة الألوان والأشكال فيرشده ذلك الى أن كل طبقة من  
هذه الطبقات قد كانت في أحد العصور السالفة هي وجهها للأرض  
فتوارت بتراب الترى وخلفتها طبقة أخرى صارت بعدها وجهها  
للأرض وهكذا الى أن وصلت الى الحالة التي هي عليها الآن ومن  
ذلك يعلم المطلع على تلك الصخور أن الأرض قد تكونت منذ عهد  
بعيد جدًا والذي كشف للإنسان عن هذا السر هو ما حدث من  
حوادث التوران الأرضية فهي التي ساعدته على الوقوف على هذه

الحقيقة ولولاها لبقيت تلك الحقيقة فى ظلمة استتارها اذ ليس للانسان قوة فى الحفر توصله الى تلك الأعماق السحيقة فذلك الانفجار الطبيعى هو الذى أحدث ما نراه من تلك الاشكال المختلفة . أما تلك الألوان المختلفة فوصفها على حسب ترتيبها الطبيعى من أعلى الى أسفل هو ما يأتى :-

الطبقة العليا لونها أغبر يليها طبقة ثانية لونها كلون سابقتها الا أنه يخللها قطع بعضها أحمر وبعضها أبيض  
وهناك طبقات أخرى مختلفة الألوان بين أحمر قاتى وأخضر ضارب إلى الصفرة وأحمر مشوب بسواد ويخلل كل طبقة من هذه الطبقات قطع من الصخر حمراء صافية

هذا وأول رحالة كشف هذا المكان هو المايجور باول (Pawell) فانه مشى بقارب صغير فى نهر كولورادو الذى يجرى فى قاع هذا المضيق كما ذكرنا ذلك قبلا إلى أن وصل إلى هذا المكان العظيم وقدر أينا طرقا ضيقة جدا تصلح فقط لمشى البغال والخيول لتنزل من هذه المرتفعات إلى عمق المضيق وهى فى الحقيقة متعبة جدا ولكنها ليست خطيرة . أما نحن فآلقينا نظرة عامة على هذا الموقع فاستكبرناه وأعجبنا به كثيرا وهو فى الحقيقة يستحق الإعجاب لكبره وعظم عمقه

ولكننا مع ذلك لم نر سببا لإجبار السائحين على قضاء يوم أو بعض أيام في هذا المكان وكان يكتفى أن يمر الطريق الحديدي عليه فمن أراد النزول فيه نزل والا اكتفى برؤيته ومشاهدة عجائبه أثناء سير القطار ان الامر يكتفى بالنهء لا يتركون بابا للكسب بدون أن يلجوه فجعلوا الطريق ينتهي بهذا المكان حتى يكون للفندق مورد ثروة من السائحين الذين يضطرون بطبيعة الحال إلى التعرّيج والنزول فيه يوما أو بعض أيام ولا تسلم عن الاعلانات الكثيرة التي ينشرونها مشتملة على أساليب التشويق إلى رؤية هذا المكان لجلب الناس إليه أما طرق هذه الإعلانات فنحن في غنى عن بيانها لأن شهرتهم في ذلك تفوق كل شهرة - ولكي أصوّر لك أيها القارئ منظر هذا المكان أقول أتت نظرك على جبلنا الجيوشي وما فيه من المغارات والأشكال التي وراءه ولا فرق الا أن في بلادنا جبلا واحدا (الجيوشي) وهناك من أمثاله مائة جبل وأيضا أنك ترى حيث تكون فوق أعلى قمة في الجيوشي أسفل الجبل على بعد ٣٠٠ متر وهناك ترى أسفل الجبل على بعد ١٥٠٠ متر . نعم هذا الوصف هائل ولكن من يدري أنه لا يوجد أمثال هذا المنظر أو أجمل منه في بلاد الشيلي (Chili) والبرازيل (Brésil) وپرو (Péron) وبلاد اليمن وغيرها .

إنه لا يزال الى اليوم في قارة آسيا أمكنة غير معلومة حتى العلم والله أعلم بحقيقتها ووصفها . وربما كان بها من المناظر القريبة ما يزدى بعجائب أمريكا فلا أجد سببا قويا لجذب السائحين لزيارة هذا المكان الا تأثير الإعلانات والافتنان في طرق النشر . تركنا مكاننا وتوغلنا في الغابة على شفير المضيق فاستدرجتنا رائحة الأشجار العطرية وأثر في أنفسنا الهواء النقي فلم نشعر بالتعب مع أننا استغرقنا ساعة ونصفا في المسير للوصول إلى زاوية على طرف هذا المضيق فصرنا نرى من هذا المكان نهر كولورادو من جهتين أى من جهة كل ضلع زاوية وقد خيل إلينا أن ماءه عكرو بعد أن مكثنا قليلا بهذا المكان عدنا إلى الفندق وبالطبع هذه الرياضة جعلتنا نشتهي الأكل فذهبنا تَوًّا إلى حجرة السفرة حيث كانت الساعة الثانية عشرة والنصف وهنا لا يختار الانسان ما يريد من كَشَف المأكولات بل أنواع الأكل عامة لكل السائحين فأكلنا باشتهاء عظيم ولم نشعر برداء الطعام بل على العكس اتفقنا أنا ورفيقي على أنه أحسن قليلا من غيره وبعد ذلك ذهبنا إلى غرفنا فأقننا بها قليلا من الزمن طلبا للراحة وفي نحو الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر خرجنا ثانية من الفندق لرؤية باقي المناظر وقد قيل لنا قبل حضورنا إلى هذا المكان حَسْبُ السائح

أن يرى فندق التوفار (El Towar) الذي نحن به الآن وما حوله فان ذلك يترك في نفسه صورة عامة لمناظر الجرائد كانيون ولكننا بالرغم من ذلك أردنا أن نتوسع ونقف على كل دقيقة بهم الوقوف عليها فاستفهمنا عن الأمكنة التي يذهب إليها السائحون فعلينا أنهم يذهبون على عربة إلى المكان الذي كما فيه صباح هذا اليوم ويبعدون عنه قليلا ولأجل ذلك يلزمنا دفع ستة عشر دولارا عن أنفسنا أى ما قيمته ٨٠ فرنكا فرأينا أن هذه القيمة باهظة خصوصا وأنا مشينا تلك المسافة على أرجلنا بدون تكبد تعب يذكر فعدلنا عن هذا الإصراف ثم علمنا أن هناك استراحة أخرى على ظهور البغال والخيول للتزول إلى أسفل المضيق وتستغرق يوما كاملا ولما كنا رأينا العائدتين منها وجوههم حمراء محروقة من الشمس ظننا أن لون الصخور الحمراء ناشئ أيضا من قوة تأثير أشعتها المستمرة وقد كانت حالتهم الجسمانية يرئى لها فإن التعب الشديد كان باديا عليهم فوفرنا على أنفسنا هذا التعب خصوصا وأماننا صعوبات أخرى كبيرة لا بد من اقتطاعها فقررنا أيضا العدول عن هذه الرياضة الشاقة استبقاء لقوتنا .

بعد أن وقفنا على حقيقة الحال من جهة تلك المزارع وقررنا ما قررنا رأينا أمام الفندق على بعد بعض أمتار منزلا يمثل منزل هنود

الأمريكيين والسلم الخشبي موضوع على إحدى حيطاته للذين يريدون الصعود عليه والدخول في هذا المنزل من باب الذي في سقفه وقد رأينا أيضا بابا آخر اعتياديا عمل تسهيلات للذين لا يستطيعون الصعود على السلم حتى لا يحرم الشيخ أو الضعيف من الدخول فيه وقد عرفنا أن هذا المنزل محل تجارى تديره شركة الفندق لمبيع مصنوعات الهنود والدخول فيه مباح لعامة الناس بدون مقابل فدخلناه ورأينا فيه أنواعا كثيرة من الأجزاء الثمينة كالقيروز وغيره وعددا عظيما من السجاجيد الهندية الأمريكية وكثيرا من الأساور والأقراط من الفضة وسلات مختلفة الشكل والحجم ودلبس الهنود وقبعاتهم وسروج خيولهم وأقواسهم وسهمومهم وحرايمهم وتروسمهم وغير ذلك .

أما مدير هذا المحل فقد كان يظهر عليه النشاط وقد صحبنا وأخذ يشرح لنا ما نريد معرفته وقد تبادلنا الحديث معه إلى أن وصلنا إلى أصل هؤلاء الهنود فسأله عن رأيه في أصلهم وهل يعتقد أنهم خلقوا في أمريكا أو هم مهاجرون من بلاد أخرى فأجابنى أنه يرى أنهم أتوا من قارة آسيا فسرت من فكرته لأنها تطابق رأى وقد صرحت بها قبل زيارتى لأمريكا ودوتها في رحلتى اليابانية فلما رأيت في منشوريا اليورجوت وقارتهم بصور الهنود الأمريكيين



التي رأيتها في بطاقات البريد (كارت پوستال) التي اشتريتها من  
 (مكدن) علمت وقتئذ أنه لابد أن تكون هنود أمريكا من هؤلاء  
 اليورجوت ومن سكان شمال آسيا وليس بعيد أنهم هاجروا الى هذه  
 البلاد في الزمن القديم من طريق كامتشكا (Camtchatka) وعلى ذلك  
 الرأي يكون الأسويون هم البادثون في تكشيف أمريكا قبل  
 كريستوف كولومب ولكن لما كانت حالتهم وحشية ومعارفهم قاصرة  
 واختلاطهم بباقي العالم معدوما ولا توجد بينهم وبين الأوروبيين  
 مواصلات ولا مكاتبات فإن تكشيفهم لم يعلم به أحد . ومع ذلك  
 لا يمكن تأييد هذا الرأي باقامة برهان عليه من معلومات هؤلاء الهنود  
 أنفسهم لأنهم لا يعرفون هم أنفسهم أصلهم ولا يدرون تاريخهم  
 فإذا لا يمكن الاتيان براهين قاطعة على صحة هذا الرأي إلا مثل هذا  
 الاستنتاج الذي وصلت إليه أثناء زيارتي منشوريا ومقارنتي سكانها  
 بأولئك الهنود الأمريكيين . والشئ الغريب الذي ألقت نظري في هذه  
 المعروضات وجود (رأس لحام) مكسيكي به رسم الهلال (وحديته  
 عربية) فقلت إن ذلك من مخلفات وآثار العرب فاننا نعلم أن  
 الأسبانيين هم الذين أتوا أولا وحاربوا مكسيكا وبما أن إسبانيا  
 كانت ملكا للعرب وبعد نزوحها من أيديهم لابد وأن تبقى في أسبانيا

آثارهم الحربية والاسبانيون الذين حضروا لفتح مكسيكا ربما كان بينهم من أحفاد العرب أو من المعجيين بأدواتهم الحربية من أحضروا معهم هذه المخلقات التاريخية وبعدها انتقلت من مكسيكا إلى هنا على أنها تحف تباع للسائحين والذي أيد فكرتي هذه وجود مروج عربية بكامل أدواتها معروضة أيضا للبيع وهي بلا شك من مخلفات الأتلسيين المغاربة

وقد زاد استغرابي ما وجدته من المشابهة بين مصنوعات هؤلاء الهنود المتخذه من القصب ومصنوعات السودانيين عندنا أو زوج أواسط أفريقية فأفكار الانسان وأعماله ملائمة لما هو عليه من الرقي أو الانحطاط في الشؤون الاجتماعية فلو أن طائفتين من بني الانسان تشابهتا في رقيهما وانحطاطهما فلا بد أن يتشابهتا في أعمالهما ولو تباعدت أوطانهما فإن حالة السودانيين الوحشية لا تقل عن حالة هؤلاء الهنود . بعد أن أتممت زيارتنا لكل غرف هذا المحل التجارى الأثرى أردنا الانصراف فوقع نظرنا على كتابة مكتوبة في لوحة معلقة على حائط باللغة الانكليزية علمنا منها أنه سيحتفل هذه الليلة باقامة مرقص للهنود في الساعة الثامنة مساء من هذا اليوم فصممنا على أن نعود ثانية الى هذا المكان حتى نرى شيئا جديدا لم نره من قبل فخرجنا وتزهدنا قليلا

حول الفندق ثم رجعنا اليه لأكتب مذكراتي عن رحلتي ولما أنت الساعة السابعة انتقلنا الى حجرة السفرة لتناول عشاءنا وما أزفت الساعة الثامنة حتى كنا في منزل الهنود الذي سيقام فيه المرقص وقد سبقنا اليه كثير من السائحين فتظمت هذه الحفلة بأن وضعت الكراسي على هيئة نصف دائرة حول محل كاف للراقصين فتقدم اثنان من الهنود الى بهو هذا الميدان وفي يد كل واحد منهما عصا جوفاء صغيرة في طرفها كرة من الخشب بها قطع صغيرة من الأجار (شخشيخة) حتى اذا هزّت سمع لها صوت يشبه تمام المشابهة صوت (شخشيخة الزوج) فأخذنا يرقصان ويصيحان بأعلى صوتهما كنباح الكلاب وصاروا يرفعان قدما ثم يحططنها ويرفعان القدم الأخرى وهكذا . فرقص الهنود أيضا يشبه رقص زنوج أفريقية الا أن صوتهم أكثر إزعاجا . ولما اتيا من رقصهما شرع مدير الحفل يحذفهما ببعض قطع من النقود الامريكية ذات الخمسة أو العشرة سنس حتى يذبه السائحين الى أن يحذوا حذوه فصار كل واحد منهم يلقي ما يريد والاثنان يسرعان الى التقاط ما يلقي اليهما

اتهى دور هذين الاثنين فخرجا من المرقص وتقدم بعدهما خمسة من الهنود يتلو بعضهم بعضا على صف واحد فصاروا يرقصون

و يصيحبون أيضا كما يفعل الزوج السودانيون وبعد ذلك تهرت عليهم النقود فصاروا يلتقطونها ثم تركوا مكانهم تخلفهم امرأتان هندية تان عاريتا الأقدام وعلى كتف كلتيهما قطعة من القماش وابتدأتا في الرقص أيضا ثم تبعهما بعد انصرافهما ثلاثة أطفال تمموا حفلة الرقص وفي كل مرة كانت النقود تلقى على الأرض والراقصون أو الراقصات يسرعون الى التقاطها أما الدف الذي كانوا يضربونه فهو كدلوكة السودانيين أيضا فلم أهتمم بالاهتداء الى سر هذه المشابهات ين هؤلاء الهنود وسكان أواسط أفريقيا . وأعجب من كل ذلك في وجوه المشابهة أن معاملتهم في الزمن السابق كانت بأججار الفيروز وأنواع الصدف وغيرها فان الأقراط والأساور المصنوعة من هذه الفصوص كانت تباع بعة رؤس من الغنم أو البقر أو الخيول أما ملابسهم على كثرة ألوانها فلبسهم يزينونها بأنواع الخرز الملون فكان الخرز أيضا كان له قيمة عظيمة عندهم كالزنج

هذه كانت حالتهم الأولى ثم صاروا يتدرجون في تغيير هذه الأشياء بعد تكشيف أمريكا ووفود الأوروبيين إليها وصاروا يصنعون من الفضة أقراطهم وأساورهم وغيرها ويغيرون ملابسهم تدريجيا إلى أن وصلوا الآن إلى الارتداء بالملابس الأوروبية على قاعدة أن

المغلوب ولَّوع بتقليد الغالب . بعد انتهاء هذه الحفلة عدنا إلى الفندق  
واقترقا للنوم وموعدا الصباح

اجتمعنا في يوم الخميس ( ٢٤ مايو ) حيث كان الهواء عليلا والسماء  
رائقة نخرجنا من الفندق لنتمتع أنظارنا بتلك المناظر الغريبة فرى  
السائحون الذين سيزلون إلى أسفل المضيق فذهبنا إلى المكان المعد  
لركوبهم فرأيتهم وعليهم ألبسة من الكاكي الأصفر أعدها القائمون  
بإدارة الفندق لأيجارها للسائحين فقد كان الرجال ينطلوناتهم السوارى  
والتزالك والسيدات بحللهن ( فساتينهن ) الواسعة المصنوعة من هذا  
القماش أيضا المعدة للركوب فكان المنظر غريبا يجذب الأنظار اذ كان  
نرى رجالا على ظهور البغال وحالتهم تظهر عدم اطمئنتهم من جهة  
دوابهم وسيدات بلغن سن الشيخوخة ويردن أن يظهرن مقدرتهن  
بجيشم هذه المشاق ورجالا وسيدات بلغوا من عظم الجسم ماجعل  
بغالهم تنوء بهم وأطفالا يلعبون فوق ظهور هذه الدواب ولا يميلونها  
تستقر في مكان واحد . وبالجملة أمضينا بعض دقائق ونحن نرى كل  
هذا ولم نأسف على ضياع وقتنا سدى وبعد ذلك مشينا من هذ  
المكان إلى الأمام حتى وصلنا إلى محل فسيح قد ضرب به كثير من  
الحيام موضوعة بنظام كتنظام المعسكرات للذين يفضلون الإقامة بها

من السائحين على السكنى بالفندق وأظن أن أجرة المبيت في هذه الخيام أقل من أجرة الغرفة في الفندق .

عدنا بعد ذلك إلى الفندق لنعد متاعنا فقد صممتا على الرحيل عند ما تمرّ خمسون دقيقة بعد الساعة السابعة . وبعد الغداء أردت أن أستريح قليلا في غرفتي فاعتزاني ألم شديد في رأسي لم أخلص من شدته إلا نحو الساعة الثالثة والنصف ففضلت الخروج في الخلاء لاستنشاق هواء الأجمة لعلّي أتغلب على هذا الألم المتعب فصحني رفيقي ومشينا إلى أن قربنا من أكواخ الهنود الذين يشتغلون في الفندق أو في المحل التجاري الذي سبق الكلام عليه فرأينا امرأة تسليخ خروفا معلقا أمام كوخها ولما أردنا الاقتراب منها لثرى ما تفعله دخلت في كوخها فتعمدنا الاقتراب منها لثرى ما يحويه ذلك الكوخ الذي توارت فيه فأغلقت الباب في وجهنا فرجعنا بعد أن طال انتظارنا ولكنا عدنا ثانية للاقتراب من الأكواخ الأخرى المجاورة للكوخ الذي اختبأت فيه المرأة الهندية فكان نصيبنا أيضا عدم الوصول إلى معرفة ما بداخلها وكنا كلما تقرب من أحدها تسرع امرأة أو طفلة إلى إغلاق الباب في وجهنا فكأنهن لا يردن أن يقف أجنبي على أحوالهن الداخلية . إن هذه الحوادث ولو أنها في حدّ

ذاتها تافهة جداً إلا أنها مرت على نغمة المفعمة بحب المحافظة على العوائد القديمة فوجدت فيها مكاناً رحباً فشعرت وقتئذ بلذة ذهب بما كنت أشعر به من ألم الرأس وربما يتصور القارئ أنني من المتعصين الذين لا يؤذون تحمين أحوالهم باختيار أحسن الطرق الموصلة إلى المدنية الحقبة وترك العادات العقيمة الداعية إلى التأخر التي يقول فيها الباحثون عن أسرار تأخر الأمم الشرقية إنها العقبات الحائلة دون وصول هذه الأمم إلى درجة التقدم العظيمة التي وصلت إليها الأمم الغربية .

حاشا لله أن تكون تلك سبيلي وأنا العظيم الحب لبلادي ولكافة الشرق ولكن كثرة سياحاتي واختلاطي بالشعوب الراقية وغيرها وبحي الدقيق في عاداتها جعلني أميز بين النافع والضار منها وطالما سمعت من المتعديين الشكوى المرة من عادات نحن نسرع إلى العمل بها تشبهاً بهم ولا نعلم نتائجها ولا إلى أين هي تسوقنا .

أترك هذا البحث الجليل الفائدة لحضرات علمائنا الأفاضل راجياً منهم أن يوجهوا عنايتهم إليه عساهم يوفقون إلى أتمجج الأدوية لعلاج هذا المرض العضال الذي أخشى كثيراً عواقبه غير أنني أوجه أنظار القراء إلى عادة كان الشرقيون يتبعونها وكانت من أعظم وسائل نجاحهم .

إننا كما في الزمن السابق نعيش عيشة الخشونة بعيدين عن الانغماس في الترف نفق مايزيد عن حاجتنا الضرورية فيما يعود على الأمة بالفائدة العامة فلا الزخارف كانت تؤثر فينا ولا حب الظهور الكاذب كما نميل إليه . لا نعمل الا ما يجعلنا أمام غيرنا من الأمم مهيين محترمين . كما نحافظ على آدابنا وأخلاقنا وعوائدنا الشرقية . فلنعد اذا الى مايلاننا منها وان رأينا في بعضها ما يسبب تأخرنا فلتركه بعد مشاوره ذوى رأى منا . إن المجال واسع جدا في هذا الموضوع وأرى أساسه الأخلاق فأسرعوا بإنجاء الأمة إلى طرق هذا الباب والله يوفقكم إلى خير الأعمال . نرجع الى رحلتنا فبعد أن تركنا هذه الأكواخ عدنا إلى الفندق وجلسنا في أحد طنوفها (فراغات) ننظر حضور السائحين الذين ذهبوا صباحا إلى أسفل المضيق ولما أتت الساعة الخامسة ونصف رأيتهم قادمين وجوههم محترقة من أشعة الشمس وتظهر عليهم جميعا علامات التعب الشديد وفي الساعة السادسة والربع ابتدأنا تناول عشاءنا وما أتت الساعة السابعة والربع حتى كما أخرجنا أمتعتنا ودفعنا حسابنا . ثم بعد ذلك توكلنا على الله وذهبنا إلى المحطة فأذن لنا في الساعة السابعة والنصف أن نأخذ مكاننا في عربة القطار وقد كانت به عربتان للنوم احدهما تذهب الى



كاليفورنيا والأخرى إلى جهة الشرق وعربية ثلاثة اعتيادية للذين يذهبون فقط إلى محطة ويليامس (Williams) التي فصل إليها بعد ساعتين ونصف وقد كان القطار مزدحما جدا بالراكين فتحرك بنا وتخلصنا والله الحمد من الجسراندكانيون الذي هو جميل وعظيم إلا أن بعده عن العالم وخلقه من حركة الحياة جعلاني أتصور اذ كنت فيه أنني لست في عالم الأحياء بل في مقابر زورها ونحن خاشعون فقمسي ولو كانت لا تحب كثرة الضوضاء والحركة ولكنها لا تميل أبدا إلى هذا السكون المحزن . ابتداء الخادم الزنجي في إعداد أسرتنا وبعد الساعة الثامنة مساء أخذنا نضطجع عليها لعلنا ننام ونرتاح وقد رأيت في أول مرة على أحد الأمرة سيلة وزوجها ولا أعلم كيف ينسى لها أن يناما مع راحة وهدوء في سرير واحد لم يكن معننا الا لشخص واحد .

تركزت هذا لها وصرت أغمض عيني متعمدا النوم ولكن من أين يأتي ذلك وأنا أفضل النوم على كرسي طويل على أن أنام على سرير البولمن (Pullman) فإن الإنسان لا يمكنه أن يرقد على أحد جنبه لأن كثرة التعاريج تسبب شدة الاهتزاز ووقوف القطار وقيامه دفعة واحدة يجعلان المسافر في فرع شديد وقد شرحت حالة هذه

القطارات قبلا وما كررتها إلا لالاقته من عدم الراحة التى جعلتنى  
أألم وأشكو كثيرا منها وأخيرا وجدت خير طريقة للذى رماه الدهر  
وسافر فى هذه القطارات الليلية أن ينام على ظهره أو على بطنه ويفرج  
رجليه بحيث يجعل إحداها فى حرف السرير والأخرى فى الحرف  
الأخر كذلك يفعل بيديه فهذه الطريقة الوحيدة ربما يأمن السقوط  
المتظر فى كل وقت وفى النهاية أمضيتا ليلتنا وما طلع فجر يوم الجمعة  
(٢٤ مايو) حتى أسرعنا لارتداء ملابسنا . ولما أتت الساعة السابعة والربع  
وهو ميعاد تقديم الفطور فى عربات الأكل ذهبنا لتأخذ قهوتنا ولكننا  
رجعنا على أعقابنا لأنه قيل لنا إننا الآن فى الساعة السادسة والربع  
والزمن هنا يتأخر ساعة لأننا نسير جهة الغرب وبعد انتظارنا أربعين  
دقيقة عدنا ثانيا إلى عربة الأكل فوجدنا الممشى مكتظا بالسيدات فلم  
نجرأ أن نزاحمن ونخترق صفوفهن فبقينا وراءهن إلى أن فتح الباب  
ودخلن ونحن وراءهن . ولما استقر بنا الجلوس ألقينا نظرة على الجهة  
التي نمر فيها فإذا هى صحراء عظيمة الاتساع شكلها محزن مخلوطة  
من السكان فلا يجدر بالإنسان أن يزعم أن جميع جهات كاليفورنيا جميلة  
فقد أتت الساعة التاسعة ونحن مازلنا نخترق صحارى قاحلة رملية بها  
صخور سوداء لا يرى الإنسان فيها شجرة واحدة زاهية بل كما ترى

بين وقت وآخر بعض حشائش طبيعية ذابلة أظن أنها لا تصلح إلا مراعى للخر أما الماء فلم يكن له أثر هناك والمدن أو القرى قليلة جداً .

بعد ذلك أخذ قطارنا ينفث دخاناً في صحراء (Mojave) العظيمة وهي سهل مرتفع رمليّ بها بعض بحيرات ملحة .

سبق أن قلت إننا تسير جهة الغرب ولوجه الإنسان نظره شمالاً لرأى جبالات مرتفعة ولكنها بعيدة . -

وصل بنا القطار إلى محطة تدعى بغداد والقارى لا يستغرب هذا الاسم فإن الولايات المتحدة لسعتها العظيمة وكثرة مدائنها استعير لبعضها أسماء أعظم بلاد الدنيا . وأخيراً وصلنا إلى محطة بارستاو (Barstow) فانقسم قطارنا إلى قسمين قسم يذهب إلى سان فرانسيسكو والقسم الآخر إلى لوس أنجلوس وقد علمنا أن بهذه البلدة كثيراً من المناجم ورأينا بها عدداً عظيماً من المداخل التي تدل على كثرة المصانع بها وبعد أن أمضينا بهذه المحطة عشرين دقيقة سار بنا القطار ببطء فابتدأنا ندخل في مضائق مكتنفة بالجبال وبعد ساعة عدنا إلى سهل عظيم الاتساع ولكن أرضه خصبة وبها كثير من أشجار البرتقال والقرنيز (توت أفرنجي) والكروم وأشجار فواكه أخرى وقد أعجبنى

كثيرا تنسيق زراعة البرتقال في أشجاره كانت على خط واحد ومنفصلة بعضها عن بعض بمسافات عظيمة تمكن العربية من المسير بينها وذلك لتسهيل جنى ثمار البرتقال . أما الأراضي التي بها هذه الأشجار فقد رأينا الاعتناء بمرحلتها عظيمًا ولا يمكن أن يرى فيها الإنسان أثرًا للحشيش وقد جذب نظرنا طريقة رى هذه الأشجار فانها لا تسقى كما نعرف بعمل حفرة حول الشجرة مباشرة بل تسقى بمرور قناة صغيرة على بعد من الشجرة أى في وسط المسافة التي بين الشجرتين وقد استفهمنا عن السرى ذلك فعلينا أن هذه الأشجار لكبرها وامتداد جذورها لا تنفع من الماء إذا كان حول جذوعها مباشرة بل تنفع منه إذا كان بعيدا عنها إذ يكون قريبًا من جذورها فهذه الطريقة تأخذ الشجرة ما يكفيها من الماء ولا يحصل لها ضرر أبدا ولا خوف عليها من الفرق

وصلنا إلى محطة سنت برناردينو (St. Bernardino) وهنا انقسم أيضا قطارنا إلى قسمين قسم يذهب إلى لوس إنجلوس بطريق (River side) والقسم الآخر يذهب إلى پاسادينا (Pasadena) وهي الجهة التي سذهب إليها -

أما بلدة سنت برناردينو (St. Bernardino) فيبلغ عدد سكانها

ثمانية آلاف نسمة وهي تصدر كثيرا من أنواع الفواكه وقد ألقينا  
نظرة عامة عليها فرأينا طرقها عظيمة ومتسعة وحسنة النظام ومغروما  
في جوانبها أنواع كثيرة من النخيل وغيرها . ومنازلها جميلة ومحاطة  
بجدران ذات بهجة ولو أنها صغيرة ولكنها منظمه ومرتبـة أما أنواع  
الزهور بها حدث عنها ولا حرج فكلمنا وجه الإنسان نظره لا يرى  
إلا أنواع الورد وزهورا كثيرة أخرى مختلفة الشكل واللون بديعة  
جدا تسر الناظرين

أتى ميعاد الغداء فذهبنا الى عربة الأكل وأخذنا مكاننا ولما كنا  
في بلاد الزهور فقد تقم شاب وصار يقدم إلى كل سائح قرنفلة  
جميلة وإلى كل سائحة باقة صغيرة أنيقة من الزهور بدون ثمن فصار  
كل واحد منا يتمتع نظره بهذه الزهور البديعة ويشم رائحة القرنفل  
العطرية ومن حين إلى آخر كنا نلقى نظراتنا فترى الخلاء المملوء مزارع  
عظيمة لا يمكن الإنسان أن يضمجر من رؤيتها وكلما أنعم النظر فيها  
شعر بلذة وسرور في نفسه . هنا حقيقة الحياة الطيبة فلما شعرنا  
بالفرق العظيم بين ما رأيناه وما نراه الآن وقد ذكرتُ إذ ذاك  
لإخواني أنني أفضل الجمال مع حركة الحياة على الجمال الذي يُحفظ  
بالسكون المحزن . بعد أن انتهينا وأخذنا ما طاب لنا من الطعام عدنا

إلى عربتنا وصرنا نحترق مزارع كثيرة من أشجار الزيتون ولما وصلنا إلى جلاندورا (Glendora) رأينا بها أشجار الليمون بكثرة كذلك سان جابريل (San Gabriel) فإنها شهيرة بصيد أسماك البقلاء والمرجان وقد كان بجانب طريقنا طريق آخر زراعى عرضه يبلغ الأربعين مترا ومغطى بطبقة من القطران فأمضينا نحو عشرين دقيقة ونحن نسير بجانب هذا الطريق ونحترق حدائق بها أنواع الليمون والبرتقال واليوسف أفندى إلى أن وصلنا إلى بلدة پاسادينا (Pasadena) وقد كنا لاحظنا بين أشجار البرتقال فى ماشيتها أكواما من البرتقال الذى تلف بالقمونة ولا غرابة فى ذلك إذا عرف القارئ مقدار ما يصدر كل سنة من نوع البرتقال فقط من هذه الجهة فإنه يبلغ ٢,٥٠٠,٠٠٠ صندوق غير باقى القواكه الأخرى

قلت إننا وصلنا إلى پاسادينا وهى مدينة يبلغ عدد سكانها اثنى عشر ألفا من النفوس وهى واقعة بسفح جبل فى وادٍ خصب جدا فنزلنا من عربتنا نحو الساعة الثانية بعد الظهر وذهبنا ثوبا إلى فندق ماريلاند (Maryland) الواقعة فى أحسن شارع فى هذه المدينة وقد أعد لنا فيها غرف فاخرة فأخذنا تنفض عنا الغبار ونصلح حالنا وبعد ذلك نزلنا منها لتطلب إعداد سيارة لنذهب بها إلى داخل هذه المدينة

الجميلة لستمع برؤية ترتيبها وحسن نظامها وقد كنا أرسلنا باقى أمتعتنا الثقيلة (الحقائب الكبيرة) إلى لوس إنجلوس على نية أننا لانقم بمدينة سادينا أكثر من ليلة ولكننا لما أعجبنا ظواهرها صممنا على أن نمكث بها أكثر من ذلك فسلمنا (حوافظ) هذا المتاع الثقيل لبواب الفندق ليقوم بما يجب لإرساله لنا ولم نلبث أن أفهمناه ما نريد حتى أتت السيارة التى طلبنا إعدادها من قبل فركبنا فيها وسرنا فى وسط شوارع كلها عظيمة وجميلة لاندري أيها أجل من غيره فهى كالحلقة لا يدري أين طرفاها والحق يقال إنها فى منتهى النظام وجمال العناية والنظافة وقد زرع فى جوانب هذه الشوارع المتسعة على أبعاد متساوية وفى صفوف مستقيمة أنواع من النخيل (Palmiers) ومن المانوليا (Magnolia) ومن أشجار القفل (Poivriers) ومن الكافور . أما منازلها فقد بلغت من الجمال غايته فلإنها كلها عبارة عن فيلا (Villa) وقد قدرنا اتساع هذه الشوارع بأربعين مترا وكلها مرصوفة بالكادام مغطاة بطبقة من القار تجرى فى وسطها المركبات الكهربائية معلومة بالركاب أما أرضها فبليطة ونظيفة جدا والذى زاد إعجابنا بها أن جميع هذه المنازل لا يحدق بها أسوار ولا حواجز وبما أنها كلها محاطة بالحدائق البديعة فقد شبهنا مجموع هذه المدينة بمدينة واحدة عظيمة

محكمة النظام رائعة الجمال بها هذه المنازل اللطيفة المرتبة بذوق سليم  
أما طقسها فلطيف أيضا ولم نشعر بدرجة الحرارة الزائدة كما كنا نتألم  
منها في القطار قبل وصولنا إلى هذه المدينة التي أسميها مدينة الزهور  
والرياحين -

هذا وقد أخذ سائق عربتنا يريتنا قبل كل شيء حديقة السيويوش  
(Busch) الألمانية الأصل الذي توصل باجتهاده أن يكون من  
أرباب الملايين ولما وصلنا إليها وجدنا الدخول فيها مباحا لعامة  
الناس لغاية الساعة الخامسة والنصف مساء فدخلناها وأعجبنا نظامها  
وشهدنا بأن صاحبها ذو ذوق سليم وهو في نظرنا من أكبر المغرمين  
بحب الحدائق والمولعين بترتيبها وحسن تسيقها وقد استفهمنا عن  
أسباب شدة الاعتناء بهذه المدينة فعلينا السرف في ذلك وهو أن أرباب  
الثروة العظيمة الذين يشتغلون بمدينة (لوس إنجلوس) الواسعة التجارة  
الكثيرة المصانع لم يجدوا فيها من الراحة ما يخفف عنهم متاعب  
أعمالهم فجعلوها فقط مركز أشغالهم وجعلوا مدينة (إسادين) القريبة  
من (لوس إنجلوس) مأواهم في أوقات راحتهم . فمدينة الزهور هي  
مأوى الأغنياء فهم كثير و الإقبال عليها وقد علمنا أيضا أن الشركات  
هي التي وضعت نظامها الحالي اللطيف فإنها التي أنشأت بها المنازل



وأخذت تتأق في بناتها وتبيعها لدوى اليسار وقد اعتفت بترتيب  
شوارع هذه المدينة فتوجهت الأنظار إليها فترح إليها سكان البلاد  
المجاورة لها وفي زمن قليل وصلت إلى ماهى عليه الآن من حسن  
النظام . ولنعد ثانيا إلى ذكر حديقة المستر (بوش) تكلمتُ عن جمال  
هذه الحديقة وفاتنى أن أقول إن بها نباتا ذا أزهار جميلة جدا لونها  
بنفسجى وقد يفتنون في إقامة الجيلات الصناعية بها ويجعلونها  
معممة بهذه الزهور فيكون لها مناظر بديعة رائعة الجمال تقاد أعنة  
الحديق قفزوا إليها أنظار السائحين وكلما زادوها نظرا زادتهم سرورا  
وإعجابا بها :

إذا ما زدتها نظرا • يزيدك شكلها حسنا

فهذه الحديقة جمعت فأوعت قفصا عن كثرة جيلاتها البديعة  
بها أنواع من الورد لائحى أما أشجارها لحقت ولا حرج عن كثرتها  
واختلاف أنواعها وقد شيد صاحبها فيها منزلا فخا له وبجانبه منزلين  
أحدهما لابنه والآخر لابنته وأجلها في نظرى منزل الأخت  
تركا هذه الحديقة وذهب بنا سائق سيارتنا إلى حى من أحياء  
المدينة يطلق عليه (سويسرا الصغيرة) وذلك لأن منزله مشيدة على  
الطراز السويسرى وبعد ذلك صعد بنا إلى ربوة بنى عليها فندق

كثير وهي مقفلة الآن لأنها تغلق أبوابها في هذا الفصل لعدم كثرة وفود السائحين إليها فأمكننا أن نرى من هذه الربوة المدينة بشوارعها العظيمة المنظمة وأشجارها المغروسة بترتيب بديع وزهورها المنتشرة في حدائقها البديعة فأعجبنا جدًا رؤية هذا المنظر البديع لاسيا أطراف المدينة والفضاء الواسع الذي يحيط بها ثم سار بنا إلى بناء شاهق مهجور ذي خمس طبقات وأصله دير مشيد على الطراز الأسباني وقد عرفنا أن في كاليفورنيا كثيرا من أمثال هذا الدير وأغلبها اشترته الشركات لجعله فنادق ولما رأى مديرو هذه الفنادق أن الإقبال عليها عظيم أخذوا في بناء فنادق على شكل الأديرة الأسبانية ولكن هذا الفندق الذي نحن به الآن لم يتم بناؤه لغاد الأموال من أيدي القائمين به فأوقف العمل فيه مع أنه لم يبق لإتمامه إلا قليل من العمل ولكن تفتى بمهارة الأمريكيين في اتخاذ الطرق التي يسلكونها للحصول على الأموال تجعلني على يقين من أن أصحاب هذا الفندق لا يعدمون من يعينهم على إتمامه فيفتح أبوابه في السنة الآتية وينال شهرة كبيرة . وبعد أن تفقدناه خرجنا وسرنا بجوار أملاك المستر (هامنتجتون) وقد علمنا أنه المنشئ لجميع خطوط المركبات الكهربائية في مدينة لوس إنجلوس وضواحيها والذي

يدل على مقدار ثروته العظيمة أنه شيد منزلا خصوصيا له أنفق عليه مليون دولار وقد حُفَّ هذا المنزل بمحديقة مساحتها ٨٠ هكتارا ولا تسل عن باقي ممتلكاته الواسعة في المدينة فإننا رأينا من بينها أرضا واسعة قسمها إلى شوارع مستظمة وشرع يبنى فيها منازل صغيرة ليبيعها لمن يريد وقد سألتنا هل يتيسر لنا زيارة قصره وحديقته فعلمنا أن الدخول فيه غير مباح للعامه فاستمررنا في طريقنا إلى أن وصلنا إلى قصر المئري العظيم الطائر الصيت المستر وكفلر فوجدناه نفخا وجميلا ولكنا علمنا أنه لا يسكنه الآن فنظرناه على بُعد ثم مشينا فمررنا على مدرسة التجارة ومنها إلى (السيورتيج جراوند) الذي يلعب فيه جميع أنواع الألعاب الرياضية (كالهولو) وغيره خصوصا في أيام السبت والأحد ولما قربت الساعة السادسة والنصف صممتا على أن نعود إلى الفندق فأمرنا السائق أن يذهب بنا إليه وقد صادفنا في طريقنا عددا كثيرا جدًا من السيارات ولا عجب فإن سكان المدينة أصحاب ثروة واسعة وشوارعها تامة النظام عظيمة الاتساع فيسهل عليهم اقتناء هذه السيارات وكثرة ركبها

أما عدد الكائنات التي مررنا عليها أثناء سيرنا فعظيم وأظن أن في هذه المدينة ما لا يقل عن ثلاثين كنيسة .

وصلنا إلى الفندق وأسرعنا لتناول عشاءنا وبعد ذلك ذهبنا لتسريح من عشاء السفر ومشاقه ولما أصبح الصباح (يوم السبت ٢٥ مايو) رأينا الحق عابسا والسماء متلبدة بالغيوم فلم يمنعنا انهمار الأمطار عن الخروج فارتدينا معاطفنا الواقية من المطر (ماكينتوش) وأخذنا مطرياتنا وتوكلنا على الله وسرنا في المدينة راجلين لئلا نراها على مهل ولم نعد من جولتنا هذه إلا نحو الساعة الحادية عشرة فبعثنا في طلب سيارة لنذهب بنا إلى مدينة (لوس أنجلوس) التي يباهل كوك لنبحث عن رسائلنا وفي الساعة الثانية والنصف أتت السيارة فركبنا فيها وأمرنا سائقها أن يذهب بنا إلى هذه المدينة ولما كانت الأمطار لا تزال منهمة لم نستطع أن نقطع المسافة بين بسادينا ولوس أنجلوس إلا في ٤٥ دقيقة مع أن المعتاد أن تُقطع في نصف ساعة وذلك لأن الطريق صار كله مزاج ولم نرد أن نسرع اتقاء الخطر ولكن سيرنا البطيء جعلنا نتمتع بمناظر جميلة وقد كان الطريق الذي نسير فيه على أتم نظام وأكمل نظافة وكانت المركبات الكهربائية تجري في وسطه بسرعتها العظيمة التي تفوق سرعة ترام مصر الحديدية وكأ أننا وجهنا أنظارنا لا نرى إلا مزارع واسعة تضرة لخلت لنا هذه الاستراحة ولم نشعر فيها بملل إلى أن وصلنا إلى مدخل مدينة لوس أنجلوس فلم يعجبنا نظامه

لاحتوائه على منازل صغيرة جدًا أغلبها أكواخ تسكنها فقراء العمال وبعد أن احترق هذا المكان وصلنا إلى شارع عظيم جدًا اسمه برودوي (Broadway) لا يقل عدد منازل وحوانيته عن الألف وقد رأينا في هذا الشارع جميع أنواع البشر من صينيين ويابانيين وميكسيكيين وهنود أمريكيين وغيرهم ولم نر مصريًا واحدًا غيرنا ولا تركيًا فكأننا بمرورنا في هذه اللحظة جعلنا حطًا للصينيين في الاشتراك مع جميع هذه الأجناس في هذا الشارع المختلط ومع كثرة هذا الزحام صرنا ننعم النظر فيما حولنا لنقف على أحوال هذه المدينة العظيمة وقد دلّتنا تلك الحركة العظيمة التي بها على أنها مدينة صناعية تجارية وبها كثير من معامل البيرة وغيرها .

لا بد أن الحال التجارية في مثل هذه المدن كثيرة البيع والربح لكثرة السكان بها ولاحتياج هذا العدد العظيم من المخلوقات لمطالب الحياة من ضرورية وكألية . إن مدينة لوس انجلوس هي عاصمة كاليفورنيا الجنوبية ونهرها الصغير الذي يسمى باسمها يخترقها ويصب في المحيط (O. Pacifique) على مسافة قليلة وهذه المدينة أنشأها سنة ١٧٨١ الإسبان ثم سقطت في أيدي الأمريكيين في سنة ١٨٤٦ ولم تكن إذ ذاك شيئًا مذكورًا فلان عدد سكانها كان لا يزيد في سنة ١٨٥٠

عن الأتھين ولكن أخذ هذا العدد يزداد في سنة ١٨٨٠ إلى أن وصل إلى الخمسين ألفا أما الآن فعددها يربو عن ٢٨٠٠٠٠ وقد علمنا أن بها ١٣٠ كنيسة و ١٧٠٠ مصنع ودخلها يزيد عن الثلاثين مليون دولار في السنة الواحدة والذي يدل على أن سكانها من أجناس مختلفة عدد جرائدها العظيمة التي تكتب ببيع لغات مختلفة وليل سكانها إلى التشبه بأهل مدن أمريكا الكبيرة أقاموا المائتي الفخمة الشائخة الكثيرة الطبقات (Gratte Ciel) وبالجملة هذه المدينة هي مركز الخطوط الحديدية ومنها ترسل الفواكه إلى سائر أنحاء أمريكا وذلك بلخوذة تربة أرضها ولإتقان طرائق الري الصناعية بها وقد ذكر لي أنها ترسل من أنواع الفواكه ما يزيد قيمته عن الثلاثة عشر مليون دولار ولا يحب لأننا رأينا في مزارعها المترامية الأطراف كثيرا من كروم العنب وأشجار البرتقال والليمون والزيتون وغيرها .

وصلنا إلى محل كوك فوجدناه مجاور الفندق اليكسندر (Alexandria) الشهير فدخلنا فيه وتسلمنا منه رسائلنا الكثيرة فما كان أعظم سرورنا إننا نحن إلى بلادنا ونشتاق إلى معرفة أخبارها وتنسم أحوال أقاربنا وأصدقائنا وجدير بنا ذلك لبعد الشقة بيننا وبين أوطاننا إذ أننا

فى الطرف الآخر من الدنيا وحسبنا دليلا عل تنأى ديارنا أن وقت النهار هنا هو وقت الليل بمصر فنحن إذا قرأ أخبارهم ونسير فى هذه الأراضى الواسعة بينا سكان مصر يتلذذون براحة النوم .

تركنا هذا المحل وسرنا فى شارع ماين استريت (Main Street) الذى يمترق وسط المدينة فرأينا فيه مباني شاهقة أعظمها بناء البريد العام ومنه مررنا على جملة شوارع أخرى رأينا فيها مركز المحافظة ونادى (كلوب) السيدات والغرفة التجارية ومدرسة المعلمين وغيرها . أما فى شمال المدينة فقد رأينا حيا أهلا بالصينيين وبالجملة لم تترك مزارا يذكرك حتى زرناه وقد وصلنا إلى متنزه عام يبعد عن المدينة بمسافة ميل به بحيرة صغيرة وبحواره مساكن الأغنياء الذين جعلوا مدينتهم تحاكي شوارع مدينة إسنادينا فى نظامها وغرس أنواع النخيل على جانبيها وجعل كل منزل يحيط به حديقة بدية بها أنواع الزهور المختلفة الألوان والأشكال وبعد ذلك عدنا إلى داخل مدينة (لوس انجلوس) فوصلنا إلى ساحة عامة بها حديقة صغيرة فى وسطها تمثال صغير وبجانبه مدفع أخذ من الأسبانين وفى هذه الساعة انقطعت الأمطار التى كانت تضايقنا من وقت خروجنا من الفندق وذهبت براحتنا ولم نستطع معها أن نشاهد بدعة كما نشاء كل ما وصفته . ولما كان عندنا

منع من الوقت أخذنا طريقا آخر للعودة أوصلنا إلى حديقة جريفت بارك (Griffith Park) ومساحتها ١٢٠٠ هكتار وبها محل سباق فاسترطنا فيها أيضا وبعد ذلك استمررنا في طريقنا إلى أن وصلنا إلى الخلاء والمزارع فصرنا نرى بعض رباوات مكسوة بالزهور الطبيعية الصفراء ومن بديع جمالها ونظامها لا يحسبها الإنسان طبيعة ثم مررنا على قرية صغيرة لا تبعد كثيرا عن مدينة إساديئا تدعى الحمراء (Alhambra) وهى على صغرها جميلة أيضا تشبه إساديئا فى نظام شوارعها ومساكنها وقد رأينا على جانبي شوارعها أشجار الكافور وغيره فاحترقنا أيضا هذه القرية وبعد أن جاوزناها صرنا نسير فى وسط أشجار البرتقال المورقة التى كانت تنبعث منها الروائح العطرية وما زلنا على هذه الحالة فى بحبوحة هذا النعيم إلى أن وصلنا إلى بلدة إساديئا ووقفت بنا سيارتنا أمام الفندق فى الساعة الخامسة والنصف مساء وبعد ذلك أردت أن أرى الحدائق التى تربي فيها النباتات والأشجار لبيعها فذهبت إلى بستاني لعلى أجد أشجارا نادرة اشتريها وأرسلها إلى مصر ولكنى علمت أن دون ذلك صعوبات كثيرة منها أنه قبل نقل تلك الأشجار إلى بلاد أخرى لابد من البحث فيها بواسطة لجنة لتعرف أهى سليمة حتى يؤذن بنقلها ثم عند وصولها



إلى أوروبا لابد من إعادة هذا الكشف فانصرفت عنى هذه النية  
لا سيما أن كل شئ في أوروبا وطرق النقل منها أسهل وأقرب من  
أمريكا وإن كنت قد علمت أن فى هذه الجهات نوعا من الجوافة  
منبعجا يقال إنه أحسن من النوع الذى عندنا فى مصر بذوره صغيرة  
وقليلة ولكن لم أر أن أشتري شيئا من هذه الأشجار إذ لا قيمة لها  
تستحق ذلك . هذا كل ما وصلنا إليه فى يومنا

ولما أصبح يوم الأحد (٢٦ مايو) وأردنا أن نغفر علمنا أن الفطور  
لا يقدم قبل الساعة الثامنة صباحا أما الغداء فإنه لا يكون قبل الساعة  
الأولى بعد الظهر أى بعد انتهاء الصلوات . وهل يدل ذلك على  
حرص الأمريكين على دينهم والعمل به ! فخرجنا للاستراحة قليلا  
فى شارع الفندق ودخلنا فى محل تجارى لأشتري منه بعض كارت  
پوستال ثم دخلنا إلى محل آخر لشراء شئ من الحلوى فوجدنا أن صاحبه  
صربى وبعد ذلك صرنا نمشى رويدا رويدا ونحن نتمتع برؤية الزهور  
والأشجار المغروسة أمام كل منزل وهكذا صرنا نتقل من مكان إلى  
آخر حتى نهاية شارع الفندق ثم عدنا إليه لأكتب فى رحلتى ولما أتت  
الساعة لواحدة ذهبنا لتناول الغداء وقد كنت أوصيت أن تعد لنا  
سيارة فى الساعة الثانية والنصف لنذهب إلى شاطئ البحر لرؤية

(سنتامونيكا (Santa Monica) وادسيان بارك (Ocean Park) وفيينسيا (Venise) وكلها متجاورة فلما حل الميعاد أتت السيارة فركبتها وسارت بنا في طريق آخر غير الطريق الذي ذهبنا منه إلى (لوس انجلوس) فصرنا نمرين حقول منسعة مزروعة قحاً وغيره ثم مررنا على علة قرى صغيرة لا يبعد بعضها عن بعض كثيراً وكل طرقها منظمة والذي ألفت نظرنا أننا لم نمر على قرية إلا ورأينا بها مدرسة مشيدة تشييداً جميلاً ماعدا بعض تلك القرى . وفي أمريكا لا يحبون أن يسموا بلادهم الصغيرة قرى بل يسمونها كلها مدائن كما ذكرت ذلك قبل مخافة أن يغضبوا سكانها وقد تغالوا في ذلك حتى إن القرية الصغيرة التي لا تحتوى على أكثر من عشرة منازل يسمونها أيضاً مدينة وتلك عادة خاصة بهم فلا توجد في جميع أنحاء الدنيا . وقد صادفنا في طريقنا كثيراً من السيارات حتى خيل إلينا أن كل فرد من سكان هذه الجهة له سيارة خاصة به وقد سمعت أن جميع هذه الطرقات المرسوفة بالميكادام المغطاة بالقطران أنفق عليها في ذلك مليونان ونصف دولار وهذا ما يدل على عظم ثروة سكان هذه الجهات وقد شهدنا أن نظام هذه الطرقات قد لا يعادا نظام آخر في جميع أنحاء العالم فإن الإنسان يمكنه أن يقضى طول يومه يتنزه بسيارته و يعود بدون أن يتأذى من التراب أو من عدم تمهيد الطريق

خرجنا من وسط هذه الحقول وتركنا هذه القرى أو المدن ووصلنا إلى سهل متسع فابلثنا أن هب علينا نسيم البحر العليل فشعرتنا بقرينا من البحر ثم ألقت نظرنا وجود مئات من أعمدة حديدية في وسط هذا السهل كالأبراج قائمة على أبعاد مختلفة بعضها من بعض ومتورة بدون نظام فسالنا عنها سائق سيارتنا فأخبرنا أنها مقامة فوق آبار البترول فقررنا بجانب بعضها وقد عرفنا أن ثلاث شركات تستغل هنا في استخراج هذا الزيت وهو كثير الوجود في هذا السهل وقد فحنت آبار كثيرة فيه أما المضخات المستعملة لاستخراج هذا الزيت فإنها لا تسرع في حركتها وقد قيل لنا إن بعض هذه الآبار يستخرج منه الزيت بالمضخات ليلا ونهارا وذلك لغزارة الزيت فيها وبعضها الآخر لا يستخرج زيتة إلا نهارا ويترك ليلا ليجم زيتة وقد يوجد منها ما لا تعمل فيه المضخات يوما من كل ثلاثة أيام وحول هذه الآبار يزرع القمح فكان أصحاب هذه الأراضي لا يريدون أن يكتفوا بما تخرجه إليهم أرضهم من ثروة منابع البترول بل يكتسبون من جوفها ومن سطحها . أما العمال الذين رأيتهم يشتغلون في منابع البترول فيظهر عليهم الفقر ولا تسلم عن سوء حالتهم فإنهم في غاية القفارة . وهنا في أمريكا كافة عمال المناجم ونبات البترول يشتغلون ليلا ونهارا وليس

لهم في يوم الأحد راحة - وبعد أن قطعنا نحو خمسة عشر كيلو مترا وصلنا إلى قرب بلدة (سنتامونيكا) فقررنا أولاً على بناء شاطئ بديع النظم نكتشفه من سائر جهاته حديقة واسعة وقد علمنا أنه معد للذين أصيبوا في الحروب وأصبحوا لاقدرة لهم على العمل ولما كان طريقنا يخترق هذه الحديقة ابتداءً سائق سيارتنا يسير فيها ببطء وذلك على حسب الأوامر فكان نرى على جانبي الطريق شيوخا جالسين وأمامهم منضدات (تراييزات) وكلهم مرتدون ملابس مخصوصة لهم متحدة الشكل وتصدح الموسيقى في أيام مخصوصة في (كشك) في وسط حديقةهم حتى لا يعترضهم خبر من معيشتهم أما هؤلاء الشيوخ فهم (Les invalides de la guerre de l'essation) التابعون لجيش الشمال أما التابعون لجيش الجنوب فلهم ملجأ آخر .

بعد أن تركنا هذا الملجأ دخلنا في بلدة سنتامونيكا فأول شيء اجتذب أنظارنا أشجارها الدابلة ومنازلها التي تعد في المنزل الثانية بالنسبة لمنازلهم من المنازل في بلادنا مثلاً أما ساحلها فخالته أيضاً لا تسر كثيراً رغماً من كثرة الحمامات التي به والقهاوى والملاعب وغيرها مما أعد للبهو وقد علمنا أن هواء البحر هو الذي ذهب بنضرة هذه الأشجار وغير الألوان الظاهرة لتلك المنازل فلم تنبسط نفوسنا من رؤية هذه البلدة

التي تقبض مناظرها النورس لاسيما أن النظافة قد عادت لها وبعد أن  
تفقدنا حالتها دخلنا بين منازل صغيرة مصنوعة من الخشب ومتجاورة  
في صفوف منظمة كأنها خيام معسكر أما الطريق الذي كنا نمشي فيه  
فكان ضيقا جدا وقد علمنا أن هذه الأكواخ تؤجر للذين يريدون أن  
يمضوا فصل الحمايات في هذه البلدة فيسكنون فيها وعند ما يريدون  
الاستحمام يتخلعون ملابسهم ويرتدون ملابس الحمام ويخرجون منها  
إلى البحر ولا يعجب القارئ من ذلك فإن الصور التي رأيتها في بعض  
كارت پوستال هذه البلدة أكدت لي أن الخروج في طرقات هذه  
البلدة بملابس الحمام مباح ولا ينكره أحد فتصوّر عاقبة هذا الأمر  
وأظن أن الشبان الجميلي الخلقة الأقوياء البنية لا يتركون هذه الفرصة  
تتمردون أن يعرضوا جمالهم على الذين يهيمهم ذلك أما الغايات  
فأظنهن أيضا لا يجنلن على المغرمين بالجمال أن ينظر واليهن ولو بطرف  
خفي للتمتع بخلفتهم البديعة . هذا وقد علمنا أن الساكنين في هذه  
البلدة لا يزور قلوبهم ملل لوجود كل ما يسر ويبعد الحزن فكل  
لا يعلم ما يوافق هواه ويلانم مشتاه من كل جنس . وقد يأتي إليها  
سكان مدينة لوس انجلوس التي لا تبعد عنها بأكثر من خمس عشرة  
دقيقة وأغلبهم من الطبقة الوسطى للتمتع بما فيها وقد مررنا على

مكان مثل وادي القمر (Luna Park) رأينا فيه جمعا محتشدا عدده كبير جدا فجيل إلينا أننا أمام قرية نمل أهلة يسكنها الذين لا يعلم عددهم الا الله فالتفت إلينا سائق سيارتنا وقال هل تريدون النزول هنا فشكرته قائلا إن اليوم يوم أحد ولا أريد أن أعرض نفسي لمزاحمة لا فائدة منها وربما يصيبنا شئ من بعض من لعبت برؤسهم الراح خصوصا وإنى أرى على وجوه بعض السابلة ما يجعلنى أشمئز من منظرهم وأظن أن مثل هؤلاء الأشخاص لا يؤد الا انسان رؤيتهم في مكان مقطوع أو في ظلام ليل حالك فاستمرنا في طريقنا لأننا صممنا على أن نعود من طريق (لوس انجلوس) وقد قابلنا سيارات كثيرة مكتظة بالركاب وإنى آسف لعدم إحصلها حيث إنى لم أفكر في ذلك إلا بعد أن مر منها أمامنا عدد كبير وقد صادفنا في طريقنا ثملا لعبت برأسه الخمر يركب دراجة (Pernette) ويمشى متخططا وقد ذهب شعوره فتارة ينعطف ذات اليمين وأخرى ذات الشمال وهو كمن به مس من الجن فلم أدر كيف يترك مثل هذا على هذه الحالة الخطرة على نفسه وعلى غيره في وسط زحام هائل فرجعت وتذكرت ما يقوله السكزيون إن لهم إلها خاصا بهم يحافظ على حياتهم وقت ما يفقدون رشدهم . هذا وقد علمنا أن في أمريكا كل شخص يمكنه أن يكون سائقا لسيارة بدون

امتحان في صنعته وليس عليه الا أن يدفع دولارين فيبيع له دفعهما  
أن يكون سائق سيارة ولذا رأينا سيدات وبنات وأطفالا يسوقونها  
وليس لأحد أن يعارض في ذلك .

وصلنا إلى لوس انجلوس ودخلنا في أحد شوارعها المدعو ويست  
ادامس (West Adam's) وهو من أكبر شوارعها وأعظمها به منازل  
خفية محاطة بالحدائق الغناء يسكنها أصحاب الملايين من الذهب  
فاستمررنا في طول هذا الشارع الكبير ولم نقابل كثيرا من المخلوقات وقد  
كادت المدينة أن تكون خالية لأنه في يوم الأحد يخرج سكانها منها  
إلى الحدائق والرياض والبلاد المجاورة لاستنشاق الهواء وتغيير  
المنظر . وبعد أن انتهينا من هذا الشارع خرجنا الى الطريق الموصل  
الى إسادينا ووصلنا اليها في نحو الساعة السادسة والنصف مساء فسررنا  
من رياضتنا هذه لاسيما ان الحق كان معتدلا والهواء عليلا فاتهمي  
بذلك يوما .

أصبحنا في يوم الاثنين (٢٧ مايو) فلم نعمل شيئا يذكر قبل الظهر  
الا كتابة بعض رسائل لأقاربنا وأصدقائنا واستراحة صغيرة على  
الأقدام داخل البلدة وفي الساعة الثانية وخمس دقائق بعد الظهر  
ركبت ومعى مصطفى بك الترام الذي يقف أمام باب فندقنا

للذهاب إلى لوس انجلوس وقد كان يمشي بسرعة عظيمة جدًا فقطعنا المسافة إليها في ٣٠ دقيقة ولكن دخول هذه البلدة بطريق الترام لا يسر كثيرا فانه يمر أمام أكواخ المكسيكيين القادرة فنزلنا منه في الشارع الخامس ومشينا قليلا الى أن وصلنا أمام فندق الكسترديا فذهبنا إلى محل كوك الحياور لهذا الفندق وتسلمنا رسائلنا ثم أخذنا في طلب سيارة لتذهب بنا الى مكان يبعد عن هذه المدينة بساعتين تربي فيه أنواع الحمام به ١٥٠٠٠ حمامة على ما قيل لنا فعامل كوك أحضرها لنا واتفق مع السائق على أجر مقداره ثلاثة دولارات ونصف في الساعة فركبتها ولما خرجنا من المدينة سرنا ومجى نهر الى أن وصلنا الى باب كبير مكتوب على لوحة معلقة عليه (أكبر محل لربية الحمام في العالم) فلم نستغرب ذلك أيضا لأننا تعودنا أن نقرأ : (أكبر محل في العالم أو أجمل محل في العالم) كثيرا وقد ذكرت قبلا أن هذه الطريقة متبعة في أمريكا لطلب أنظار السائحين ولتشويقهم الى الدخول في هذه الاماكن وقد كانت تفترنا أيضا هذه الطريقة لأننا كنا نقول ربما يصدق القوم ولو مرة واحدة فنحظي بالدخول في أكبر أو أجمل محل في العالم فدفعنا رسم الدخول وهو ٢٥ سنس أي خمسة قروش عن كل شخص ودخلنا في هذا المكان فوجدنا أن



عدد الحمام به كثير جدًا ولكن العدد ١٥٠٠٠ حمامة يبلغ فيه كثيرا وقد قدره مصطفى بك من عشرة آلاف الى عشرين ألف حمامة فقط أما أنا فقدّرت به بأكثر من ذلك ولكن الفرق عظيم بين تقديرى وزعم أصحابه فألقينا نظرة عامة على هذه الأسراب من الطيور وقد عرفنا أنه يباع كل سنة من زبله مقدار بئس عظيم ويصدر من فراخه كثير الى جهات مختلفة وبعد ذلك خرجنا وسارينا سائق السيارة فى جميع الطرق الجميلة الى أن وصلنا الى منتزه كبير كان فى الأصل معسكر جيش الأمريكين قبل أن يستولوا على مدينة لوس انجلوس وياخذوها من أيدي الاسپانيين وهذه الحديقة لم يتم نظامها الى الآن ولكنها عما قليل ستصير جميلة وتستحق الزيارة والرياضة فيها بفضل العناية العظيمة بها

تركنا هذا المنتزه وتابعنا سيرنا وصرنا ننقل من شارع الى شارع فى لوس انجلوس الى أن وصلنا الى الترام الذى يوصلنا الى بسادينا ولما أردت انتظاره قال لى سائق العربة الرأى عندى أن تذهبوا الى المحطة العامة للتراموايت فانكم اذا انتظرتم فى هذا المكان لا تجدون محلا لكم فى الترام لكثرة الزحام لاسيما ان هذا وقت خروج العملة من البيوت التجارية ومن المصانع وقد شاهدنا ذلك بأعيننا فان الترام الذى

مرّ أمامنا كان مملوءا والناس بعضهم فوق بعض ولكن هذا لم يمنعنا أن نركب نحن أيضا مع الراكبين في هذا الترام ولكن اضطررنا أن نقف على السلم حتى لا يضايقنا التصاق الناس بعضهم ببعض في هذا الزحام الشديد ومع ذلك لم نسلم من وقوف بعضهم على أحيذنا دون أن يعتذر عما فعله اذ يظن أن هذا شيء طبيعيّ وحتى مكتسب لا يؤاخذ على فعله . وكلما نزل من العربة واحد صعد إليها عشرة حتى إن ثمانى فتيات صعدن إلى العربة مع هذا الزحام الشديد وصرن يضحكن وكلما وقف الترام يرتمين تارة ويمايلن أخرى وأظن أن مثل ذلك كان يخفف على الراكب وطأة هذا الزحام . وصلنا الى يسادينا ولكن على أىّ حالة ؟ على حالة تعب شديد فشعرت بألم شديد في قدميّ لأنني كنت طول الوقت واقفا على حذر من أن أقع على أحد الركاب أو أن أصطدم معه وهذا الذي زاد في تعبي وقد شكّا إلى أيضا مصطفى بك قائلا إنه لم يلاق عناء مثل الذي لاقاه في هذا اليوم العصيب فنزلنا وبتدووصلنا إلى الفندق جلسنا للاستراحة قليلا . وهنا يجب أن أذكر شيئا لاحظته وهو أننا رأينا كثيرا من السيدات والفتيات يركبن الدراجات البخارية (الموتوسيكلت) (Motorcycle) ووراءهن أحد الشبان أو الرجال ويا ليت هؤلاء الرجال أو الشبان كانوا يركبون في العربة

الصغيرة التي تتخذ عادة في أوروبا وراء الدراجة البخارية أو يجانباها ولكثهم يركبون وراء السيدات أو الفتيات ولا بد أنهم يضطرون في بعض الأحيان الى الالتصاق بهن فأنكرت ذلك منهن خصوصا أنني أعتقد أن في ركوب السيدات مثل هذه الدراجات ضررا على صحتهن وكفى أنهن يركبن على كرسي صغير جدًا وكلما تحركت الدراجة حركة تأثرت الراكبة بهتزازات هذا الكرسي الصغير وأظن أن ركوبها أضر على الفتيات منه على السيدات وقد نبههن بعض عقلاء الأمة الى هذه المضار الجسيمة فلم تصادف نصيحتهم هوى في القواد لأنهن يردن التمتع وربما كان في ذلك مايزيدهن سرورا ومن الصعب كفهن عن أحب شيء اليهن . أسرعا في تناول العشاء وبعده افرقا لتستريح من عناء هذا اليوم . وفي صباح يوم الثلاثاء (٢٨) مايو ذهبت إلى محل مصوّر كنت أعطيته بعض أصول (Films) لاطهارها وفيها بعض مناظر كنت صورتها بمصوّر الشمسى ولكنى أسفت اذ علمت أن هذه المناظر قد أفلتت من آلة التصوير فلم تنجح في اقتناصها وبعد ذلك أخذت في طلب سيارة لتذهب بها الى بلدة ريفرسيد (Riversid) وقد كما صممتا على أن نمكث بها يومين ولكن لقرىها من يساديتها فضلت أن نسكن في الأخيرة مدينة الزهور ونذهب الى الأولى في أى وقت نريده على السيارة

في الساعة العاشرة صباحا وقتت السيارة أمام باب الفندق فركبتها  
وسرنا الى ريفرسيد التي لانصل اليها الا بعد ثلاث ساعات فكان  
أول طريقنا جميلا جدًا لأننا كنا نمشي بين أشجار البرتقال والليمون  
وكانت الروائح العطرة تعجى أفتدتنا وأحيانًا كنا نمشي وسط طريق  
محفوف من جانبيه بأشجار كبيرة من الكافور أو من (الكازوارينا)  
وكنا نمشي بجوار الطريق الحديدى الذى ذهبنا منه الى سنترناردينو  
(St. Bernardino) ولكنا قبل أن نصل إلى هذه البلدة بمقدار خمسة  
عشر ميلا مشينا في طريق آخر على اليمين لايسرك أن تسلكه فكله  
رمل يحاطه تراب ثائر فعلاتنا من الغبار شئ كثير وكنا نرى على بعد  
بعض كروم عنب فاستمرنا على ذلك ونحن نمر أيضا على مصانع كثيرة  
لعمل النبيذ وغيره من المشروبات الروحية . فابتدأنا نتألم من هذه  
الحالة لا سيما أن الحركان شديدا جدًا بالرغم من سرعة السيارة حتى  
إنه أثر في وجوهنا فتغيرت ألوانها حتى صارت حمراء وما زلنا على هذا  
الحال إلى أن دخلنا في وسط سهل عظيم ثم قربنا من بعض روابي  
صغيرة إلى أن وصلنا إلى نهر صغير أوشك أن يفيض ماؤه فقررنا عليه  
وبعد ذلك أخبرنا سائق السيارة أنه لم يبق لنا الا خمسة أميال  
للوصول الى ريفرسيد . هنا رأينا ثانيا مزارع القواكه كالبرتقال وغيره

وقد علمنا أن القواكه التي نخرج من هذا الوادي أحلى من غيرها وتنضج قبل فاكهة سائر الجهات الأخرى بأربعة أسابيع . قربنا جدًا من المدينة وصرنا نسير في طريق صالح قد غرس على جانبيه أنواع النخيل وهو أيضاً مرصوف بالميكادام ومغطى بطبقة من القطران . وصلنا إلى فندق جلينود (Glenwood) في الساعة ١٢ و ٣٠ دقيقة وكان أمام أبوابها كثير من السيارات وذلك لكثرة الوافدين عليه وهو في الحقيقة يستحق الإعجاب به لأنه ديمقراطي إسباني فنزلنا من سيارتنا ودخلنا فيه فوجدنا في حديقته وفي طنوفه كثيراً من الزائرين اختاروا هذه الأمكنة ليروا الوافدين على هذا الفندق وقد آتى ميعاد الغداء فابتدأنا أولاً بتناوله في البهو المعد لذلك وهو حجرة بها كثير من الأعمدة القائمة في ساحتها ومعلق على حيطانها جملة من الرماح والحراش وغيرها من كل ما يذكّر بتاريخ الأزمة الوسطى فاخترنا مائدة ثم أقبلت إلينا رئيسة الخدم وأخبرتنا أن من قانون هذا الفندق دفع الثمن قبل تقديم الطعام للذين لا يسكنون به فدفعنا عن كل شخص دولاراً وهي القيمة المقررة أما الطعام فيقدم لكل الآكلين سواء وهو عتة أصناف يقدم من كل صنف شيء قليل جداً ويأتيها مع ذلك طيبة فلها لا تؤكل الا اضطراراً فقد كنت رحلتى ببلاد اليابان حيث

كان يقدم لنا كثير من أنواع الأطعمة ولكن الذى يقدم من كل صنف قليل جداً فكأن نحسبها (عينة) لنختار بعد أن نذوقها ما نشاء . وقد ينطبق مثل بعض الجرائد الألمانية المزدلية على حالتنا فى هذا الفندق فقد رأيت يوماً فى جريدة من هذه الجرائد صورة رجل ويده منظر معظم ينظر فى صحفته ( طبقه ) لعله يجد ملها من الطعام فهكذا كما والحمد لله . أما حجرة الطعام فكانت مكتظة بالمخلوقات وبعد أن أتممتا غداءنا خرجنا لزيارة الفندق فأعجبنا نظامه وألقينا نظرة أولاً على حديثه فكان أمام الباب الداخلى للفندق بيناوان وفى طنوفها (فيرانداها) أربعة أخرى فشيناً قليلاً فيها ووجدنا بناء صئيراً منفصلاً عن محل السكن به جملة غرف معدة للطالعة والجلوس والعب (البلياردو) ثم عدنا ثانياً الى داخلها فسمعتنا صوت الموسيقى الشجى ولما كنت مغرماً بسماعها مشيت الى الجهة التى أسمع منها هذه النغمات فإذا رأيت ؟

رأيت كنيسة بدعية النظام وسيدة تلعب بالأورج (Orgue) ورجلا يدق على (المارب) فسررت جداً وأردت أن أجلس لأشرف أذننى بهذه النغمات التى تدعو الى السكون من شدة تأثيرها فى النفس ولكن ساعنى أنه لم يكن لدينا متسع من الوقت وقد جال بذكرى أن هذا

المكان ربما كان معلماً للعبادة (كنيسة) وربما كان في وجودنا  
تقدير لصفاء المتمسكين بدينهم لاسيما أن سيده عجوزا صارت تنظر  
إلى شَرِّها فاستمرت أنا وزميلاي ننظر إلى كل ملهيا فأعجبنا جداً  
بقاؤها على حالتها الأولى وقد رأينا كثيراً من السيوف القديمة والتروس  
وغيرها من آلات الحرب القديمة معلقا كل ذلك على حيطانها فصرنا  
ننتقل من مكان إلى مكان إلى أن وصلنا إلى محل يباع فيه بعض أشياء  
للسائحين فدخلنا فيه لشراء بعض بطاقات البريد (كارت پوستال)  
وسألت الرجل الذي يبيع هذه الأشياء هل المكان الذي تعرف فيه  
الموسيقى كنيسة فأجابني لا يا سيدي إنه في الزمن السابق كان محل إقامة  
الصلاة وقد ترك على حاله الأولى وهو الآن قد اتخذ محلاً للموسيقى  
وفي المساء ينقلب إلى مرقص فأنكرت على القوم ذلك لأنى ممن يحترمون  
كل مكان اتخذ لعبادة الخالق وبعد ذلك أخذنا نطلع على ملهيا الدكان  
فرأينا جملة مصابيح وكثيراً من أنواع الأثاث القديمة وغيرها وقد عرفت  
من هذا البائع أنه مضى على المحل نحو أربعين سنة وهو يتاجر في هذه  
التحف فسأله . قل لي بريك كيف تمر هذه الأزمان الطويلة وأتم  
تبيعون من هذه التحف دون أن يفرغ منها دكانكم .  
فأجابني وهو لا يملك نفسه من الضحك . إن كثيراً من السائحين

يشترون هذه الأشياء ليزينوا بها منازلهم ولا يودون أن يعرفوا حقيقتها وانها ليست تحفا قديمة بل هي أشياء جديدة تحاكي التحف القديمة وليس من واجباتنا أن نذكر حقيقتها لئلا تكسد تجارتنا وإني قد اشتريتها على حالتها التي تراها عليها فلست مسئولا عن تاريخها فضميري مرتاح من هذه الوجهة .

ولما كان الوقت لايسع أن نمضي في هذا المكان أكثر من المدة التي أمضيناها فيه لاسيما أننا نريد الذهاب الى روكلند (Roodland) أسرعنا إلى ركوب سيارتنا وأمرنا سائقها أن يذهب إليها فصرنا نمشي في وادٍ به أيضا كثير من أشجار البرتقال التي تثمر برتقالا صغيرا به بذور كالتي نخرجها أرض مصر ولم نر شيئا جديدا غير هذا وكنا نشعر بحمى شديد . قربنا من روكلند فالتفت اليها سائق السيارة وقال إني من سكان الشرق وهنا أهل الغرب مشهورون بالمغالاة فطلما سمعت كثيرا منهم يقول ان مكان كذا هو أكبر أو أحسن أو أعظم مكان في العالم والحق يقال اني لم أر الى الآن شيئا يؤيد ما يدعونه فواقفته على قوله لأن ما سمعته عن روكلند جعلني أشفاق لرؤيتها ولكن لم نر شيئا يذكر وهي تشبه قليلا بساديتا من حيث المزارع وتزيد عنها بشدة حرارتها فلم نر موجبا لقطع ٢٥ ميلا في هذا السعير بدون فائدة فأمرته أن



يعود بنا إلى حيث أتى فعرض علينا أن يرجع من طريق أطول من الذى جئنا منه قبلنا ومارينا فيه وصرنا نرى بين وقت وآخر بعض أشجار الكافور العظيمة والاروكاريا الكبيرة وبعد قليل غير وجهة الطريق ومشى بنا إلى جهة الجنوب فانتقلنا إلى أودية مختلفة لا يوجد بها أشجار القوا كه بل كلها مزروع فيها أنواع الحبوب وصرنا نتمتع على كثير من الضياع التى يدل ظاهرها أن أصحابها من ذوى الثروة وأن كل هذه الاراضى فى غاية الخصوبة وقد حث السائق السيارة فأخذت تطوى الأرض طيا بكل قوتها فقررنا على أربعة وديان متشابهة ونخسبة واستمر على هذه السرعة إلى أن قربنا من مدينة إساديننا وقد خرجت للرياضة هنا أربع مرات قبل هذه مرتين بالسيارة وثلاثة بالترام ورابعة بالقطار وما كنت أرى فى كل مرة الا أشجار القوا كه ولم أكن أعلم أن بالقرب من مدينة إساديننا حقولا كبيرة كالتى رأيتها هذه المرة .

وصلنا إلى الفندق الساعة السادسة والنصف وأظن أن ماقطعناه اليوم من المسافات الطويلة يكفى لختام هذا اليوم .

أصبحنا فى يوم الأربعاء (٢٩ مايو) فعزمنا أن نترك مدينة الزهور للذهاب إلى بلدة أخرى اسمها سنتاباربارا (Santa Barbara) فأعدنا العدة لمغادرة هذه المدينة على القطار الذى يحرك من مدينة

لوس انجلوس الساعة الثانية وخمس دقائق فنهت رئيس السفيرين أن  
يجهز لنا غداء باردا قبل الظهر بربع ساعة وما أنت الساعة ١٢ و ٣٠ دقيقة  
حتى كآ على أهبة الرحيل فأخذنا معنا بواب الفندق ومشينا نحو خمس  
دقائق إلى أن وصلنا إلى محطة الترام والحمد لله أمكننا أن نأخذ مكانا  
فيه ونستريح حيث كل الناس في هذا الوقت مشغولون بتناول غلاتهم  
وفي الساعة ١٢ و ٥٠ دقيقة تحرك بنا الترام وبعد ٣٠ دقيقة  
وصلنا الى لوس انجلوس وذهبتا حال وصولنا الى محطة سوترن  
باسيفيك (Southern Pacific) وعند دخولنا فيها طلبت منا تذكرة  
فلسلماها وتسلمنا غيرها ثم ركبنا قطارنا وقد لاحظنا أنه كبير جدا يسع  
عددا عظيما من الركاب أما عرباته فقد كانت كبيرة أيضا وطويلة جدا  
وبها صفان من المقاعد كل مقعد معد لشخصين أما متكا هذا المقعد  
فانه يتحرك بحيث انه إن كان معك أكثر من شخص أمكنك أن تحول  
هذا المتكا فتجلسوا متقابلين لامتدابين وبذلك تقطعون المسافة  
بأحاديث السمر دون أن تشعرأ بلبل هذا وفي كل عربة محلات  
للغسل أحدهما للرجال والآخر للنساء كذلك بها مثلجة ماءها نقي مثلوج  
ليطفي الشارب ظمأ من شدة الحر فابتدأ قطارنا يتحرك في ميعاده وصرنا  
نرى المزارع التي تشبه كثيرا مزارع المانيا وبعض جهات النمسا

وشرقى فرنسا . هذا وقد كنا نرى العمال يعملون فيها وبين وقت وآخر كنا نمر على ضياع كبيرة بالنسبة لأمثالها بأوروبا . أما هؤلاء العمال فأغلبهم مكسيكيون أو يابانيون والظاهر أن أرباب الضياع يفضلونهم على غيرهم لأن أجورهم قليلة بالنسبة لغيرهم . اخترق قطارنا قفقا وبعدده صرنا نمر في واد آخر خصب جدا وأظن أن دخله عظيم جدا . وصلنا إلى مدينة فانتورا (Ventura) أو سانت بويتا فانتورا (San Buena Ventura) وهي مدينة يبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف ونسمائة وهي مركز تجارة البنجر واللوبياء ومنها أخذنا تقرب من شاطئ البحر فرأينا هادئا ساكنا تهب منه الرياح البليدة فتذكرنا بلادنا وقانا متى نركب البحر لنعود إليها وقد أحدث في قوسنا بعض السرور تغيير المنظر لأننا أمضينا زمنا طويلا ونحن بين صحارى ووديان وجبال فأطلقنا لأنفسنا عنان الخيال للتمتع بالأشياء اللذيذة خفيلا إلينا أننا في الباحة على مقربة من منار مدينة الإسكندرية الزاهرة حيث لم يبق علينا إلا قليل لثرى أهلنا وأقاربنا وكل عزيز لدينا .

نحن الآن على بعد ٢٠ ميلا من مدينة سناباربارا ونرى الآن كثيرا من آبار زيت البترول قريبة من الماء وبعضها في الماء وهذا ما لم أره من قبل . ومن الغريب أن المضخات المستعملة لاستخراج

هذا الزيت من البرمى المستعملة لاستخراجه من قاع البحر غير أنه ليس لكل مضخة آلة بحارية تديرها بل اكتفى هنا بالآلة واحدة ذات قوة عظيمة تدير عدة مضخات . قربنا من سناباربارا ودخلنا في طريق تكنفه بساتين كثيرة فوقف بنا القطار أمام ناد يدعى كاويتري كلوب (Country Club) له منزلة عظيمة بين النوادي لأن أصحاب الثروة العظيمة من الأمريكيين يفلدون إلى تلك الجهات في فصل الشتاء لقضاء بعض أيام بها إذ لا يشتد فيها البرد فيتخذون ذلك الندى مجتمعا لهم وبما أن في أمريكا أصحاب الملايين هم الذين لهم الحول والطول والنفوذ العظيم الذى يضارع نفوذ أمراء الشرق في الزمن السالف يقف القطار أمام هذا الندى إرضاء لخواص الأغنياء الذين يديرون حركة هذا العالم بسلطة الأصفر الزمان .

وقف بنا القطار في محطة سناباربارا فلبحت عربة فندق پوتر (Potter) الذى نقصده فاسرعنا إليها وأخذنا مكاننا فيها وقد ركب معنا ثلاثة سائحين ولما لم يجد قائد العربة غيرنا سار بنا ثم دخل بنا من حديقة الفندق القريبة جدًا من شاطئ البحر ولما وصلنا اليه وجدناه كبيرا وعظيما فأمرع الينا من تسلّم متاعنا وبعد ذلك عرضت علينا غرف جميلة في الطبقة الثالثة تُطل على حديقة الفندق الغناء ويرى

منها الرصيف والبحر ومرفأ مستنابار بارا الذى هو فى الحقيقة أكبر من ثغر (نايل) لكن منازل له أقل من منازل نايل ويمتاز الثانى أيضا بركان فيزوف المدمر . والتاخر إلى الثغر الأول تتجلى له فيه الطبيعة بمجالها وهيبتها . اتساع عظيم وجبال شامخة وأشجار خضراء تكسو الأرض حلّة مسندسية قزيد جمالها . رأينا فى هذا الثغر قسما من الأساطيل الأمريكية فأحصينا عددها فإذا هى قطعتان لخفر السواحل وثلاث قطع من نوع التورييل وكل قطعة بها أربع مداخن ولكى لم يصغى شكلها بقلها من السفن القديمة .

إن الهواء بليل والسماء غابسة مفكهرة والبحر منذر بوابل من المطر فنظرنا إلى ساعاتنا فإذا نحن فى الساعة السابعة فذهبنا إلى حجرة الأكل لتناول عشاءنا فإذا هى كبيرة ونظامها وحسن ترتيبها يدل على أن الفندق من أعظم الفنادق وأنظفها فشرعنا نأكل ما طاب لنا من الطعام وكان عشاءنا لذيذا ولم نصادف أحسن منه إلا فى مطعم (مارتن) الفرنسى بنيويورك وقد كانت الموسيقى تشف آذان الحاضرين ويدريها ثلاثة أشخاص أحدهم يضرب على البيانو والآخران نحن فى أيديهما الكنتجة ولكن رغمنا من أن هذين الأخيرين يحاكيان رجال هذا الفن الجميل فى إرسال شعرهما على ظهرهما ويتشبهان

في تركتهما بمقتضى الموسيقى كانا لا يتبعان في عملهما نظاما واحدا بل كل واحد منهما كان مستقلا عن صاحبه ولا يسير معه في تلحينه فصرنا نسمع نغمات مختلفة لأصل لها - خرجنا من حجرة المائدة في الساعة ٨ و ١٥ دقيقة فوجدنا في فناء الفندق طائفة أخرى من الموسيقيين ولكن ليست موسيقاهم وترية وقد كان رأسها شاب قد أرمى أيضا شعره على ظهره وقَلد تقليدا دقيقا لكار المقتنين والمؤلفين في فن الموسيقى وهو وطائفته من الإيطاليين الذين يقيمون في سناباربارا بخلصنا على مقربة منهم لعلنا نسمع ما لم تكن نسمعه من قبل فوقف رئيسهم في هيئة حلقته وفي يده عصا صغيرة فأذنت لهم في الابتداء وصار يحرك رأسه يمينا وشمالا بسرعة ليس بعدها سرعة كاللدى به مس من الجن ويطوح بذراعيه تارة إلى الأمام وأخرى ذات اليمين وذات الشمال فله دَرَه ما أخف حركاته الرياضية وكلما زادت أعصابه اضطرابا صفق له الحاضرون تصفيقا حادا فيزداد تهيجا ولكالم نصفق له شفقة عليه ورأفة به لأن هذا المحتال عرف كيف يوجه الأنظار إليه وبأى طريقة يجذب السامع إلى موسيقاه حتى يزيد إعجاب الناس به وبمن معه فما أحقه وأجهله . وقد قال خيرى : إن هذا الرجل يكسب حقيقة رزقه بعرق جبينه ولا بد أنه بعد أن يتم

أدواره يتام نوم أهل الكهف ولا يستيقظ إلا والطبيب يعالجه من داء الجنون الذي حل به . أما مصطفى فلبعرفته التامة بفن الموسيقى صار يتأوه إشفاقاً على هذا المسكين ويقول إن عقله ذهب في عالم الخيال وما حركته المدهشة إلا نتيجة اضطراب أعصابه فصار لا يبى ولا يعرف ما يفعل أما رأيي الخاص في هذه الموسيقى وليس من شيمتي أن أبخس الناس حقهم فهو أنها كانت موسيقى فنية محكمة فليست حالة رئيسها المضحك الطائش بداعية للحط من قدرها . حضرت أمتعنا في نحو الساعة ٨ و ٣٠ دقيقة وبعد هذا الزمن بقليل صعدنا إلى غرفنا للنوم والراحة .

قضينا ليلتنا في هدوء وسكينة وفي صباح يوم الخميس ( ٣٠ مايو ) خرجنا لنترى المدينة فإذا هي شارع واحد طوله نحو ثلاثة كيلو مترات فشيناً فيه نحو نصف ساعة راجلين ثم عدنا إلى الفندق راكبين الترام الذي يمر في وسط هذا الشارع حتى يصل إلى رصيف البحر ويقف أمام الفندق فلم نر إذاً إلى الآن ما يستحق الوصف وما سرنا إلا أن البحر كان صحواً والشمس تلى أشعتها الذهبية على هذا الثغر الطبيعي الجميل . تزلنا من الترام ودخلنا الفندق من باب حديقته العامة وما كان هذا اليوم من أيام الأعياد وفيه تحيى ذكرى العساكر الذين قتلوا

في حرب (Guerre de Cessation) فقد كانت الأطفال وعلمة أهل البلد مرتدين ملابسهم النظيفة وبأيدى الصغار منهم الأزهار أما أنواع الشرائط الحربية المختلفة الألوان فلنراها كانت تزين ملابس البنات ورؤسهن جلست أنا وخيرى فى إحدى طنوف الفندق التى تطل على حديقةها وعلى البحر وإذا بضابط عظيم حضر بملابسه الرسمية ممتطيا جوادا فألقت نظرنا شئ واحد وهو لون حوافر الحصان الفضى فإن نعاله متخذة من معدن الالومينيوم وأظن أنه آت من حفلة تمرينات عسكرية فتزل من فوق جواده وتقدم إليه تابع له فأخذ الجواد وركبه وسار به إلى اصطبله .

أوصيتُ بإحضار عربة لتركب فيها بعد الظهر كي نرى ضواحي بلدة سنابار بارا ولم أطلب سيارة لأن الحالة لا تستدعى الإسراع ولما أنت ركبناها وسرنا بها أولا إلى حي الأغنياء فإذا هو مجموع منازل جميلة محفوفة بجدران واسعة تشبه منازل إسادينا وقد تسكها الأغنياء فى فصل الشتاء لاعتدال جوها فى هذا الفصل ويصطاف فيها الذين يقصدون منهم الحمامات البحرية فى هذه البلدة وفى أثناء الطريق مررنا على شجرة موز كبيرة جدا أمام أحد المنازل فنادت البستاني وسأته عن نوعها ولم يكن كما هكذا عظيمة فقال إنما ذلك لتقدم عهدا



فلما تبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة وبعد ذلك استقر بنا في طريق  
تكتشف أشجار الكافور وغيره إلى جهة الجبل فوصلنا إلى أملاك أحد  
أغنياء الأمريكيين وأصله طلياني وقد قيل لنا إنه مغرم بترية أنواع  
النباتات وقد أنفق في بناء منزله ملايين من الدولارات وبه باب  
قديم جدًا من أيام (Pompée) وبه أعمدة تاريخها من ٤٠٠ سنة  
فدخلنا في حديقة قد أهملت العناية بها ورأينا فيها منزلا صغيرا فخرجنا  
نؤا للرؤية الباب المشهور وظننى أنه من فينسيا وتاريخه ربما يكون  
من القرن الثالث عشر وقد رأينا عليه صور رؤس فرسان وكآبة بعض  
صلوات مسيحية وهو ما يؤكد أنه عمل بعد ظهور السيد المسيح .  
فخرجنا نضحك من هذا القصر الذى لم أقدر ثمنه مع حديقته وكل  
ما اشتمل عليه بأكثر من ستة آلاف جنيه على فرض أنه بمصر وبعد  
ذلك عدنا إلى المدينة ومررتا على فندق يبعد عن الساحل بميلين عدد  
غرفه ثلثائة أما عدد غرف الفندق الذى نحن نازلون به فخمسمائة  
وفى فصل الشتاء لا تحلونه غرفة واحدة لكثرة وفود السائحين ولما  
وصلنا إلى فندقنا دخلنا في حديقته للاستراحة فوجدنا فيه كثيرا من  
أنواع الزهور وقد رأينا البستانيين ينضخون الأشجار بماء قد أذيب فيه  
صابون أسود لقتل الحشرات التى تضر بحيلة هذه الأشجار أو لإيقاف

نمّوها . وقد رأينا فيها مكانا قد أعدّ لبعض حيوانات وطيور كالقردة والبيغاء والتيتل . وبعد ذلك عدنا إلى داخل الفندق وفي الساعة السابعة والنصف ذهبنا لحجرة المائدة لتناول العشاء ولم يكن بها الموسيقى الوترية بل بها في ساحة الفندق الداخلية موسيقى من النوع الآخر وبعد العشاء جلسنا في هذه الساحة وقد رأينا فيها أغلب السائحين الذين كانوا معنا في الجراتدكانيون (Grand Canons) وأظن أن كل السائحين يتبعون خطة واحدة . وقد فاني أن أذكر أنا وجدنا على مقربة من آبار زيت البترول مستنقعات بها كثير من البط الجليّ وقد رأينا على شجرة بلوط قديمة نّسرا واحدا وهو الوحيد الذي رأيناه إلى الآن مطلق الحرية وهو من نوع النسر الصغير أكبر في الجسم من الحداة المصرية وأصغر من النسر المسّنى (النسر الامبراطورى) (Aigle impérial) وقد كانت رأسه بيضاء وكذلك عنقه أما جسمه فأسود وقوامه غارية من الريش وأطراف جناحيه بيضاء وهو من أحسن أنواع النسور التي أعرفها على أن رؤية هذه النسور لا نسر كثيرا وفي كاليفورنيا ألوف من طيور (Tanagra) يراها الإنسان على طول الطرق الحديدية وهى في جسم الشحرور ولونها أسود غير أنها من تحت العنق فما فوق لونها أحمر صافٍ وهذان اللونان متناسبان

جدًا ينشأ عن اجتماعهما منظر بدیع عندما تطير هذه الطيور في الفضاء  
فيكون منظرها بالغ العلية من الجمال . ذكرت قبلا أننا جلسنا  
في فناء الفندق فأقبل إلينا مديره وقال إنه مستعد لتأدية أى خدمة  
نريدها وهو رهن الإشارة فشكرته على عجله ثم سألت هل زرت ضيعة  
أمريكية فأجبت لا فلدغنى أن أذهب معه إلى الضيعة التي يمتلكها  
صاحب الفندق ومساكنها ٧٠٠ هكار . هنا يجدرني أن أقول  
إن السابقين الذين تزحوا أولاً إلى أمريكا هم الذين استولوا على  
الأراضي الواسعة بدون ثمن أو بقيمة زهيدة جدًا وورثهم هم الذين  
استغنوا وصاروا من أرباب الثروة العظيمة لما ارتفعت أثمان هذه  
الأراضي وذلك باستخراج كنوزها أو بإصلاحها وتمهيدها للزراعة  
والقلاحة .

في صباح يوم الجمعة (٣١ مايو) وصلنا من محل كوك بلوس انجلوس  
رسائل مرسله إلينا من مصر فقرأناها ثم خرجنا من الفندق لشراء بعض  
بطاقات البريد (كارت پوستال) تذكارا لزيارتنا بلدة سنابار بارا فشيننا  
راجلين لأن الجو كان معتدلا ثم عدنا إلى الفندق راكبين في الترام لكافة  
مذكراتنا عن الرحلة وللد على ما وصلنا من الرسائل وعند دخولنا سلم  
إلينا رسالتان من صاحب الفندق يدعونا إلى التمتع

(Country Club) الذى به الجولف والبولو والتينس والثانية من المستر مارتن رئيس الزراعات الواسعة (Chef des grandes Cultures) التابعة للشركة الزراعية الكبرى القريبة من مدينة ساكرامنتو (Sacramento) عاصمة كاليفورنيا ومعها جملة خرائط أيضا . وبعد الغداء فى الساعة الثانية بعد الظهر حضرت سيارة لتركب فيها إلى ضيعة صاحب الفندق وهى على مسافة ثلاثين دقيقة من هنا فركناها ولما وصلنا إليها ذهبنا أولا لرؤية إصطبل البقر وقد علمنا أن البقر يعى طول السنة فى المراعى وذلك لجودة الطقس ولا يدخلونها فى الإصطبل إلا للحلبا وقد رأينا فيه ٤٨ بقرة واقفة فى صف واحد بعضها بجانب بعض وثلاثة حلايين يحلبونها ولا يمكنها أن تتحرك لأنها وقت الحلب تكون رقابها مشدودة فى حواجز من خشب . (بطريقة خصوصية) وأمامها مداود بها أوراق الدرة مقطعة قطعاً صغيرة وقد أضيف إليها جزء من النخالة وقد اتخذت الحيطه الثامة من تغطية الأوعية وتنظيف القوارير بآلة مخصوصة لنفسها حتى يكون اللبن نظيفاً وقد رأينا خارج الإصطبل فى أمكنة مخصوصة كل ما يلزم لحفظ الألبان ولعمل الزبد والجبن الخ . ورأينا أيضاً مخزنين كبيرين للعلف أما هذا البقر فن النوع الصغير الجسم الذى يدر البانا كثيرة فهو

يشبه بقر جزيرة جرمي أو هولستين بالمانيا أما نتاجها فالذ كرمه يعنى  
تريته حتى يسمن ويذبح والأخى تنقى للانتفاع بنتاجها وألبانها وقد  
توضع مادة كاوية على قرونها وهى صغيرة فتصجزها حتى أنها لما تكبر  
لا يتخشى من تناطحها بعضها مع بعض

نرجنا من هذا المكان وذهبنا إلى الضيعة الأخرى التى يربى فيها  
الحمام وعدده من عشرين إلى ثلاثين ألف حمامة وقد شاهدنا ان  
الاعتناء به وينظافته أكثر من الاعتناء بحمام لوس انجلوس الذى  
تكلمت عنه قبل . وبجانب هذا المكان محل معدة لتربية الخنازير  
وبه أكثر من مائة غير نتاجها الكثير .

وبعد ذلك ركبنا السيارة للعودة إلى الفندق فسار بنا السائق فى طريق  
جميل به مزارع كثيرة إلى أن وصل إلى نادى (كلوب) الجولف وهو  
عظيم ومتسع وفى مكان جميل ولعب الجولف الآن هو أحدث أنواع  
اللعب فلا يختار له إلا أحسن الأمكنة لطلب الناس إليه وقد رأيت فى هذا  
الندى محلا معدا للراحة (Chalet) وسيدتين ممتطيتين جوادين ومررنا  
على محل لعب البولو وقد قيل لنا إنه مهمل منذ سنة فلم يلعب فيه .  
نرجنا من هذا المكان فذهب بنا سائق السيارة إلى الساحل وهناك  
استرخصنا فى الأجرة التى به وهى قديمة وأشجارها مهشمة فالتحذت

أشكالا غريبة وبعد ذلك وصلنا إلى المدينة ولم يبق علينا إلا زيارة محل تربية الدجاج القريب من فندقنا وبه ٤٠٠٠ من الدجاج وفراخها وهي من النوع الإنكليزي الذي يبيض كثيرا ولونها أبيض وضئيلة الجسم . وبعد ذلك مرنا في المدينة فصادت مزارعا بلجيكيًا (Horticulteur belge) فزلت من العربية لرؤية ما عنده فعلت منه أن اسمه المسبولوجون (Le Jeune) ويبيع المسبوز يردن يروكسيل (Zirden) ولم يعجبني شيء عنده أكثر من اجتهاده في الفتك بالحشرات التي تضر بالأشجار وقد عرفت أن هذه الحشرات هي التي تضر بالموز الهندي عندى فسألته عن الطريقة التي يتبعها لمنع أذى هذه الحشرات فقال لي إن البلاد هنا غنية ولا يعز عليها أن تنفق النفقات الكثيرة لإبادة هذه الحشرات ولا شيء يرجعها أبدا عن عزمها ولذا أعتنى بتربية حشرات أخرى تتغلب على هذه الآفات وتأكلها فلم أستفد مما قاله شيئا جليدا لأنني أعرف ذلك من قبل ولكن ما هي الطريقة التي تؤدي إلى الحصول عليها والانتفاع بها في بلادنا . إن في أمريكا محالّ معلة لتربية هذه الحشرات المفيدة والزراع يشترون تلك الحشرات بثمن قليل وقد أسفت كثيرا لحرمان بلادنا من أمثال هذه العنقة التي يدفع بها عدو خيرات الأرض وقد

وجدت في أمريكا كثيرا من الأشجار التي اشترى الواحدة منها بمخمين  
أو خمسة وسبعين فرنكا من أوروبا ولا تساوى هنا إلا خمسة ولكن  
ما العمل وما هي الطريقة في قتلها ونحن في كاليفورنيا في آخر العالم .  
إن سكان هذه الجهات تنتظر بفارغ صبر افتتاح قتال بناما لتسهيل  
طرق التجارة ويظن أن التجارة بعد فتحه تتضاعف حركتها . أما  
معموية إرسال البضائع بالطرق الحديدية فعظيمة لأن أجور النقل  
باهظة جدا والبضائع تتأخر كثيرا في الطريق لأن أغلب الطرق  
الحديدية ليس بها إلا خط واحد وذلك من أكبر دواعي الإبطاء  
في نقل البضائع . وقبل أن أخرج من عند هذا البستان قال لي إن  
عنده نخلة نادرة وهي الوحيدة في جميع كاليفورنيا وهي جميلة جدا  
تنفذ للزينة فأليت على نفسي أن يكون لمصر نصيب في واحدة منها .  
رجعنا إلى الفندق ونحن مسرورون من رحلتنا هذه فقابلني مديرها  
وسألتني عن حالة الضيعة فأطريتها وأظهرت له إعجابي بالعظيم بنظافتها  
وعظيم الاعتناء بها وبما فيها خصوصا نظامها الحسن فقال لي إننا بعد  
أن نأخذ منها كل ما يحتاجه الفندق نبيع لسكان المدينة مسائر ما بقي  
من اللبن والبيض والحمام ولحم الخنزير وقد قال لي إن لهم مزرعة  
خصوصية لأنواع الخضر فهأتاه بذلك وبما هم فيه من نعمة اعتدال

الحق في هذه المدينة حتى صارت صالحة لصفاء الحياة فيها صيفا  
 وشتاء والملشية ترعى في مروج مخصصة طول السنة وهي مطلقة الحرية  
 وهذه من أجل نعم الله عليهم  
 بعد تناول العشاء جلسنا قليلا لسماع الموسيقى ثم اقررنا للراحة  
 والنوم .

أنى يوم السبت (أول يونيه) فعزمنا على الرحيل من هذه المدينة  
 فأعدنا أمتعتنا وبعد ذلك زلت ومعى مصطفى بك لدفع ماوجب  
 علينا دفعه للفندق فوجدناه في هذه المرة معتدلا فشكرت لمديرها  
 حسن اعتناؤه بالسائحين وبكل مايربحهم والحق أننا هنا سررنا جدًا  
 من الخدمة والاعتناء فإن كل المستخدمين كانوا يؤدون طلباتنا  
 بكل همة ونشاط وكل مستخدم كان يعرف واجباته فيقوم بها أحسن  
 قيام

في الساعة العاشرة والنصف صباحا صحنى خيرى بك وتركنا مصطفى  
 بك ومعنا باقى أمتعتنا الخفيفة في الفندق على أن يلحقنا في المحطة  
 فشيننا راجلين إلى أنت وصلنا إلى المحطة وفي الساعة الحادية عشرة  
 والربع تحرك بنا القطار إلى مونتيرى (Monterey) ومنها إلى ديلمونتي  
 (Del Monté) وهي لا تبعد عنها بأكثر من عشر دقائق



بعد ثلاثة أرباع الساعة من ركوبنا أى فى الساعة الثانية عشرة نودى بأن الغداء حاضر فذهبنا لعربة الأكل ولما أتى لنا بالطعام وجدناه غير جيد وقد كان الحر شديدا حتى صار السفريون السود يتصبب عرقهم ولم تكن النظافة يادية عليهم

صرنا نمر فى سهول ليست جميلة ولكنها أحسن من محارى ألابازونا (Arizona) فهنا امامنا بعض مزارع ولا نمر على جبال مرقعة فلما نظرنا تغيير إذا بين حقول وأراضى غير مزروعة ومستنقعات وغيرها وصلنا مرة أخرى الى منابع زيت البترول الكثيرة وقد عرفنا أن القاطرات هنا يستعمل فى إدارتها زيت كقاطرات سيرايا وفى محطة ساليماز (Salinas) رأينا مخزنا كبيرا لهذا الزيت وهو تابع للطريق الحديدى الجنوبى الباسفيكى (Southern Pacific) (railway) ولما وصلنا الى محطة كاسترفيل (Casterville) نزلنا لتركب قطارا آخر يوصلنا إلى ديلمونى وهى التى تقصدها وطالما سمعنا الألسنة لاهية بالثناء عليها وقد وقفنا فى هذه المحطة نحو عشر دقائق وبعدها تحرك قطارنا ومشى بنا فى سهول غير مزروعة وليس بها الا شئ من الكلاب وبعض شجيرات ضعيفة نابتة فى هذه الرمال .

نحن لانبعد الآن كثيرا عن شاطئ البحر ونمر على آكام مرتفعة

ولا نرى جبلا ولا آجاما جميلة كما سمعنا فالتفت الى صديقي وقلت لهما هاتحن وقمنا أيضا في الفخ وأظن أننا إذا استمرنا على هذا الحال نكون قد تكبدنا متاعب بدون جدوى وبينما نحن في هذا الحديث وإذا بنا دخلنا في حديقة غناء تزينها أشجار ثم وقف بنا القطار في وسط أجرة هائلة وسمعنا ناديا يقول ديلبونى فأمرعنا بالتزول وركبنا عربة الفندق العامة التي سارت بنا في وسط مروج جميلة وحدائق بديعة وكانت الطرق منظمة ومرصوفة بالميكادام محفوفة بالأشجار المورقة على جانبيها أما محطة ديلبونى فهي تابعة للفندق الذى نستزل به

بعد أن مضى من الساعة الثامنة عشر دقائق وقفت بنا العربة أمام الفندق فرأيناه عظيما ولما دخلناه وجدنا السيدات بملابس المساء والرجال مرتدين الأسموكين وبعد ذلك أعطيت لنا غرف في الطابق الأول تطل على الحديقة الجميلة وقد كررت كثيرا في مثل هذا المقام جملة تدل على عظم وجمال الفندق ولكنها في الحقيقة تقصر عن الوصف وتقف دون التعبير عما في الضمير وقد قلنا فيما بيننا : هنا يمكن أن يمضى الإنسان شهرا في لذة وهناك حيث تنجلي له الطبيعة بكل محاسنها ويستنشق الهواء العليل ويتمتع بالهدوء والسكينة والراحة

الثامنة ولذا يفد إليه كثير من سكان سان فرانسيسكو الأغنياء الذين يطلبون الراحة الثامة ولكن قد أسفنا لأن خطتنا لا تأذن لنا بالبقاء فيها أكثر من يوم واحد وبعد ذلك دخلنا حجرة المائدة لتناول العشاء وهو يقدم على حسب برنامج معين فلا يختار الأكل ما يشتهي من أصناف كثيرة تعرض عليه

ولما قدم لنا وجدناه لا يؤكل وقد كان بجانبنا أحد السائحين فطلب قطعة جبن فقسمت له قطعة صغيرة لا تصلح لإدام لقمة واحدة فأطلع عليها امرأته وأولاده وصار يضحك وفي خلال الأكل كنا نسمع ما يسمونه موسيقى ويديرها فنانان إحداهما كانت تنفخ في الكورنيت وظنى أن شفتيها رقا من كثرة النفخ والأخرى كانت تضرب الكنتجة ومعهما فتى يضرب على البيانو ولا نعرف هل الحاضرون يسمعونها أو أنهم لا هون عنها بطعامهم . أوصيت بإعداد سيارة قبل أن نصعد للنوم لأجل رياضة السبعة عشر ميلا المشهورة في أمريكا فأشار على مدير الفندق أن نذهب أيضا إلى المنتزه الجديد واقترقا على أن نتمتع في صباح يوم الأحد (٢ يونيه) بهاتين الرياضتين وفي الساعة التاسعة من صباح اليوم المذكور أتت السيارة فركبناها وممرنا أولا على مدينة مونتري التي يبلغ عدد سكانها نحو ٣٠٠٠٠

وقد علمنا من كثرة الزحام بها وكثرة السيارات التي تسير أو تنتظر من يركبونها أنه سيقام فيها حفلة طيران بعد ظهر هذا اليوم لأن هذا يوم الأحد وكان عدد المشاهدين كبيرا

ان هذه المدينة ليس بها شئ يذكّر غير أنها لما كانت تحت حكم الاسبانيين كانت من المدن المهمة وقد رأينا بها بعض مباني قديمة كانت قديما مركزا للكوس ولل قضاء وغيرهما ورأينا أيضا تمثالاً لأحد المرسلين المدعو الأب سيرا (Serra) أقامته سيدة عجوز ثم مررنا على صليب من الرخام أقيم تذكّرا للشجرة بلوط كانت في مكانه وأقيم تحتها أول صلاة في يوم أحد فهكذا تكون المحافظة على الآثار الدينية وظنى أن مثل ذلك لا يرى في بلادنا ومن العجيب أنه ينسب اليها دائما التعصب فليعتبر أبناء الوطن الأعزاء وليحافظوا على التقاليد القديمة . وهنا يجدر بي أن أقول انى منذ سنتين أريد أن أحيي تاريخنا مجيدا للعرب الذين فتحوا مصر بنجليلد (جامع عمرو) وجعله أثرا لا يمحي خالدا الى ما شاء الله فلم ألاق إقبالا يشجع ولكن أملى في الله وفي أولى المروءة أن لا يعضنوا بالمساعدة في هذا العمل الجليل الذى أراه تذكّرا لأهم حادثة تاريخية في حياة مصر وما ذلك على الله وعلى ذوى المروءة بيبعيد .

مررنا بعد ذلك على تمثال نسر من الجرانيت أقيم تذكارا للقائد الأمريكي الذي أخذ هذه المدينة من الاسبانيين - وبموتى قوة مؤلفة من ألفى جندي نظائى . هذا وقد كنا نسمع فى الطرق كثيرين يتكلمون باللغة الاسبانية ولما صعدنا على مرتفع منها رأينا ثغر موتى والبحر فيه هادئ جدا لأنه مقفل وقد كان ماؤه أزرق ساكنا تسبح فيه مئات من السفن الشراعية فعلى بعد يراها الإنسان كأنها طيور بيضاء وهى ملك للصيادين الذين بعضهم صينيون .

استمررنا فى طريقنا إلى أن وصلنا إلى شاطئ البحر فشعرنا ببرد قليل و بين وقت وآخر كنا نمر على صخور تتلاطم فيها الأمواج فتعلوها الرغوة وقد كان الساحل جميلا جدا فصرنا نتمتع أنظارنا بهذه المناظر البديعة إلى أن وصلنا إلى باب كبير دخلنا منه فى أملاك الفندق التى تقدر مساحتها بسبعين ألف هكتار وهى آجام لم أر أجمل منها . فيها طرقات بدعة النظام وبينهم الإنسان فى وسطها المنتشرة به الأشجار المائلة إذا به يخرج إلى شاطئ البحر فتتمثل أمامه الطبيعة بمناظرها الجميلة المؤثرة فى النفس وقد رأينا متارا وعلى مسافة منه بعض صخور عليها كثير من نوع الطيور صيادة السمك ولا ينسى القارئ أننا على المحيط الباسفيكى . مررنا بعد ذلك على كوخ حقير مهتم لأحد

صيادى السمك الصينيين . هنا وقف بنا سائق سيارتنا وأشار منبها أنظارنا إلى صخور قريبة من الشاطئ عليها كثير من ال (Phoques) وقد كان أحدها يسبح حتى صار على مقربة منا فصرنا ننظر إليه وأعجبنا شكله وهو يعوم أما الأمواج فلا تؤثر فيها غير أن صعودها على الصخور ولا أرجل لها لا بد لها دونه من تحشم صعوبات كبيرة لأنها تزحف على بطنها وقد تصعد على هذه الصخور طلبا لحرارة الشمس وقد رأيناها نائمة على سطحها هادئة مطمئنة فكنا قليلا من الزمن لنبتهج نظرا بها ثم أتبعنا السير إلى أن دخلنا في سهل صغير يرى فيه قطع من البقر ورأينا مكسيكياً على جواده لحراسها والحفاظة على الغابة من الحريق ولا يخفى على القارئ أن أشجار الصنوبر سهلة الاحتراق كالهشيم . وصرنا نستشق من روائح هذه الأشجار الذكية ونحن نستمع على السير فصادفنا تيتلا ذا قرون صغيرة تدل على أنه حديث السن وقد كان آمنا مطمئنا على مسافة قريبة منا فتركاه وشأنه ووصلنا إلى مرفأ يدعى مرفأ كارمل وذلك لقربه من دير الكارمليت (Couvent des Carmelites) هنا وجدنا خصا جميلا تابعا للندق قد أعد للذين يحبون تناول طعامهم فيه بين هذه المناظر اللطيفة . هنا يباع كل أنواع السمك وأثمار البحر . مررنا بعد ذلك

على قرية صغيرة يسكنها بعض الصينيين الصيادين ويظهر عليهم سعة العيش وحسن الحال . حوّل السائق طريقه وذهب بنا إلى الطريق الجديد وليكن في علم القارئ أننا ما زلنا في الغابة الكبيرة . هنا رأينا نحو ٤٠٠٠ فدان حرق أشجارها من مدة أربع سنوات وقد أخذت الشجيرات الصغيرة فيها تنمو نمواً حسناً وظنى أنها بعد سنتين تصل إلى ما كانت عليه من قبل فتكسوها الأشجار فلا تكون عارية كما نراها الآن إن هذه الغابات ملك لثلاثة أشخاص اشتراها آبائهم من قبل أربعين سنة كل هكتار بخمسة فرنكات وهم الآن لا يبيعون الهكتار بأقل من ألف دولار فانظر الفرق العظيم بين الثمنين تعلم منه أن ثروتهم عظيمة . لا أقول إن الغابة كبيرة تضارع غابات سيبيريا أو كندا أو برزيليا أو أواسط أفريقيا أو استراليا ولكن جهة استعظامها أنها ملك لثلاثة أشخاص وأنها تابعة للهند -

إن بالهند حديقة كبيرة على أبعد نظام معتنى بها غاية الاعتناء بداخلها لقر ( لايرنت ) من نوع ال ( Syprén ) منظم تنظيماً بديعاً . وقد علمنا أن بالحديقة نحو ١٥٠٠ نوع من أنواع الأشجار المختلفة والزهود ولا عجب فساحتها تقارب أربع مائة فدان وبها أيضاً عدد عظيم من أشجار ( الأريكاريا ) و ( الكاكتوس )

أما الفندق فلا ينقصه شئ من دواعى الراحة فبه مكتب للتلفراف وآخر للتلفون وثالث لإرسال الأمتعة وصيدلية ومحل كبير للحلاقة وفناء واسع للألعاب وبه سبعة ملاعب للعب التنيس تظللها الأشجار وبجيرة تسير فيها زوارق بالتجذيف ومحل للعب الجولف وفي الأجمة شهر يصاد فيه نوع من السمك يسمى المرجان وحمام كبير على البحر يخصص (كشك) للذين يريدون أن يرافقوا زوجاتهم والوالدات اللاتي يردن مراقبة أطفالهن ولا شئ أدعى إلى سرور الإنسان وأشرح لصدره من أن يكون في غرفته ناظرا من نوافذها إلى كل هذه المناظر الجميلة لاسيما مع هبوب النسيم البليل يحمل على جناحيه الروائح الشذية المنبعثة من زهر البرتقال والليمون فإنه ينعش الروح ويحبب إلى الإنسان الحياة الطيبة - فأسفت كثيرا لأنى عزمت على السفر منها وكان بودى أن أمكت بها زمنا طويلا لولا أنى أسير على خطة معينة وبرنامج محدد تقتضى الحال اتباعه نحن في يوم أحد وقد جرت العادة أن لا يقدم الطعام في هذا اليوم قبل الساعة الأولى بعد الظهر ولكن لأجل حفلة الطيران التي ستقام بعد الظهر أذن لنا بتناوله بعد الظهر بنصف ساعة فأكلنا وبعد ذلك دفعنا ما يجب علينا للفندق وأمرنا المكلف بإرسال المتاع أن يرسل متاعنا وصحيتى خيرى بك وتركنا مصطفي بك بالفندق لقضاء بعض شؤونه



على أن يلحقنا بالمحطة ومشتناراجلين (لأن مسافة الطريق لاستغرق أكثر من عشر دقائق) ترويحاً للنفس بين تلك الأشجار النضرة والزهور الباسمة وقد كان الهواء عليلًا فلم نشعر بأن الطريق انتهى لكثرة إعجابنا بهذه المناظر التي نمر عليها وبينما نحن ننظر بالمحطة سمعنا صوتاً علياً فقال لي رفيق خيري إن هذا الصوت لابد أن يكون طنين طائرة ولم يمض على كلامه زمن قصير حتى رأيناها تحلق فوق رؤسنا وهي من نوع البيلان (Biplan) فأخذت ترسم في طيراتها دائرة كبيرة ومرت فوقنا ثلاث مرات والناس يمجرون لرؤيتها فحمدت الله إذ رأيت أن البحرى وراء مثل هذه الطائرة ليس مقصوراً على بعض المصريين ففي بلاد العلم والنور يوجد كثير ممن هم على شاكلتهم في ذلك . وأظن أن مثل ذلك شئ عام في جميع الشعوب . رأينا تحت هذه الطائرة إعلاناً قد كتب بخط واضح عن معرض سنة ١٩١٥ في سان فرانسيسكو وقد قرأنا هذه الكتابة رغماً من ارتفاع الطائرة فانظروا كيف لا يدع الأمريكيون أى فرصة تقلت منهم دون نشر إعلانتهم فهم والحق يقال تهفوا على جميع الأمم افتناناً في الاعلانات ولو رأى القارئ ما كتب عن هذه الطائرة فالحجدة لا غر كثير أودعاً أخر سفره ولو كان مصمماً عليه فانتا قرأنا ما خلاصته : في الساعة الثانية والنصف من

هذا اليوم سيكون سباق هائل في مضمار الطيران - ألا يفهم القارئ من هذه العبارة أن عثة طيارات ستسابق قطير من محل معين إلى غاية معينة والتي تنال قصب السبق يكون صاحبها هو الفائز . إننا رأينا كثيرا من السائحين الأمريكان يسرعون إلى هذا المكان وأظن أن بعضهم غره هذا الإعلان فهل يكتفون بالنظر إلى هذه الطيارة الوحيدة . هذا ما تركته لهم ولينشروا اعلالتهم كيفما يريدون .

حضر القطار ولحن حظنا وجدنا مكانا خاليا فجلسنا فيه رغما من كثرة الزحام به فإنه مملوء بالفلاحين الذين ينتزهون في يوم الأحد .

قام بنا القطار في الساعة ٣ و ٢٠ دقيقة بعد الظهر ونحن نأسف جدا لقراقتنا ديلمونى الجميلة وسارينا في طريق سانتا كروز (Santa Cruz) إن طريقنا هو الطريق الذى أتينا منه إلى ديلمونى ومن كاسترفيل (Casterville) استمرنا إلى پاچورا (Pajara) وهى بلدة شهيرة بأشجار القواكه بنوعها التفاح والكريز والبرقوق وليس بها شئ من أشجار البرتقال والليمون . انتظرنا بهذه البلدة القطار الذى يأتى من سان فرانسيسكو ولما حضر نزل منه عدد لا يقل عن مائة شخص وركبوا معنا قطارنا وقد كان من ضمنهم أسرة فلاحين اسبانية جلست بجانبنا وكانت القذارة ظاهرة على كل أفرادها حتى إننا اضطررنا أن ندبر عنهم

جاعلين ظهورنا قبلهم ونطل من نوافذ العريه هربا من الروائح الكريهه التي كانت تتصاعد منهم ومن رؤيه قذارتهم التي تسمثر منها النفوس وينبوعها النظر .

وصل بنا القطار إلى محطة سنطا كروز (Santa Cruz) في الساعة ٥ و ٤ دقيقة وهي أمام كازينو فندق (Casa del Re) كازديل رى الذى مستزل به فألقينا نظرة عامة فوجدناه حديث النشأة وعلينا أن هذا الكازينو تابع لإدارة هذا الفندق . دخلناه وأعطيت لنا غرف صغيرة ولكنها منظمه ومرتبـة وبعد أن حضر متاعنا نزلنا منها وأهضنا في طلب سيارة لتحضر إلينا غدا لنذهب بها إلى الأشجار الكبيرة (Gros arbres) وبعد ذلك دخلنا إلى ججرة المائدة فصادفتنا أمام بابها موسيقى يديرها ثلاثة أشخاص أحدهم يضرب على البيانو والثاني يعزف على الكمنجة والثالث يدق على السمبالون فاقتربت من الأخير وسألته هل أنت مجرّى فأجابني نعم فقلت له ما أبعد بلادك عن هنا قرأيت السرور باديا على وجهه لما رأى من الالتفات إليه وإلى صناعته وسألتى هل أحب أن أسمع بعض قطع خصوصية فشكرته قائلا إني أكتفى بما تلهون على حسب البرنامج الذى وضعتموه وصرنا لاسمع من هذا الطائفة إلا نغمات كألحان السودانيين والكيكوك (Cake Wack)

وبعض مروس قالس ولم نسمع منهم ألحانا مجرية فاقتربت من  
المجرى وسأله هل يعرف الحن الجرداش فأجابني هنا ياسيدى  
لايجون مثل هذه الألحان ثم استطرد في حديثه وأخبرنى أنه فى الثامن  
من هذا الشهر سيحضر ثلاث فتيات ليم بين نظام موسيقاهم وفى  
فصل الشتاء يذهبون جميعا إلى لوس انجلوس ليشتغلوا فى فندق  
اليكسندريا (Alexandria) أما فى فصل الصيف فيمكنون عادة  
فى هذه البلدة وقد أخذ يشكو من حاله ويقول إنه مضى عليه ثلاث  
سنوات فى هذه البلاد ولم يكتسب شيئا مذكورا لعلوا أسعار لوازم  
المعيشة وإن الكسب فى أوروبا أكثر منه هنا ثم قال ضاحكا نحن  
الموسيقين لانخدما القرص بكاى العمال أو المضارين .

وبعد أن مكثت قليلا معه أسمع من أحاديثه تركته وصعدنا  
لنوم . فى صباح يوم الاثنين (٣ يونيه) بعد أن تناولنا قهوتنا مكثت  
فى الفندق إلى قرب الساعة التاسعة وأنا أكتب فى رحلتى ولما أنت  
السيارة التى كا طلبناها ركبناها وأمرنا سائقها أن يذهب بنا إلى الأشجار  
الكيرة فمر بنا أولا على شاطئ البحر ليرينا بعض منازل الأغنياء ومن  
بينها منزل رئيس (شيخ البلد) مدينة سان فرانسيسكو السابق ومررنا بعد  
ذلك على مئذنة فقال لنا السائق ان الحكومة قررت اتفاق ٢٩٠٠٠ دولار

لبناء منار آخر أهم وأكبر من هذا . وأخذنا نسير على الشاطئ وهو جميل جدًا وقد أثر ماء البحر في بعض الصخور فحُفرت فيها مغارات كبيرة (Grottes) حتى إن بعض تلك الصخور اخترقها المياه فصارت بحسر طبيعي (كوبرى) وقد مررنا أمام إحدى هذه الجسور (الجارى) الطبيعية وكان مهتمًا فأخبرني السائق أن ذلك من تأثير زلزلة كبيرة حصلت من منذ ٣ أو أربع سنوات غربت هذا الجسر الذى كان أكبرها وأجلها . وبعد قليل أخذ السائق طريقًا آخر أمام معمل نشارة كير وعدنا ثانيا إلى وسط المدينة ثم انعطفت شمالا ولم يمض علينا قليل من الزمن حتى وصلنا إلى مضيق مكثف بالأشجار ومنه ابتدأنا نصعد في طريق غير منتظم وصرفنا نرى بعض عربات في طريقنا . وبعد عشرين دقيقة من خروجنا من الفندق وصلنا إلى الأشجار الكبيرة ووقفت بنا السيارة أمام منحدر عظيم فنزلنا منها ومشينا فيه بصعوبة إلى أن وصلنا إلى جسر من الخشب معلق (Pont suspendu) فررنا عليه ونحن في وسطه لحث فتاتين أمريكيتين ممتطيتين جوادين وهما من تحت هذا الجسر فأشرت إليهما أن يقفا لأصوّرهما وهما على هذه الحالة وفي وسط الأشجار فقبلا طلبتي فرسهما بالمصوّر الشمسى وبعد ذلك عبرنا هذا الجسر واستمررنا

في طريقنا قليلا الى أن وصلنا الى أجمة مظلمة لا يسمع فيها أى صوت  
فرأينا فيها أشجارا هائلة استعير لكل شجرة منها اسم شخص مشهور مثل  
لينكون وروزفلت وغيرهما وقد أحصيت عدد أعظمها فاذا هي لا تزيد  
عن ثمان أو تسع ولكن بجانبها عدد آخر من الأشجار أكبر حجما وأكثر  
ارتفاعا وهي محاطة بسور وملوكة لشخص قد أذن بزيارتها لكل من  
يدفع فرنكين وقد وجدنا في الغابة العامة التي نحن فيها الآن رجلا يبيع  
بطاقات البريد (كارت پوستال) وأشياء أخرى للسائحين واختار لذلك  
مكانا تحت ظل بعض الأشجار وأنشأ فيه دكانا من الخشب وضع فيه  
بعض كراسي لمن يريد أن يستريح عنده فاقرب منا ووجه أنظارنا  
بإشارته الى سلم يصعد فيه الى ارتفاع بعض أمتار على شجرة مقطوعة  
وعند مقطعها مكان يشرف على هذه الأشجار الكبيرة التي يدفع من  
أراد الدخول اليها لمشاهدتها القيمة التي ذكرتها قبل وقال لنا اصعدوا  
على هذه الشرفة وانظروا الى الأشجار الكبيرة التي يكتنفها هذا السور  
اذا أردتم أن تروا بدون دفع شئ فعلنا بإشارته لاسمينا اننا عازمون  
على الذهاب إلى يوزميت قالى وهو مكان به أكبر الأشجار العجيبة .  
عدنا بعد ذلك الى السيارة وركبناها وأمرنا سائقها أن يذهب بنا  
إلى الفندق وقد كان هذا الرجل هرما ولا يكف عن الحديث لحظة

واحدة وكثيرا ما اصطدمت سيارته بأشياء صادفتنا في الطريق .  
ولما قربنا من طريق نحتة هوة هائلة أعرضت عن سماع حديثه حتى  
لا أشغله لئلا يوقعنا حديثه في خطر ولما رأى أننا لا أكلمه قال لي  
ياسيدي مضى على عشر سنوات وأنا أسوق هذه السيارة في جميع  
هذه الطرقات ولم يحصل لي والحمد لله ما كثر راكبا فلا تخف إذا  
وكن مطمئنا فشكرته ولكن ثقته بنفسه هذه لم تعطيني أستمتر على محادثته  
بعد ما رأيت من كثرة اصطدام سيارته وعلى ذلك أوصلنا والحمد لله  
الى الفندق . وبعد أن تناولنا الغداء دفعنا ماوجب علينا وفي الساعة ١  
و ٥ دقيقة ذهبنا الى المحطة واجلين فوجدنا قطارنا مكتظا بالركاب  
وهو مركب من ثلاث عربات (Wagon couloir) ويلزمنا أربع  
ساعات لقطع مسافة الستين كيلو التي بين سانتا كروز وسان فرانسيسكو .  
تحرك بنا القطار ولما كانت حرارة الجو أشد من حرارة مصر وهنا  
الحرية مطلقة فلا نقد على إنسان فيما يفعله فلم أربدا من خلع سترتي  
من شدة تأثير الحر . دخل قطارنا في وادي الأشجار الكبيرة ثم صار  
يمر على جبال عالية وكل خمس دقائق يقف بنا في محطة وهكذا الى  
أن وصلنا الى بلدة ياجارو الشهيرة بفواكهها ومنها خرجنا الى سهل به  
مستنقعات ترعى فيه أنواع الماشية ثم دخلنا في مزارع خضر للمدينة

فرنسيكو - وبعد ذلك صرنا نرى البحر الى أن وصلنا الى مدينة (Oakland) أوكلندوهى واقعة أمام فرنسيكو . هناك الركاب تنزل لأخذ نقالة تجارية توصلهم إلى مدينة سان فرنسيكو ويوجد ست أو سبع نقالات لهذا الغرض تشابه المستعملة فى نيويورك أى يمكنها نقل عربات أيضاً من الشاطئ الى الشاطئ الآخر فنزلنا فى إحداها وكان بها عدد عظيم من العمال والركاب وفى أثناء سيرها تقابلنا بنقالات أخرى آتية من فرنسيكو مملوءة أيضاً بالعمال الداهيين الى أوكلاند التى يسكنها كثير من الفقراء والذين لا يقدرّون أن يسكنوا بسان فرنسيكو لارتفاع أجور المنازل بها ولما كانت الساعة الخامسة كان كل الركاب الداهيين الى أوكلاند هم العمال الذين خرجوا من أشغالهم وأرادوا العودة إلى مساكنهم . وصلنا إلى فرنسيكو فوجدناها عظيمة جداً والحركة بها عظيمة فأخذنا السيارة التابعة للفندق الذى مستزل به وسار بنا سائقها إليه فصرنا نشاهد فى كل مكان إعلانات عن معرض سنة ١٩١٥ أمامنا ولها فى الحقيقة أجل من منازل نيويورك فلأن أشكلها شارحة للصندوق . وقبل أن نصلى إلى الفندق صرنا نصلد تارة فى طريق مرتفع وتنزل أخرى فى منخفض صحيح لأن مدينة فرنسيكو مبنية على تلال وفندقنا قائم على أعلى تل فيها ولذا كانت سيارتنا تصعد فى طريق مرتفع فى غاية الصعوبة



وصلنا إلى فندق فايرمونت (Fairmont) فدخلناه فوجدناه على عظمه هادئا ومنظما تنظيما جميلا وأغلب مستخدميه من الأوربيين  
الابعضهم الذين يؤدون الأعمال الشاقة فلتهم من الصينيين . بعد أن  
كتبنا أسماءنا صعد بنا أحد وكلاء إدارته وأرانا غرفا فقبلناها  
مسرورين ثم نزلنا لنخاطب محل كوك باللقون ونطلب من المدير أن  
يحضر إلينا صباحا في الساعة التاسعة .

أتى ميعد العشاء فتناولناه وكان لذيذا ولما أردنا النوم وجدنا الحر  
قد أظاره من أعيننا فقصيناها ليلة ماهرة حلقنا فيها السهاد الى أن  
ابتسم فجر يوم (الثلاثاء ٤ يونيه) فاعترائى من شدة التعب نوبة عصبية  
ولما أتت الساعة التاسعة صباحا حضر المستر ستوك (Stokes) مدير  
محل كوك ومعه رسالة لى من شقيقتي وجلستنا معا نتحدث في رحلتنا  
وعقلنا في خطتنا بعض التعديل وحذفنا من برنامجنا الذهاب إلى  
يللستون بارك لأن مناظرها لا تساوى مشاق الوصول إليها ولم تكن  
تستحق ماسمعتها من المدح فيها وعزمنا على أن نقضى في كندا الأيام  
التي كنا نريد قضاءها في يللستون بارك .

أخذنا بعد الظهر في طلب عربة لاندو ولما حضرت ركبا فيها  
وأمرنا ما تفهنا أن يذهب بنا إلى المستراض العام وقد أخذ الحجز يعتدل

ووطأة الحر تخف قليلا قليلا ولكن السماء كان بها بعض الغيوم ولما كانت الطرقت تارة ترتفع وأخرى تنخفض كان سير العربة بطيئا ولذا قضينا وقتا طويلا للوصول الى المستراض ولما دخلنا فيه وجدناه كبيرا ولكنه غير معتنى به كمنزلة شيكاغو — رأينا فيه تمثالين للشاعرين الألمانيين الشهيرين جوتى (Goethe) وشيللر (Schiller) (وقد علمنا أن بمدينة فرنسيسكو يحسب ألف ألماني) ثم حديقة يابانية فيها مكان معد لتناول الشاي .

قضينا ساعتين ونصفا في رياضتنا ثم عدنا إلى الفندق وطلبتا تغيير غرفتا لعل الهواء لا يضرنا علينا بنسيجه الليل فقبلتا بها أخرى في الجهة الشمالية وبعد تناول العشاء صعدنا إليها طالبين من الله أن يمن علينا بالراحة في هذه الليلة .

أتى علينا والحمد لله يوم (الأربعاء ٥ يونيه) ولما جاءت الساعة الثامنة صباحا ذهبنا إلى محل كوك فوجدت به إشارة برقية بُعث بها إلى من المخلصة ولما سألت هل أعد ما يلزم لسفرنا على حسب تغيير خطتنا علمت أنه إلى الآن لم يتم شئ سوى أنه أعدت لى حجرة (Cabine) بها حمام فى الباطنة التى ستركب فيها الى ألاسكا (Alaska) عدنا بعد ذلك إلى الفندق سائرين على مهل ننظر مخازن المدينة

ومتاجرها الشهيرة وقد اشترينا في الطريق بعض بطاقات البريد (كارت  
 پوستال) تذكرنا لزيارتنا لهذه المدينة وبعد الغداء رأينا أن نذهب إلى  
 شارع بولك (Polk Street) لشراء بعض جرائد فرنسية ومنه نذهب  
 إلى أحياء الصينيين ويسمونهم المدينة الصينية . ركبنا الترام الذي به  
 مقعدان ملتصقان وممتدان على طول العربة فيقعد الركاب بعضهم  
 بجانب بعض وكلما صعد الترام إلى مرتفع يحكم الضرورة دفع الناس  
 بعضهم بعضا من الجهة المضادة لسير الترام ويحدث عكس ذلك عند  
 ما ينحدر وصلنا إلى شارع بولك وقضينا لوازمانا منه ثم اتخذنا طريقنا إلى  
 المدينة الصينية التي فقدت كثير من عظمتها بعد أن احترقت إثر ثورة  
 الصينيين وقد قيل لنا إنه قبل حصول هاتين الحادثتين كان يبلغ عدد  
 الساكنين بها ٤٠٠٠٠ صيني واليوم لا يزيدون عن العشرين ألفا  
 أما الأبنية التي تجددت بعد الحريق فلها فقدت بهجة المنازل الشرقية  
 الصينية . وصلنا إلى طريق يذهب بسالكه إلى دكاكين صينية حيث  
 مدخل المدينة فتقدم إلينا شخص أمريكي وأظهر لنا رخصة تسمح  
 له أن يصحب السائحين الذين يريدون مشاهدة ما في هذه المدينة  
 وقال لنا إنه يعلم جميع محباتها وكل شئ غريب فيها يستحق الزيارة  
 وعرض علينا خدمته هذه على أن يكون جعله دولارا عن كل شخص

فقبلنا منه ذلك وأخبرنا أنه مضى عليه ٢٣ سنة وهو يحترف بهذه الحرفة . أخذ يرينا أولا محل جزار صينى ثم مخبزا فصيلة صينية رأينا فيها ثعابين ميتة وكذا أفراخ دجاج وكلها محفوظة فى مسائل فى أوعية وقد علمنا أن الصينيين ما زالوا يبيعون أدويتهم القديمة ولم اعتقاد خاص فى تأثيرها فى أمراضهم . دخلنا بعد ذلك فى دكان جوهري والظاهر من الأشياء المعروضة فيه أن الصينيين لا يعرفون من الحلى الا الذهب وحجر اليشب (Jade) ثم خرجنا منه الى مسكن امرأة عجوز صينية تسكن تحت الأرض هى بيتها العشر ويستغلن جميعا فى ترقيع بعض الملابس ورقنفا وغسلها على أجرة قليلة جدا وقد رأينا مضجعهن فاذا هو عبارة عن بعض ألواح من الخشب موضوعة بعضها بجانب بعض وفوقها غطاء كبير واحد يلجمهن فرتينا لحائتين التى تنطق بما هن فيه من الفقر المدقع ثم زرنا باقى الغرف التى فى هذا المسكن وعددها نحو خمس عشرة سعة كل واحدة منها ٣ أمتار طولا فى نحو مترين ونصف عرضا ويسكنها شخص أو جملة أشخاص فا أنهم . وقد ذكر لنا دليلنا أن شرط أمريكا تجدد صعوبة هائلة فى ضبط القتلة الصينيين أو قطاع الطريق منهم وذلك لشدة الشبه بين جميع الصينيين ولكثرة أبواب منازلهم الموصلة الى طرق

متشعبة وقد يقتل صيني شخصاً ويلجأ الى أى منزل ثم يخرج من الخلف من باب آخر فلا يقف الشرطى له على أثر الصينيون لايساعدون رجال الأمن على ضبط المتهمين ولو كانوا يعرفونهم خوفاً من الانتقام منهم إن دلوا عليهم .

ذهبت بعد ذلك إلى منزل موسيقى هرم فضرب لنا أولاً على آلة تشبه الصهاثور بقضيين من البامبو (الخيزران) قصيرين أخذ يضرب بهما على أوتارها ثم ضرب على القيثارة ثم ضرب على كمنجته التى لا تختلف عن الربابة فى شئ . فبعد أن سمعناه أعطينا له دولاراً وخرجنا من عنده الى مسكن أسرة صينية فقيرة فسمعنا غناء ابنتين صغيرتين وقد ابتدأتا أولاً باللحن باللغة الانجليزية ثم باللغة الصينية . ولا ينسى القارئ أن جميع هذه المساكن تحت الأرض وبعد ذلك أراد دليلاً أن تزور مساكن أخرى صينية فأراد الدخول فى أحدها وفى أثناء فتح الباب خرج عليه صاحب المنزل وطرده فعلمنا أن هؤلاء المساكن يكثر من تعاطى الأفيون والحكومة ترى ذلك جريمة تعاقب كل من ارتكبها بغرامة مالية قدرها ٥٠ دولاراً وأظن أن هذا الرجل كان يتعاطى هذا السم القاتل هو وأصحابه داخل المنزل ولما عالج دليلاً فتح الباب حصل لهم خوف شديد وحسبوا أن الشرط

قد باغتوهم لضبطهم فخرج صاحب المنزل متزعجا وأغلق الباب في وجه الدليل وهو في أشدَّ الحَقِّ والقارى لا يستغرب ذلك فان مثلهم كمثل حشاشينا عند مليا جمهم رجال (مارفى باشا) فانهم يهرون ولم في ذلك طرق شتى ولا يخفى ما يستولى عليهم عادقن الدعر والفرع اذا شعروا بأن الطارق عليهم هو من الشرط (البوليس) . ذهبنا بعد هذه الحادثة لزيارة معبد صينى في الطابق الأول من أحد المنازل فوجدناه مزخرفا ومُحلى بالأخشاب المكسوة باللون الذهبي فقابلنا الكاهن وأخبرنا أنه يفتنا بمستقبلنا بعد أن يؤدى الصلوات اللازمة لذلك فتركناه يعمل ما أراد ثم قال لنا ما يقوله عادة الدين يدعون معرفة الغيب من تلك الألفاظ المحفوظة المعروفة في جميع أنحاء العالم . دخلنا بعد ذلك في متجر كبير ورأينا فيه أنواع الآنية وثياب الحرائر الصينية ثم زرنا غرفة تجارتهم وفيها الفصل في خصوصياتهم على يد قضاة يختارون من بين التجار المشهورين وهم يفصلون في دعاويهم المدنية وينظرون في أحوالهم التي تتعلق بقرائنهم وأقاربهم في بلادهم الأصلية . اكتفينا بعد ذلك بما رأيناه من شؤون المدينة الصينية ودفعنا للدليل جعله وذهبنا إلى فندقنا الذي كان غير بعيد عن هذا المكان .

في صباح اليوم الثانى (الخميس ٦ يونيه) ذهبنا لحل كوك للبحث

عن رسالتنا ثم عدنا الى الفندق وفي الساعة التاسعة صباحا حضر إلينا  
المستر مستوك مدير محل كوك ومعه جوازاتنا (تذاكرنا) وبرنامج خطة  
سياحتنا الجديد وبعد الغداء عزمنا أن نذهب الى المتنزه الذي به  
حديقة الحيوانات فركبنا الترام الموصل إليها وبينما نحن في الطريق إذ  
عرفنا أن هذا المتنزه هو بعينه الذي زرناه بالعربة عند حضورنا الى  
فرنسيسكو فلم نر حاجة لزيارة مارأيناه من قبل فزلنا من الترام وركبنا  
آتسر أوصلنا الى الفندق ولما كان في نيتنا أن نعود إلى مدينة سان  
فرنسيسكو بعد السفر منها تركنا من متاعنا ما يلزم غسله حتى اذا عدنا  
وجدناه مغسولا وبعد العشاء دفعنا ماوجب علينا للفندق وفي الساعة  
٨ و ٣٠ دقيقة ركبنا السيارة التابعة للفندق لتصل بنا الى مرمى  
البواخر الثقالة التي تذهب إلى الشاطئ الآخر لتركب قطارنا من  
أوكلند وهي المحطة التي أنينا منها وقد كان ميعاد قيام القطار الساعة  
١٠ و ١٠ دقائق فعندنا من الوقت متسع ولكنا أسرعنا حتى تأخذ  
مكاننا في العربة قبل أن تزدحم وننام ولو قليلا قبل قيام القطار فأرسل  
معنا مدير الفندق خادما ليساعدنا في نقل أمتعتنا وقد تفضل علينا  
بهذه المساعدة العظيمة لما عرف أننا غرباء من بلاد بعيدة ونحتاج  
إلى المعاونة . إن وجهتنا هي الذهاب إلى محطة أوكلند لركوب

القطار الذى يوصلنا الى البورتال (El-Portal) فلم يعرف خادم الفندق الطريق الذى يلزمنا الذهاب منه واتخذ طريقا آخر مضادا لوجهتنا ولحسن الحظ رأيت مكتب استعلام فأسرعت إلى عامله وسألته عن الطريق فقال لى إن الجهة اليمنى خاصة بالطريق الحديدى الباسفيكى والجهة اليسرى خاصة بالسنتافيه (Santa Fé) ولما كنا أتممنا سياحتنا فى الطريق الأخير الذى يذهب إلى جنوب كاليفورنيا عرفت أن طريقنا فى جهة اليمين وفى الساعة ٩ و ٥ دقائق فتح الباب الموصل إلى الرصيف الذى نركب منه الركاب فى البخرة الثقالة وبعد ربع ساعة وصلنا إلى أوكلاند ودخلنا المحطة فوجدنا القطار ينتظر فيها فسلمنا خادم العربة الأسود أمتعتنا الخفيفة وطلبنا منه أن يعد أسرتنا وفى الساعة ١٠ و ١٠ دقائق تحرك بنا القطار ونحن على أهبة للنوم فى الساعة ٦ من صباح يوم الجمعة (٧ يونيه) كما على استعداد ومرتين ملابسنا فصرنا ننظر لنعلم أى طريق نسلكه فرأينا قطارنا يمشى فى مضيق محاط بالجبال على شاطئ نهر سريع يدعى مرسيد (Mersed) غفيل إلينا أننا فى بلاد سويسرا الجميلة لأن المناظر التى كانت تحيط بنا لا يعمل الانسان من رؤيتها غير أن الفرق بينها وبين مناظر الأولى أنها طبيعية ولم تغير يد الانسان خلقها الأصلية - كما ترى



بين حين وآخر بعض آلات مولدة للكهرباء موضوعة على مجرى النهر السريع ولا بد أنها تدور بدورن انقطاع وتولد قوة كبيرة لسرعة الماء العظيمة . في الساعة ٧ ونصف وصلنا الى محطة البورتال وقد كانت السماء صافية والحر معتدلا فزلنا من قطارنا ولا بد دون الوصول الى الفندق من أن نصعد مسافة ٥٠ مترا على أقدامنا فقطعنا هذه المسافة ولما وصلنا الى الفندق دفعنا دولارا عن كل شخص لتناول الفطور قبل الدخول الى قاعة الأكل وهذه هي العادة المتبعة هناك فاخترنا مكانا وجلسنا وقلمت لنا أنواع المأكولات التي كانت في غاية الرذاعة . وبعد أن انتهينا من تناوله سألت في مكتب الفندق هل جاءتهم أخبار لها اتصال بنا من المستر ستوك مدير محل كوك بسان فرانسيسكو من جهة إعداد عربة لنا فقال أحد العمال لا . وقال الآخر ربما يكون ذلك ثم تقدم الى شيخ هرم ويده رسالة وقال لي نعم وإن أردتم فهي رهن إشارتكم على تمام الاستعداد ففضلت الرحيل حالا حيث إننا متاهبون ولا فائدة لنا من الانتظار فذهب هذا الشيخ وبعد خمس دقائق حضرت العربة ووقفت أمام سلم الفندق انخلص بالمسافرين ولمنع تراحم المسافرين على العربات نصب على السلم حاجز من الحبال في وسطه متخذ يقف عليه أحد عمال الفندق لا يأذن لأحد

في المرور منه إلا على حسب الترتيب وبمقدار العدد الذي تسعه كل  
عربة ولما أتت عربتنا أراد بعض السائحين الركوب فيها فنعوا ونودى  
علينا فركبتها ووضعنا حقائبنا وشدت بالخيال حتى لا يسقط منها شيء  
في الطريق فسارت بنا العربة في طريق ملك للحكومة صعبة المسلك  
لأنها رملية ولذا كنا نسير ببطء مع أن أربعة أفراس كانت تجر عربتنا  
وبعد أن قضينا مدة ثلاث ساعات متوالية على هذه الحافلة في وسط  
مناظر بدية وسماء رائعة وشمس محرقة وصلنا إلى جسر (كبرى)  
في وسط وادي يوزميت ظلالى على ارتفاع ٤٠٠٠ متر عن سطح البحر  
وبعد أن عبرناه وجدنا عددا عظيما من الخيام قد رتاه من ٨٠ الى ١٠٠  
خيمة وقد أعطى لهذا المكان اسم معسكر يوزميت وقيل لنا إن جل  
سكانه من المشتغلين بأعمال البورصة أصحاب الثروة المتوسطة وقد  
أتوا الى هذا المكان طلبا للراحة من عناء الأشغال مدة من الزمن ثم  
يعودون بعد ذلك الى أعمالهم الشاقة وبعد ربع ساعة من مزاولة هذا  
المكان وصلنا الى فندق سانتينيل (Sentinel) وسمى بهذا الاسم لوجود  
صحرة قريبة منه معروفة باسم الحارس (سانتينيل) وهذا الفندق مبنى  
من الأخشاب على طراز (البالجيالوب) فاختر لنا غرف ليست ذات  
زخرف ولكنها جميلة وقد أعجبنا مناظر هذه الجهة فإن موقع الفندق

كان على نهر عظيم يسمى مرسيد ريفر (Mersed River) يتدفق ماؤه الصافي بسرعة كبيرة وحينما وجه الانسان نظره لا يرى أمامه الاخضرة تكسو سطح الأرض أو ماء صافيا يجري إلى جهات مختلفة وأظن أن هذا الوادى لا يماثله واد آخر لأنه جمع كل المناظر البديعة فينا يرى الانسان مجرى النهر وما حوله من النباتات المختلفة الشكل واللون والأشجار الخضراء الناضرة التي لا يذانيها شجر في نضرتها ووروقها البهي يرى جبالا مرتفعة تشرف على الوادى من الجهتين وتسقط من أعلاها مياه عظيمة كسباتك من فضة لامعة تجري على البساط السندى وتنصب في هذا النهر العظيم الاساع فكاننا كما في متنزه كبير منسق أحسن تنسيق لا يمكن الانسان أن يتصور أجمل منه .

وقد رأينا بجانب هذا الفندق مكتبا للطرق الحديدية وآخر لرئيس المركز العسكرى ونحمة دكا كين للتصوير بالمصور الشمسى (الفوتوغرافية) ومجلا نلياط ودكانا للبقالة وهذا كل ما في هذا المكان .

وقد وصلنا الى الفندق نحو الساعة ١١ و ٥ دقيقة فلم يبق لنا من الوقت الا مايسع غسل أيدينا وتناول غداثنا وبعد الظهر ذهبنا في عربة الى ضواحيها فمررنا على مكان به ما يزيد عن المائة خيمة يدير شؤونها ويؤجرها للسائحين صاحب الفندق الذى نزلنا به ويدعى

هذا المكان معسكر كاري (Camp Curry) أما أجرة السكن في هذه النجيم قليلة بالنسبة لقيمة الفندق ولذا لم يكن سكانها من الأغنياء ولما كانت هذه الجهة مجموع غابات تملكها الحكومة أدت لمن يريد أن يضرب خيمته في المكان الذي يحلوه ليقم فيها المدة التي يريد بها بدون دفع أجر فكان نرى بين وقت وآخر خيمة أو أكثر تحت ظل الأشجار تسكنها أسرة أو عدة أسر فتتمتع بالمعيشة المأدبة وتتقل اذا أرادت الى مكان آخر حيث تطيب لها الإقامة تشبها بمعيشة البدو الصحية الساكنة . ذهبنا بعد ذلك لرؤية جزيرتين يطلق عليهما اسم (هاني إسلاند) (Happy Island) يصل اليهما السائح بواسطة جسرين جميلين فأعجبنا موقعهما وهما في وسط النهر العظيم ومنهما انتقلنا إلى مكان به ألوف من الصخور وقد علمنا أنه كان مأوى هنود أمريكا يختبئون فيه اذا خزيهم أمر للدافعة عن أنفسهم من إغارة الفاتحين لبلادهم وطلبا حصلت حروب هائلة بين الجنس الأحمر والجنس الأبيض انتهت بفوز الأخير وطردهم من هذه البقعة واستنصالحهم من هذه الجهة إذ الذين سلبوا أنفسهم وقبلوا أحكام المغيرين فأمنوا على أنفسهم بعض الأمن واستخدم بعضهم عند الجنس الأبيض في خدمات حقيرة والبعض الآخر لم يزل مختبئا بين الصخور يقتات من حشائش

الأرض وأسماء النهر وأغلبهم من بقايا قبائل الشوشونية (Shoshones) الوحشية. مررنا بعد ذلك على الاصطبلات التابعة للفندق سانتينيل وهي تسع ثمانين بغلا ومحسين حصانا كلها معدة للسائحين بأجرة معلومة ومنها ذهبنا الى معسكره مائة وثمانون جنديا غير الضباط وعملهم مقصور على حراسة هذه الجهة وما فيها وقد كان رؤساء فرق هذه الجنود وكذا الضباط يسكنون متعزلين عن باقي الجنود في مساكن مصنوعة من الخشب (Chalets) أما رئيس هذه القوة فهو ماجور ويسكن بمركز هذا المعسكر القريب من الفندق وبعد ذلك وصلنا الى أسفل جندل يوزميت (Cascade de Iosmit) وماؤه يسقط من ارتفاع ٧٦٠ مترا وهو مقسم الى ثلاث طبقات الطبقة الأولى عمودية وتسمى الجندل الأعلى وطولها ٤٣٨ مترا في عرض ١٠ أمتار ثم تلاقى مسطحا صغيرا في الجبل فتتفرع الى جملة فروع صغيرة وتسقط جميعها عمودية من ارتفاع ١٩١ مترا ويطلق على هذه الطبقة الجندل الوسطى ثم تصادف مسطحا آخر وتسقط ثانيا من ارتفاع ١٣١ مترا وتصب في النهر وهذه الطبقة الثالثة تسمى الجندل الأخيرة مجموعها اذاً هو جندل يوزميت وهو أعظم جندل من جهة الارتفاع على وجه الأرض وقد كنا نرى في كل جهة لوحة

مكتوبا عليها ( ممنوع صيد الأسماك قبل أول يولييه ) وذلك للحفاظ على الأسماك الصغيرة وقد علمنا أن أنواع السمك توجد بكثرة في نهر مرسيد المذكور . مكثنا قليلا قرب هذا الجنتل العظيم ثم عدنا الى الفندق واستفهمت من مديره عما ينبغي زيارته غدا فأخبرني بضرورة رؤية بحيرة المرأة (Le lac miroir) والذهاب إليها يكون بالعربة ومنها إلى أمكنة الثلوج (Glaciers) ولكن لوعورة الطريق لا يمكن للعربة الاستمرار في السير من بعد هذه البحيرة ولا يمكن أيضا الإنسان أن يصل إلى هذه الثلوج سائرا على الأقدام لبعدها العظيم فلا بد دون الوصول أن يمتطي ظهور البقال أو الخيل وهذا ما وجدته شاقا ومتعبا فقررت الاكتفاء بزيارة البحيرة

في الساعة ٨ من صباح يوم السبت ( ٨ يونيه ) ركبتا عربة ومرنا في طريق للذهاب إلى البحيرة فصادفنا دبا وحشيا صغيرا يجرى في وسط الأشجار فأوقفنا عربتنا وزلتُ مع خيرى بك ثم لحقنا مصطفى بك لعلنا نراه من كَثَب ولكنه ذهب كالسهم مختفيا الأشجار التي كانت تحتها شجيرات وفروع يابسة متواشجة تجعل المرور بينها صعبا جدا فلم نره وغاب عن أعيننا فعدنا إلى عربتنا واستمرنا في طريقنا إلى أن وصلنا إلى هذه البحيرة وهي على بعد ستة كيلو مترات ونصف

من شمال فندقنا فرأينا ماعها صافيا ساكا وحقيقة وجدناها كالمرآة  
ترى فيها صور كل ماحولها من جبال وأشجار وغيرها وهي على صغرها  
إحدى عجائب الدنيا فيؤمنها كثير من السائحين ولا يرى الإنسان على  
سطحها أقل حركة تعكس هذا الصفاء فاسمها مطابق لاسمها وبعد أن  
سرنا على شاطئها نمتع نظرتنا بهذا الجمال مشينا على الأقدام إلى الأمام  
وصادفتا جندلين وكلما توغلنا حلا لنا المنظر فعدنا مسرعين إلى العربة  
لنذهب بنا إلى اصطبلات الفندق لتؤجر التواب وننخذ دليلا  
يوصلنا إلى أمكنة التلوج حتى لا يفوتنا رؤية جمال الطبيعة التي سحرتنا  
وجعلتنا ننسى كل تعب ولما وصلنا إلى الاصطبلات قيل لنا إنه  
لا يمكننا الوصول إلى ما نريد قبل ثلاث ساعات وقد كانت الساعة  
وقتش العاشرة أى أننا نصل إليها نحو الساعة الأولى بعد الظهر  
والعودة تكون من طريق آخر أبعد من الأول ويُقطع عادة في أربع  
ساعات ونصف فشدة إعجابي بالمناظر التي رأيتها جعلتني أصمم على  
الذهاب إليها مهما صادفتا من المشاق ولما كان الفندق قد أعد مكانا  
هناك لراحة السائحين وتناول طعامهم فيه وأنشأ سلكا تلفونيا بيننا  
وبينه ركبنا عربتنا وذهبنا مسرعين إلى الفندق وتكلمنا تلفونيا مع  
عامل الفندق المقيم بتلك الجهات التلجية فأخبرناه بأننا سنحضر قرب

الساعة الواحدة إلى أمكنة الثلوج حتى يهبط لنا طعامنا وبعد ذلك أخذنا معنا بعضا من الساندويتش ثم عدنا إلى الإصطبلات وركبت أنا ومصطفى بك بغلين وركب القليل وخيرى بك جوادين فكنا قافلة صغيرة قائدنا الدليل وآخوها خيرى بك ومع أنا بذلنا غاية الجهد فى الاستعداد لتسرع فى المسير لم يتيسر لنا مغادرة الإصطبلات قبل الساعة العاشرة والنصف وبعد أن مشينا قليلا وجدت دابى بليدة بطيئة السير جدًا فتبدلت بها دابة مصطفى بك حتى لا أتعب من حثها بالضرب وأتبعنا طريقا ضيقا جدًا تمر منه الدابة بعد أن تلاقى ماتلاقى من المشقة وقد اختاره دليلنا لأنه أقرب طريق يوصلنا إلى غايقتنا فى الميعاد الذى حددناه لتناول الغداء . وبعد ساعة من المسير وقف دليلنا بغتة وأخذ يكلمنا وكان غرضه من ذلك أن تستريح الحيوانات قليلا وكلما تغلغلنا فى الطريق تزداد الصعوبة وتكثف المشقة على الدواب لأننا فى سيرنا صاعدين فصار دليلنا يقف بنا قليلا كلما قطعنا جزءا من الطريق لتستريح الدواب حتى صرنا على ارتفاع هائل من الوادى وصار الناظر كلما رى ينظره إلى ذلك الوادى السحيق تخفى له مناظر الطبيعة الجميلة ولكن ضيق الطريق المخوف بالخطر والخوف من الهوى لا يمكن الراكب من أن يملا عينه من هذا الجمال النادر فإنتنا



كما نسير على شرفات الجبال ونحتا هوة هائلة رائعة - وصلنا إلى مكان يرى منه الإنسان عن قرب جندل يوزميت كله فازدادت عظمته في أعيننا ثم استمرنا في طريقنا فإذا نحن أمام ركب من السائحين ينزلون ممطين ظهور بغالم ومتبعين الطريق الذي نسير فيه فما العمل إذا ولا بد أن نخلى لهم الطريق فأراد دليلنا أن يداعبنا بلطائفه فأوقفنا إلى جهة الهوة أى على حافة الجبل فوقتنا على شفير تلك الهلالية وأذن للركب أن يمر آمنا مطمئنا فأقل مصادمة كانت يتبعها السقوط في قرار عميق ولكن الله سلم وعدنا نسير إلى الأمام صاعدين ومتبعين طريقا كله انعطافات وبيننا نحن في طرف منعطف وإذا ببغليين وجوادين مطلقين يسوقها أمامه دليل هندي وهي تعدو أمامه بجميع قواها فتجسم أمامنا الخطر بكل معانيه فأمرع دليلنا ونزل من فوق ظهر جواده وسلم عنان جواده لسانح كان يصعد معنا راجلا وقد حذوت أنا حذوه ونزلت من فوق دابتي وجعلتها بيني وبين تلك الهلالية أما سابق تلك المطايا المطلقة فانه أخذ يعدو راجلا لعله يمنع الخطر ولكن ذات الوقت واختلطت دوابه بدوابنا وقد زاد الطين بلة أنها كانت تقمص وترفس فأصابنا دليلنا رفسة آلمته وداس جواد على قدمي ولم أشعر إذ ذاك بالألم لول ذلك الموقف الذي ينسى الإنسان

نفسه وقد سقطنا كلنا على الأجار وأصابنا من الرضوض ما أصابنا ولكنا حمدنا الله الذى سلبنا من مهلكة كانت فافرة فاهما لتبتلعنا وكاد يعظم الخطب لولا مساعدة بعض السائحين الذين أتوا لخلاصنا بضبط هذه الحيوانات الشاردة وبعد أن مررت هذه الحادثة أخذ بعضنا ينظر إلى بعض نظرات الدهول وكانت حالة مصطفي تدعو إلى الشفقة وصار يقول إن الحياة ثمينة فالى وهذه المصاعب ولم ألقى بنفسى إلى التهلكة ثم امتطينا ظهور دوابنا وسرنا مجتدين فى السير إلى أن وصلنا إلى قمة الجبل فى مكان يدعى نقطة الوحي أو الالهام (Inspiration Point) وهى أرض واسعة مبسوطة فوق ظهر الجبل أقيم على أطرافها سياج من حديد حتى يأمن السائح إذا اقترب من حافة الجبل ويرى من الوادى من ارتفاع نحو ١٧٠٠ متر وذلك المكان جدير بأن يسمى بهذا الاسم لأن الواقف يشاهد أجمل منظر فإن الجبال التى تحيط بالوادى تكسوها الأشجار ويخللها ألوان الصخور المختلفة وتسقط من رؤسها المياه العظيمة فتكون على سطح الوادى المكسو بالأعشاب والزهور نهيرات تصب فى نهر عظيم يجترق هذا الوادى فاذا كان الواقف شاعرا مجيدا قلن مجموع هذه المناظر توحى اليه ما توحى فيهدى إلى عشاق الخيال الشعرى بديع تصوراته وخيالاته فى وصف هذا

المكان الجميل فيتلذذ القارئ من تلك الصور الشعرية الصادرة من تأثير الجبال فتمنيت لو كان معنا أشعر شعراء لغتنا العربية المحبوبة حتى يرى بنفسه مآثره ويترك لقريحته الوقادة عثتها فيتصف بأبناء أمتنا بما أملت عليه عجائب الطبيعة وآثار القدرة الالهية فيكون أثرا خالدا مدى الدهر تتداوله الأيدي فتتمو الأفكار العالمة وتصفو الأخلاق وتمتلئ النفوس شعورا بجمال الطبيعة وعظمة قدرة الخلاق فيزداد اليقين . بعد إلقاء هذه النظرة مشينا في أرض مبسطة بين مروج نضرة مئة عشرين دقيقة فوصلنا إلى فندق جلاسيه (Hotel Glacier) وهو منزل مكون من جملة غرف مصنوعة من الأخشاب وكان وصولنا إليه نحو الساعة ١٢ و ٣٠ دقيقة فكاننا قطعنا المسافة مع الحلقنا من دواعي التأخير في أقل من ساعتين بغلسنا قليلا في ردهة تطل على مناظر بديعة ولما حل ميعاد الغداء ذهبا لتناوله في غرفة ساذجة ولكنها منظمة وكانت نخدمنا خادمة تتكلم جيدا باللغة الفرنسية فبذل كل مجهودها في إحضار غداتنا على عجل ثم انتقلنا إلى ردهة أخرى وكاننا ننتمتع نظرا أثناء تناولنا القهوة برؤية الثلوج المترامية على رؤس الجبال وبعد ذلك نخرجنا ومشينا على أقدامنا إلى أن وصلنا إلى صحرة بارزة من طرف الجبل وقدرأبت

فى أحد الرسوم المعروضة للبيع صورة حمار وبجانبه سائح وفى رسم آخر أحد المشهورين بالألعاب الرياضية تمثله وهو يلعب على الصخرة مايسمونه ايكيلير (Eckilber) ولم يخش سقوطه فيها من جراءة أعداء جنونا ومخاطرة أما أنا ومصطفى بك فلم يمكننا أن نقرب ونمشى الى نهاية طرفها . عدنا الى ذلك الخوص (الكشك) ودوناً أسماءنا فى الدفتر المعد للزائرين ثم امتطينا دوابنا لنعود الى فندقنا وصرنا فى طريق لا يتخذ كثيراً مدة نصف ساعة الى أن وصلنا الى شجرتين كبيرتين فرأينا نعل جواد قد ألصق فى احدهما بمسافر فقال دليلنا هذا النعل هو تذكار لحادثة وقعت فى شهر أغسطس من السنة الماضية وهذه الحادثة هى أنه كان تسعة أشخاص واقفين تحت هاتين الشجرتين يتقون بهما الأمطار الشديدة وبجانبيهم دوابهم فزلت صاعقة صعقت الدواب وقتلتها ولم ينحصر لأولئك الأشخاص أذى فسيحان المنجى . استمررتا فى طريقنا الى أن وصلنا الى مجرى ماء تخضناه ولم نصادف إلا بعض سائحين قافلين وهم راجلون . رأينا فى طريقنا جنادل ايليلويت (Illilonettes Falls) وهى عظيمة أيضاً ثم أخذنا نصعد ثانية الى أعلى جبل لزيارة جندل (Nevada) نيفادا وهو أكبر من الجندل السابقة وبعد ذلك عدنا للترول ثانيا وقد تعبت

دوابنا من توالى الصعود والتزول ولقينا صعوبة كبيرة فى حملها على  
المسير ثم وصلنا إلى سهل يجرى فيه نهر وهو المكنون لجنجل فيرنال  
(Vernal Fall) وأثناء السير كنت أرى أن مصطفى بك يحرك كثيرا  
على مرجه حركة الضجر فسألته عن السبب فأجاب ان السروج  
الأمريكية صلبة لالين فيها ومؤذية وهو يفضل أن يمشى على رجله  
على أن يستمر راكبا فأخذت أسليه بأن الباق لنا قليل فليصبر الى  
النهاية ولكن بعد الجنجل الأخير صادفتنا نزولنا انحدارا كبيرا وما  
أصعب المرور منه فقال كلما قوى رجلاؤنا فى التخلص من هذه العقبات  
يأتينا شئ جديد مخيف فكأننا لسنا طلاب رياضة وترويح نفس  
بل كأننا مكتشفون تركنا أنفسنا للقادر . وصلنا الساعة ٥ و ٣٠ دقيقة  
إلى أسفل الجبل وكانت عربة (شارابان) بانتظارنا من الجهة الأخرى  
من جسر (كورى) جزيرتى هاى (Happy Islands) فركبناها ولما  
استقرينا الجلوس وجدنا القمام غطى ملابسنا أما وجوها وعيوننا  
فلها تغيرت وصرنا شعنا غبرا من كثرة ما علا وجوها من القمع المثار  
وعجبنا كل العجب لما وجدنا بنطلوناتنا وأحذيتنا لم تتقطع لأننا كنا  
فى أغلب الأحيان نمرين أشجار ذات أشواك حادة كأنها القناد وعند  
وصولنا الى الفندق خلعتنا ما علينا من الثياب وأبدلتها بغيرها بعد أن

نفضنا الغبار المتراكم علينا فزال بعد عناء وجهد وقد سارعت إلى الخروج من غرفتي حتى لا أظهر بمظهر التعب وذهبت إلى ردهة الاستقبال التي كانت اذ ذلك خالية من السائحين وأخذت أضرب على البيانو . أما مصطفى بك فانه ذهب الى المصور ليأتي من عنده بصورة له وهو على ظهر أتان ولما أتت الساعة ٣.٠٦ دقيقة ذهبنا إلى المطعم وبعد تناول طعامنا أسرعنا الى غرفتنا طلبا للراحة والنوم .

ولما أصبح يوم الأحد (٩ يونيه) ذهبنا أولا إلى مكتب الطرق الحديدية لأكون على علم من وجود محال خالية بالقطار الذي يسافر في يوم ١١ يونيه ثم عملا بمشورة مدير الفندق أوصيت على عربة خصوصية قبل ميعاد قيام السائحين بنصف ساعة للذهاب إلى فوفونا (Wawona) حتى لا يصيبنا ما يؤذي من الغبار الذي يتصاعد من سير العربات . قضينا الوقت الى أن حل ميعاد الرحيل وهو الساعة ١٢ و ٣٠ دقيقة ما بين كتابة مذكرات رحلتى واستراحة قليلة على الأقدام وقبل أن تفارق الفندق شكرت لمديره لما لقيناه من الاعتناء بنا وما وجدناه عنده من أسباب الراحة بالرغم من بعد هذا المكان وقد أظهرت له سرورى وإعجابى بموقع هذه البلدة الصغيرة وتمنيت لها مستقبلا حنا خصوصا اذا اعتنت بتحسين حالها الحكومة

الأمريكية أكثر مما هي عليه الآن ولا أرى سبباً لتركها على حالتها بدون زيادة الاعتناء بها مادامت هي مورداً لزيارة السائحين لجمال موقعها وجودة هوائها ثم افترقنا وأخذ كل منا مكانه في العربة ومشينا في نفس الطريق الذي أتينا منه إلى البورتال . وبعد مدة من الزمن وصلنا إلى مَنعطفٍ جهة الشمال مشينا منه وابتدأنا في الصعود وصار الحوذاني يقف بنا بعد كل خمس دقائق دقيقة لراحة الخيول وقابلنا أثناء سيرنا ضابطاً وسيدة راكبين جوادين ووراءهما عسكري وسيدة أخرى ثم صرنا نرى كثيراً من المتنزهين والمتنزهات خصوصاً في الموقع الذي يسمى مكان المصور المبدع (Point de vue de l'Artiste) وهو أعلى مكان يرى الإنسان فيه مناظر الوادي الجميل وقد أتت إليه جملة من المتنزهين ومعهم غداؤهم وفي هذا المكان لابد أن يجلسوا الجلوس ويعظم اشتهاؤهم الأكل وقد استحسننا اختيارهم قضاء يوم راحتهم في هذا الموقع ووددنا لو كان عندنا من الوقت منسج لنشاركهم في سرورهم ونجلس ولو قليلاً معهم ولكن المسافة التي يلزم قطعها طويلة فاكففنا أن نلقى نظرة عامة على هذا الجمال وواصلنا السير إلى أن قطعنا عشرة أميال ثم انتقلنا من الصعود إلى النزول وحثت الخيول فأمرعت بنا ونحن نقول عسى أن لا تصادفنا عربة في طريقنا ولكنا

لم نتم حديثنا حتى التقينا بعربة في منعطف من الطريق الضيق فأردت النزول لمساعدة الحوذي في اقتياد خيوله الأربعة التي كانت تجر عربتنا فلم يقبل وقال انتظر سترى واذا بالخيول تحركت ووقفت على حافة الطريق وفتح طريق لمرور العربة الأخرى وقد قل لنا سابقها ان ثلاث عربات آتية وراعه فانتظرناها الى أن مرت ثم واصلنا سيرنا فصادفنا عربة أخرى خالية من الركاب فرت من جانبنا من الخارج بسرعة عجيبة وقد رأيت بعيني العجلة الأخيرة تدور في الهواء على حافة الطريق فشرعنا بمقدرة هؤلاء الحوذيين وعظم جسامتهم وبعد بضع دقائق وقف بنا سائق عربتنا أمام خص (كشك) كبير مهمل وعلى بعد بعض أمتار منه خايتان مملوءتان ماء فترك الخيول لتشرب منها ثم أعاد السير فقطعنا ثلاثة أميال أخرى ووصلنا الى المحطة التي يغير فيها الخيول وهي عبارة عن اصطبل يسع نحو الخمسين فرسا وهو في منتصف الطريق الموصل الى فوقوتا وعند وقوف عربتنا أسرع اليها بعض الخدام خاضوا خيول عربتنا وأبدلوها بغيرها أما نحن فنزلنا قليلا لازالة ما لحقنا من تراب الطريق وبعد ذلك عدنا وأخذنا مكاننا وسارت بنا العربة وقال لنا سابقها اننا قطعنا الى الآن أربعة عشر ميلا ولم يبق علينا الا ثلاثة عشر ميلا ولما كنا نسير في طريق



منعذر والخيول كانت قوية كان السير سريعاً وصرتنا ننظر ما حولنا فكنا لانرى في الغابة إلا أشجاراً بعضها محروق والبعض الآخر مورق وقد مررنا على جملة مجارى مياه كانت تعبرها الخيول بدون تعب الى أن وصلنا الى باب كبير مرمر نامنه وهو حد وادى اليوزميت (Yosemite Vallée) فالتفت إلينا سائق العربى وقال من هنا تبدئ الأملأك الخصوصية وكل مقاطعنا كان فى أرض مملوكة للحكومة وقد قال لنا ان الفندق الذى ستزل فيه يتبعه ٢٠٠٠ هكتار من الأراضى وان ثمن الهكتار الآن عشرون دولاراً فقلت لرفيقى لو كنت أمريكياً لاشتريت جزءاً عظيماً من هذه الغابات وجعلته متنزهاً أحضر اليه ومعى أصحابى لقضاء شئ من الزمن فى هذا السكون التام فان الطقس فى هذه الأمكنة جميل والهواء عليل ورائحة الأشجار والزهور الطبيعية تنبعث فيستنشقها الانسان بلذة أما تغريد الطيور وحرير المياه فانها تشرح القلب وتجلى عنه الهموم . مررنا بعد ذلك أمام حصن (كشك) صغير وبجانبه خيمة بها نقطة عسكرية لحراسة مدخل وادى اليوزميت ثم ابتدأنا تسير فى سهل عظيم الاتساع الى أن وصلنا الى الفندق الذى ستزل به وهو مجموع منازل صغيرة محاطة من كل جهة بالمتنزهات والحدائق فقابلنا على بابها مديرها وأوصلنا الى غرفتنا فى أحد هذه المنازل وبعد

ذلك طلبنا ماء ساخنا لازالة الغبار الذى علق بأيدينا ووجوهنا وبعد أن استرحنا قليلا ذهبنا إلى مكتب المدير للاتفاق معه على المزارات التى يلزم زيارتها وبعد أن أتممت ذلك جلست مع رفيق فى ردهة الفندق الأمامية لرؤية السائحين الآتين وراءنا من اليوزميت وبعد نحو نصف ساعة حضروا فرأيناهم والتراب يكسو أجسامهم والتعب ظاهر عليهم وفى الساعة السابعة مساء تناولنا العشاء ثم خرجنا من الفندق لنسير قليلا على أقدامنا فوصلنا إلى مكان ترعى فيه أبقار الفندق وخنازيره وبعد رياضة قليلة عدنا إلى غرفتنا وختمنا نهارنا

فنا مبكرين يوم الاثنين ( ١٠ يونيه ) وكان البرد شديدا جدًا وانتظرنا لغاية الساعة التاسعة صباحا فأتت العربة التى كنت أوصيت بإحضارها فركبناها للذهاب إلى الأشجار الكبيرة وبعد أن تركنا الفندق ابتدأنا نصعد فى طريق ضيق وودى للغاية بين غابات كثيفة ولم نر شيئاً يستحق الذكر مدة ساعة من الزمن الى أن وصلنا الى كوخين صغيرين يسكنهما بعض الفلاحين فأوقف السائق العربة وسقى خيوله ثم أعدنا السير وبعد مسير بعض كيلو مترات صرنا نسمع صفيرا كهفيرا قاطرات الطرق الحديدية فلستفهمنا من السائق عن مبعث هذا الصوت فقال لنا ان هذا صغير آلات قطع الأشجار وقد اشترى هذه

الغابات بعض الأغنياء وهم يتاجرون في أخشابها فصرنا كلبا تغفلنا في هذه الغابات رأينا علامات الخراب فلن حب الثروة قضى على هذه الأشجار والغريب أنه لا يراعى في تقطيع غابات أمريكا النظام المتبع في أوروبا فهنا تقطع الأشجار في كل مكان بدون ترتيب بحيث إن الغابة تصبح مشوهة وتفقد جمالها كله ولا يسأل صاحبها عما يفعله فله الحق في قطع ما يشاء ولو كان ذلك يضر بحالة الغابة وليس الحال كذلك في أوروبا فإنه جعل نظام خاص وقوانين دقيقة للغابات فالحكومة تعين الأمكنة التي يمكن قطع الأشجار منها ولها مراقبون يحافظون على حياة الأشجار الصغيرة منها لتنمو وتأخذ مكان الأشجار التي قطعت وبعد أن ينتهي قطع الأشجار في المكان الذي عينته الحكومة يترك المدة القانونية وينقل القطع إلى مكان آخر فيهذه الطريقة لا يرى الإنسان في غابات أوروبا ما نراه الآن هنا من الخراب وعدم النظر إلى حياة الأشجار الصغيرة ولم أعلم عدم مراعاة الحكومة الأمريكية لهذه القوانين إلا بكثرة الغابات واتساعها بأمريكا ولكن حتى التشديد لتربية الأشجار جعلني أنكر إطلاق الحرية لأصحاب الغابات إلى هذا الحد فصرت كلما مررت على مكان لحقته أيدي الخراب أتأسف كثيرا .

لقينا كثيرا من العمال الذين يقطعون الأشجار وأغلبهم كانوا إيطاليين أما طريقة نقل الأشجار بعد قطعها فهي سهلة جدا وذلك بأن يأتوا بأشجار بعد قطع أغصانها ويكونوا منها خطا مستقيما من دوجا ممتدا على الأرض إلى قرب المكان الذي يراد قطع الأشجار منه فتقل الشجرة المقطوعة وتوضع على هذا المزلق وبواسطة آلة بخارية لها حبل طويل من الصلب يقرب طولها من ميل وسمكة بوصتان تقرب الشجرة بهذا الحبل وتدار الآلة فتجر الشجرة إلى الأسفل على الجرى حتى تقرب من الآلة فتربط الشجرة في حبل آلة أخرى وهكذا إلى أن تصل إلى معمل تشذيب الأشجار ونشرها وبعد التشذيب والنشريط الخشب في مجرى نهر يوصلها إلى مكان قرب مدينة فتخزن ومنه ينقل بالطرق الحديدية إلى الجهات المختلفة وقد علمنا أنه بواسطة الأنهر يمكن نقل الأخشاب إلى مسافة خمسين ميلا .

قربنا من مكان الأشجار الكبيرة (ماريوزا هروف أوف بيج تري) (Mariposa Grove of big trees) ومررنا من باب كبير مكتوب عليه تابع يوزميت فاللي يشبه الباب الآخر الذي خرجنا منه قبل الوصول إلى فندق فوفونا وأمامه أيضا مركز عسكري وهو معد لحراسة الغابة وبه صف ضابط وثلاثة عساكر والظاهر عليهم أن أشغالهم ليست

كثيرة ولذا رأيناهم اقتنوا في انشاء طرق صغيرة مرصوفة بالأشجار المختلفة الألوان حول خصمهم (كشكهم) الصغير وبعد أن تركناهم بنحو خمس دقائق وصلنا إلى وسط الأشجار الكبيرة الهائلة ولا يظن القارئ أن المراد بكبرها أنها طويلة عظيمة الارتفاع فقد رأينا بعض الأشجار التي لاتعد من طبقتها أطول منها بكثير بل المراد بكبرها أنها بلغت من العمر عتيا حتى صارت ضخمة جدًا فأغصان بعض تلك الأشجار أضخم من الأشجار العادية التي يستعملها من لم يشاهد تلك الأشجار الكبيرة فررنا أولاً على ثلاث شجرات هائلة في مدخل الغابة اسمها الحزاس الثلاثة ثم رأينا على بُعد منها شجرة يابسة ملقاة على الأرض لا يمكن لمن لم يرها أن يتصور مقدار كبرها فإن جذعها إذا مر بجانبه فارس ووقف على ظهر جواده ورفع يديه فلا يمكنه أن يمس غايته وكفى لإظهار جسامه هذه الشجرة أن رأينا في أحد الرسوم المعروضة للبيع عربية يجرها فرسان فوقها فتحتها شارع يسع مرور العربات فأمرعنا إلى الصعود عليها وصورت بألة التصوير صورة لرفيقي فلم تكن صورتها بالنسبة لصورة جذور الخدع شيئاً مذكوراً وهذه الشجرة يطلق عليها اسم الملك المخلوع أو أب الغابة (Le roi détroné ou le père de la forêt) وكان ارتفاعها بالغاً على

ما يقال ١٣٣ مترا وطول محيطها خمسة وثلاثين مترا أما نوع هذه الأشجار فإنها تشبه أشجار الصنوبر ولكن حجم إحداها يبلغ نحو أربعة أمثال حجم شجرة الصنوبر وقد رأينا أن جلعها محروق من أسفله وأظن أن ذلك ناشئ من عدم العناية بحراستها وقبل ستين سنة كانت الهنود تضرع النار فيها عمدا . استمر سائق عربتنا في طريقه إلى أن وصلنا إلى شجرة نُحِت في جوفها فوق ارتفاعه ٣ أمتار وعرضه كذلك فمرنا من هذا النفق بعربتنا دون أن نصادف عائقا وكان طوله ثمانية أمتار وتسمى هذه الشجرة كاليفورنيا (California) فقال لنا السائق انتظروا فسترون ما هو أعظم منها وحقيقة عند ما وقف بنا أمام الشجرة المشهورة باسم جرizzly (Grizzly Giant) اعترتنا الدهشة من جسامتها فإن ارتفاعها يبلغ الثمانين مترا ومحيطها ٣١ مترا وقطر محيط دائرتها تسعة أمتار وعلى بعد ستين مترا من الأرض رأينا أحد فروعها عموديا عليها فقد نشأ من اتصاله بها زاوية قائمة وهو ضخيم جدًا يبلغ قطر دائرته مترين على الأقل فزلنا ووقتا بجانبها فشعرنا بضعفنا أمامها وتعجبنا من قوة الأرض وكيف تُثبت مثل هذه الأشجار النادرة ولما رأى سائق عربتنا ما نحن غارقون فيه من لبح العجب قال لنا اركبوا فسأريكم أيضا أعظم منها فشى بنا في الطريق الموصل إلى أعلى الغابة (Upper Grove)

فوجدنا بها مئات من هذه الأشجار الكبيرة فألقت نظرنا إلى ثلاثة منها  
يسمونها شجرات الرحمة (Les trois graces) ثم إلى اثنتين إحداهما  
ملتحمة بالأخرى ويطلق عليهما اسم الأمينتين (Les deux fidèles)  
وهكذا صار يشير إلى كل شجرة ويذكر لنا اسمها فلم يترك أحد من  
مشهوري عظماء الأمريكيين سواء كان من أعظم قوادها أو من  
فطاحل كتابها أو من دهاة حكامها أو من رؤساء جمهوريتها إلا وسميت  
شجرة باسمه كذلك أسماء المدن العظيمة الأمريكية أطلقت على بعض  
أشجار منها كمدينة سان فرانسيسكو ونيويورك وغيرهما . ولما أن فرغنا  
من رؤية هذه العجائب ذهب بنا السائق إلى خص في وسط الغابة  
أجرته الحكومة لشخص يديره ويبيع فيه صور الأشجار وأوعية وعصياً  
مصنوعة من خشبها بـفلسا في مكان جميل ووضعنا بيننا ما أحضرناه  
معنا من غداتنا وأكلنا واشتاء ثم قدم لنا صاحب الحصص قهوة لذيذة  
فشريناها وفي نحو الساعة الثانية عشرة والنصف عدنا إلى عربتنا  
وسارت بنا إلى أعلى قمة في الجبل فوصلنا إليها وإذا هي على ارتفاع  
٧٥٠٠ قدم من سطح البحر فألقينا نظرة على ما يكتنفنا فأعجبنا رؤية  
الجبال المكسوة بالأشجار ثم مرنا إلى شجرة تدعى قوفونا (Wawona)  
وهو اسم الوادي الذي به الفندق الذي نحن نازلون به ثم ذهب بنا

إلى شجرة تدعى التيليكوب ( المنظار المعظم ) وحقيقة ينطبق هذا الاسم على المسمى فإن قلبها كان خالياً فنزلنا ودخلنا في جوفها ونظرنا فوقاً فرأينا السماء ولا يستغرين القارئ ذلك فلنبا كانت أحرقت فلم تؤثر النار إلا في قلبها فجعلته رماداً ومع توالى الزمن وتأثير الأمطار مع قيامها على هيئة عمود صار هذا القلب المحروق ينساقط شيئاً فشيئاً إلى أن آلت إلى هذا الشكل واستحقت اسم التيليكوب . أتمنا رؤية الأشجار الكبيرة الهائلة وأمرنا سائقنا أن يعود بنا إلى الفندق وفى الطريق قابلنا ثلاث سيدات تحت شجرة وكانت إحداهن راقدة على الأرض وقد خلعت ثيابها وكشفت عن رجليها لأنهن قطعن الطريق من يوزميت فأتى إلى هنا راجلات فلقين من سفرهن هذا نصبا فلم تستطع إحداهن من شدة الإعياء الاستمرار على المسير فألقت بنفسها على الأرض تحرسها زميلتها حتى تصادفهن عربة فتحملهن إلى مكان أمين . عدنا إلى الفندق بعد ساعتين من قيامنا من المكان الذى تناولنا فيه غداءنا وقد كنا قطعنا هذه المسافة فى الذهاب فى أربع ساعات وذلك لأنه فى العودة كان الطريق منحدرًا جدًا فأنجلى تسرع فى السير .

إن هذه الاستراحة قد شرحت صدورنا بما شاهدناه من عجائب



خلق الله ولو أن طريقها كان متعباً جداً والتعب كان يشور علينا كثيراً  
فإن رؤية هذه الأشجار الضخمة الهائلة تنسى الإنسان كل ما لقيه من  
النصب .

قضينا وقتنا بعد هذه الرياضة في إمامة مالحننا من التراب ثم في كتابة  
مذكرات رحلتى إلى أن أتى موعد العشاء فتناولناه ثم خرجنا وجلسنا  
في ردهة الفندق وقابلنا الوافدين من السائحين من يوزميت قالى فكان  
عدهم خمسين أتوا راكبين في خمس عربات ويجرد وصولم انفصل  
منهم ست سيدات وثلاثة شبان ركبوا سيارتين أعدتا لهم دون أن  
يتناولوا شيئاً من الطعام وساروا في طريقهم وقد أخبرنى مدير الفندق  
أن هذا الجمع كله تلاميذ وتلميذات ولا يعرف أحد منهم الطريق  
ولم يكن معهم من يرشدهم اليه فلم أستغرب هذا الجنون وهذه  
المجازفة منهم فإن الطيش أعمى بصيرتهم .

دخلنا بعد ذلك في بهو فوجدنا آتسة قد بلغت غاية الجمال تعزف  
على البيانو فلذ لنا السماع وقد يحلو للإنسان سماع صوت الموسيقى  
خصوصاً في الأمكنة الهادئة ثم ذهبنا إلى غرفنا مسرورين ونمنا وأصبحنا  
في يوم الثلاثاء ١١ يونيو مستعدين للسفر إلى سان فرانسيسكو وكان الميعاد  
المحدد لقيامنا منتصف الساعة الثانية عشرة قبل الظهر فقضينا وقتنا

في رياضة على أقدامنا حول الفندق كما في خلالها نرى السائحين  
الذاهين إلى الأشجار الكبيرة وكابة مذكراتي وقبل أن يحل ميعاد  
السفر أكلنا ما طالب لنا من الطعام وفي الساعة المحددة ركبا عربتنا  
ووجهتنا محطة البورتال والطريق معلوم لنا لأننا حضرنا منه وقد كان  
سائق عربتنا هو الذي حضر معنا من يوزميت وهو الذي ذهب معنا  
البارحة إلى الأشجار الكبيرة وهو شيخ هرم مضى عليه أكثر من  
٢٨ سنة وهو يشتغل بهذه المهنة وقد ذكر لنا مفتخرا أنه كان سائق  
عربة الرئيس روزفلت والرئيس تافت عند زيارتهما لهذا المكان وقال  
إن الرئيس تافت ضخم جدًا حتى إنه جلس مكان اثنين في العربة قال  
ذلك وقد ملكه الضحك لأنه تذكر أن هذا الرئيس لما أراد أن يذهب  
إلى أمكنة الثلوج (Glacier Point) لم تستطع دابة أن محمله وتذهب  
به إلى أعلى هذه الجبال فاضطر أيضا أن يقطعها راجلا فكان هذا  
السائق يسلينا بلطيف مسامحته لولا أنه ييصق كل لحظة فكنت أشتد  
من حالته ولكن لا سبيل إلى اجتناب هذه العادة القبيحة منه وقد  
تمكنت في نفسه

إن الخيل التي كانت تجر عربتنا هي الخيل التي جاءت بنا من وسط  
طريق وادي اليوزميت ولكن عند حضورنا كانت طريقنا متعذرة

فقطعت المسافة في ساعة ونصف أما ونحن نأخذون منها فإننا نصعد  
ولذا قطعناها بعد مشقة وجهد في ثلاث ساعات ونصف ولما كانت  
الطريق مضمعة بالتراب وقد عرفناها من قبل أعدناها عقبتها وارتدى  
كل منا ما كينشوشة (معطف واق من المطر) وقد وقفنا في المكان  
الذي استقبلت فيه الخليل في المرة الأولى واستقبلت خيولنا ومرنا  
في طريقنا الذي يخدر الآن وبعد ساعة وثلاثة أرباع الساعة وصلنا  
إلى وادي اليوزميت ولم نصادف في طريقنا شيئاً غير الذي ذكرناه  
قبلاً يستحق أن يذكر غير أن السائق سأل هل ستحضر عربة أخرى  
لتذهب بنا إلى البورتال فأمر بأن يستمر في سيره إلى النهاية فاتباعا  
للأمر سار بنا إليها وكانت المسافة الباقية للوصول إليها ١٢ ميلاً وكنا  
ننجم بحرى النهر العظيم ولحسن حظنا وجدنا الطريق مرشوشاً فلم نلاق  
في عودتنا ما يكدر بصفاها وقد قابلنا وكيل شركة العربات يسوق بنفسه  
عربة قد ركب فيها بعض سيدات ورجال ففرقتي وحجاني فقلت  
للسائق إن هذا الوكيل يستريض مع أسرته اليوم فقال لا ياسيدى انه  
ينوب عن سائقي لأن كثيراً من السائحين حضروا ولم يكن عدد  
الحوذيين كافياً فاضطر أن يسوق عربة حتى لا يضيع زمن على أولئك  
الراكبين في عربته وقد أثبت قوله هذا أننا بعد مروره قابلنا عربة ثانية

ثم ثلاثة فسالنا سائق الثلاثة هل تأتى بعده عربات فأجابنا إن العربات الآتية وراءه خمس عشرة وكلها مملوءة بالسائحين .

وصلنا إلى الپورتال في الساعة ٦ و ١٥ دقيقة مساء فقطعتنا الطريق ما بين فوفونا والپورتال في نحو سبع ساعات وقد لقينا من سفرنا هذا نصيبا لأننا كنا جالسين طول هذه المدة وأيضا لانحدار الطريق كانت العجلات مقيدة فكان لصوتها تأثير سيئ في أعصابنا ثم دخلنا الفندق وذهبنا مسرعين إلى محل غسل الأيدي وأزلنا مالحتنا من الغبار وبعد ذلك تناولنا عشاءنا ونفوسنا تشتهيه ثم ذهبنا إلى المحطة لئلا نرى هل أعدت لنا محال في القطار فلقينا ذلك الزنجي الذي كان معنا في القطار عند حضورنا فتقدم إلى وقال إنه عائد هذه الليلة فأخبرته أننا أيضا نساfer معه وقد استفهمت من محل بيع التذاكر هل جاءتهم تنبيهات من كوك تتعلق بنا فأجبت بأن تذاكرنا حاضرة وقد دفع ثمنها فتسلمتها وفي الساعة ٨ حضر قطارنا فأخذنا مكاننا فيه وقد كان الحز شديدًا جدًا وبعد ربع ساعة تحرك بنا القطار وقد قضيناها ليلة ساحرة ومأنت الساعة السادسة من صباح يوم الأربعاء ١٢ يونيه حتى كما مرتدين ملابسنا وبعد مدة قصيرة وقف بنا القطار بمحطة أوكلند (Oakland) وهي التي تركب منها في الباخرة النقال للذهاب إلى سان فرانسيسكو فأسرعنا في نقل متاعنا

اليها حتى ندرك مكانا لنا فيها لأن هذه الساعة هي ميعاد ذهاب العمال إلى سان فرانسيسكو فالزحام يكون عادة شديدا فسارت بنا إلى أن وصلنا إلى الشاطئ - الآخر وركبنا سيارة فندق فيرمونت Fairmont التي كنا نزلنا فيها في المرة الأولى وأوصلتنا إليها نحو الساعة التاسعة صباحا وقد أعطيت لنا الغرف التي كنا نزلنا فيها أيضا فسررنا وحمدنا سرانا حيث وصلنا إلى هذه المدينة بعد التعب الشديد فرأيت أن أبتدى أولا بدخول الحمام الساخن لينذهب عني ما أشعر به من مشاق السفر فأسرعت إلى الدخول وكنت أظن أن حقيقتي التي بها ملابسي الداخلية قد أحضرتها معنا في السيارة ولكن خاب هذا الظن فاني بعد ما اغتسلت وأردت أن أرتدى ملابس نظيفة لم أجد الحقيبة فاضطرت أن أتأزر بإزار وأرتدى برداء كما يفعل ذلك العاملون في حمامات مصر واضطجعت على سريري منتظرا رحمة من سيحضرها إلى فطال انتظاري بدون جدوى فتكلمت بالتلفون مع مدير الفندق وطلبت منه أن يسرع بإرسالها وبعد مرور ساعة وأنا من طول الانتظار على أحر من الجمر أنت الحقيبة ولكن بعد أن ملكني سورة الغضب ولم ينصرف عني إلا بورود تلفراف من صاحبة الدولة والدتي يشترني بتمام صحتها التي أرجو من الله دوامها فانقلب الكدر سرورا ونسيت

كل ما كنت أجد من الكدور وبعد تناول الغذاء أجبت دولتها  
بتلغراف وفي منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر حضر المستر ستوك مدير  
محل كوك بسان فرنسيسكو وأحضر إلى تذاكر السفر وخطة باقى  
السياحة فسررت له ملاحظته من حسن العناية فى كل الأمكنة التى زرتها  
وذلك بفضل رسائله التى كانت تسبقنا إلى كافة مديرى الفنادق وغيرهم  
بالوصية علينا لعمل كل ما فيه راحتنا وشكرته كثيرا وبعد انصرافه  
ركبنا سيارة وذهبنا إلى مكتبة فرنسية لشترى منها بعض جرائد أوروبا  
لنقف منها على الأخبار وبعد رياضة قليلة عدنا إلى الفندق لكافة  
مذكراتى وبذا انتهى أول يوم بهذه المدينة العظيمة وفى صباح اليوم  
الثانى (الخميس ١٣ يونيه) لم نعمل شيئا يستحق الذكر إلا أتى ذهب  
ومعى مصطفى بك إلى داخل المدينة لشراء بعض أشياء مثل  
بطاقات البريد (كارت پوستال) وبعض صور وغيرها ولما عدنا إلى  
الفندق وجدنا فى ردهته عددا عظيما من اليابانيين واليابانيات ومعهم  
بعض الأمريكين فعلما أنهم تابعون لجمعية الصليب الأحمر اليابانية  
وقد حضروا إلى هنا لحضور حفلة تكريم أقيمت لهم ولتناول الغذاء  
على مائدة الفندق فصرنا نراهم وهم يحبون بعضهم بعضا ويخونون النحاة  
التعظيم والاحترام وذلك على حسب عاداتهم المتبعة فى بلادهم . أما

ما بعد ظهر اليوم فقضيته في التجوال في أحياء المدينة راجلين وقد شعرنا بالسآمة من الإقامة فيها .

ولما أتى (يوم الجمعة ١٤ يونيه) استفهمت من محل كوك هل وصلته رسائل لنا فعلت أنه لم يصل إليه شيء من ذلك وفي منتصف الساعة الحادية عشرة غادرتا الفندق قاصدين السفر إلى پورتلند (Portland) فأخذنا متاعا وركبنا السيارة فأوصلتنا إلى مرمى البصرة النقالة التي تذهب بنا إلى أوكلند وهي المحطة العامة التي يسافر منها السائح إلى الجهات التي يقصدها وقد سبق الكلام عليها عند سفرنا في المرة الأولى من سان فرانسيسكو إلى يوزميت ظلالى

وصلنا إلى المحطة قبل تحرك القطار بنصف ساعة فأخذنا مكانا فيه وقد كان عدد المسافرين عظيما جدا ورأينا بعضهم وعلامات الفقر ظاهرة عليهم فصرت أقول من أين تأت بهم الدراهم حتى ينتقلوا ويسافروا على قُطُر أجورها غالية أما كان الأولى لهم أن يصرفوها في تحسين أحوالهم وقد رأيت بينهم أشخاصا تدل هيائهم على الشر فإن ملاحظهم كانت تشبه ملاحظ سفاكي الدماء وقاطعي الطرق ولا عجب فإن أميركا يلجأ إليها كثير من أمثال هؤلاء الأشرار الذين يهربون من بلادهم فرارا من القصاص وهربا من يد القانون وقبل تحرك قطارنا

بمخمس دقائق رأينا عالم يتدفق كالسيل للركوب فيه فاستفهمت من خادم عربتنا عن سبب سفر هذه الجموع فأخبرني أن هذا القطار هو أسرع القطر التي تسير على هذا الخط فإن المسافة الشاسعة التي يقطعها في ٣٢ ساعة تقطعها سائر القطر الأخرى في ثمان وأربعين ساعة .  
تحرك بنا القطار قرب الظهر وأهم مدينة مررنا عليها قبل أن يرمى الظلام سدوله هي مدينة ساكرامنتو عاصمة كاليفورنيا

وفي صباح يوم السبت ( ١٥ يونيه ) كنا نخرق ولاية أوريجون (Oregon) وكان طريقنا بين الجبال وكنا بين وقت وآخر نمر بمضيق وكان سيرنا بجانب نهر ساكرامنتو (Sacramento) فلم نحرم من المناظر الطبيعية الجميلة أما الغابات فكان يظهر عليها أنها مهملة لأننا لم نلمح فيها طريقا مستظلا وقد رأينا كثيرا من مناجم النحاس فإذا هذه المقاطعة غنية بمعادنها وقد رأينا أيضا كثيرا من قطعان الحيوانات ترعى بجانب النهر وعلينا أن عددا عظيما من المهاجرين يفد إلى هذه المقاطعة للإقامة بها و يظن أنها مع الزمن ستصبح من أهم المقاطعات عمرانا .  
وصلنا إلى مدينة سالم (Salem) وهي عاصمة ولاية أوريجون وهي مشهورة بكثرة معاملها وفي منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر وصلنا إلى مدينة پورتلند وكان عدد الراحلين منها والوافدين إليها من السائحين



كثيرا جدا فشرعنا بأنها إحدى المدن المهمة وبينما كنا نبحث عن سيارة الفندق الذي ستنزل فيه تقدم إلينا شخص بإذن الجسم فسالنا هل المستر (بيك) (Bey) بيننا (لقد حسب الامر يكون أن كلمة بيك اسمى) فقلنا له نعم فذكر أنه يقصدنا فعرفت إليه باسمى المستعار الذى كنت أسيح مسمى به فقال إني حضرت بسيارة خصوصية لكم وإني أسف لوصولي إلى المحطة متأخرا وكنت أود أن انتظركم حتى لاتألقوا أى تعب فشكرته وركبنا السيارة فعرفني بأنه مدير فندق مولتومه (Moltonomah) ثم أمر السائق أن يسير فرأينا أن الطريق مزين بالاعلام والزهور فسالته عن السبب فقال إن اليوم عيد الزهور وقدومكم مبارك ولما وصلنا الفندق صعد معنا إلى الغرف التى كان أعدها لنا من قبل فى الطابق الثانى فأعجبتنا وبعد أن مكثنا بها قليلا من الزمن نزلنا إلى ردهة الفندق العامة فوجدناها قد ملئت بالجالسين وعلينا أن الدخول هنا مباح لعامة الناس كفتادق نيويورك فأى شخص له أن يحضر ويجلس مع رفقاءه وأصدقائه ولولم يكونوا نازلين بالفندق ثم رأينا فى نهاية السلم الموصل للطابق الأول رجة تدور حول غرف هذا الطابق وتطل على الردهة العامة وبها جملة كرامى الجالس عليها يرى الداخل والخارج من الفندق وأمام كل كرمى سماعة تلفونية توصل له أنغام موسيقى ملهى المدينة الشهير

ويسمع منها أدوار الغناء وبجانب كل سماعة برنامج القطع الموسيقية وميعاد التلحين وهكذا يمكن لأى إنسان أن يحضر ويسمع كل ما يدور فى هذا الملهى بدون دفع أجرة . وهذا ليس بالشئ الغريب فإن فى باريس محلا خاصا يدعى تياتروفون (Théatrophone) به مثل هذه السماعات التليفونية أما إياحة الدخول للعلمة فى هذا الفندق فالغرض منه جلب السائحين إليه بواسطة سكان المدينة الذين لا بد أن يصفوا لأصحابهم وأقاربهم محاسن هذا الفندق وما هو عليه من النظام ورجوبهم فى التزول به عند حضورهم إلى مدينة پورتلند وقد تم لهم هذا الغرض لأن هذا الفندق على حداثة عهده قد نال شهرة عظيمة جعلته محط رحال السائحين .

أوصينا على سيارة فانت وكانت أجرتها ثلاثة دولارات ونصفا فى الساعة فركبتها وأخذنا معنا دليلا ليرينا المدينة وقد أغتطنا فرصة صفاء الجو لرؤية كل ملتهم رؤيته لأننا كنا سمعنا من قبل أن الأمطار قلما يتقطع انهما رها فى هذه المدينة فذهبنا أولا إلى الأحياء الجديدة ووجدنا منازلها مصنوعة صنعا جميلا من الأخشاب وكلها محاطة بالبساتين ثم مشينا بجانب نهر ويلاميت (Willamette River) الذى يخترق المدينة ورأينا عليه أربعة جسور (جارى) وهم يشتغلون

في إنشاء خامس وقد تقدمت المدينة تقدما يينا فلننا في سنة ١٩٠٠  
كان عدد سكانها لا يتجاوز ١٠٠,٠٠٠ نسمة وقد أصبح اليوم يزيد  
عن ٢٢٠,٠٠٠ ولكن جل سكانها من الألمان وقد يوجد بينهم  
٣٠٠٠ صيني وسبب اتساعها أنها متصلة بالبحر وهي ملتقى جملة  
خطوط حديدية والتجارة منتشرة فيها انتشارا عظيما خصوصا تجارة  
الدقيق والأخشاب وما يصنع منها أما معامل الجعة (البيرة) ومصانع  
الجلال فعددها عظيم وبينها وبين الصين واليابان مبادلات تجارية  
بطريق البحر وقد قدرت قيمة تجارتها العامة السنوية بمبلغ أربعين  
مليون دولار .

ذهبنا بعد ذلك لرؤية دار البلدية والغرفة التجارية ودار البريد العام  
والمحاكم ودار التمثيل (الأوبرا) وغيرها وكلها أبنية شاهقة وبعد ذلك  
قربنا من الميناء فوجدنا بها دارعة أمريكية اسمها ماريلاند (Mariland)  
مزينة بالأعلام المختلفة الألوان وزورها جم غفير من أهل المدينة  
والسرور باد على محياهم لما وصلت إليه بلادهم من القوة والمنعة وفي  
اشترك الحكومة في إقامة معالم الزينة على إحدى مدرعاتها والاذن  
لرعاياها بزيارتها دليل قطعى على شلة حرصها على مراعاة شعور  
الأمة ومشاركتها في أفراحها وما جعلت زيارة هذه المدرعة مباحة إلا

لاستجلاب محبتهم ولتقوية الرابطة بينها وبينهم ولتظهر لهم أن الحكومة مجتدة في حفظ مكاتها بين الأمم وهذه القطعة الحريصة ما أنشئت إلا بأموالهم للدافعة عنهم ولصد كل عدو يريد التعدي عليهم فيمثل هذه الأمور تنق الأمة بحكومتها ويترى الحب الصحيح مع الاحترام لها في قلوب رعاياها كذلك يمثل هذه المظاهر يسهل على رجال الحكومة جباية الأموال لأن الشعب يشعر بضرورتها وشدة الحاجة إليها فيدفعها عن طيب قفس .

ذهبنا بعد ذلك لرؤية حي يسكنه الأغنياء ولكننا لم نرفيه عظمة المنازل التي رأيناها في (لوس انجلوس) أو في (إسادين) وقد كنا سمعنا أن مدينة بورتلند مشهورة بكثرة أنواع الورد فيها فأخذنا نبحث عن هذه الشهرة لعلنا نتحقق من صحتها فلم نجد لها أصلا وما يوجد في إساتينها من الورد لا يقاس بما يوجد في جنوب كاليفورنيا فحملنا هذا أيضا على مغالة الأمريكيين . استمررتنا في طريقنا إلى أن وصلنا إلى حديقة (City Park) ورأينا فيها مكانا يشرف على منظر المدينة بمبانيها ونهرها والجبال التي تحيط بها وقد خُبل إلينا أن المدينة يسكنها مليون من النفوس وذلك لأن شوارعها المتسعة ومنازلها المخفوفة بالبساتين جعلتها كبيرة وعظيمة الاتساع . دخلنا الحديقة

فوجدناها حديقة عادية ولم نرفيها ما يستحق الذكر إلا مكانا معدنا  
للحيوانات به أربعة من الجاموس الوحشي ففادرتها مسرعين إلى  
الفتدق وبعد تناول العشاء صعدتُ إلى غرفتي لأستريح وتركت زميلي  
يذهب لرؤية عيد الكارفال . وفي صباح يوم (الأحد ١٦ يونيه)  
سمعت منهما أن الزحام كان شديدا حتى إن القوى يأخذ في وجهه  
الضعيف ولا حاكم هناك إلا القوة فكان النظام مختلا والقوضى عامة  
وقد رأيا كثيرا من الشبان يحمل كل واحد منهم على كتفه فتاة تصبح  
إذا رأت أنها على وشك السقوط من مكانها المحبوب ومع ذلك  
لا يلتفت إليها ولا إلى استغاثتها فيلويج من كانت في مثل حالتها إنني  
لتأخذني الشفقة على فتى يحمل عادة على كتفه في وسط هذه الجموع  
الذين لا يراعون حرج موقف أمثال هذا الفتى الذي ندم على زيادة  
تلطفه وتقربه من الغادات الحسان وأظنه إن سلم في ليلته هذه فلن  
يعود إلى ما فعل ولو كانت الآنسة أجمل النساء . أما مصطفى بك  
فإنه فقد نفسه في هذا السيل الجارف فاستغاث بزميله فانتشله بعد  
عناء كبير ورجع الاثنان راضيين من الغنيمة بالإياب .

إن مثل ذلك يحصل عادة في أيام الأعياد في جميع أنحاء الدنيا فما  
بالك في بلاد الأمريكيتين والحرية فيها مطلقة لا حد لها وعدم المبالاة

من عواندهم وقد شهد رفيقاي مع مالقيا من الشقة في هذا الزحام بأن  
مارأياه من المعروضات يستحق الإعجاب فقد كانت العربات مزودة  
بأنواع الزهور المختلفة الجميلة وقد صوّرت أنواع الطيور مجسمة وكذا  
بعض الحيوانات كالقيل وغيره وكل هذه الصور قد وضعت على  
عربات وغطيت بالزهور والحشائش فلا يراها الإنسان وتلك العربات  
تسير على طريق الترام بقوة الكهرباء مضاعة بأنوار متلاثة ساطعة  
فكان الإتقان بالغاً حته وحسن التدقيق أخذنا نهابته .

خرجنا قبل الظهر راجلين للاستراحة ولما عدنا إلى الفندق وجدت  
رسالة من الأستاذ سان ساين (Saint Sains) ووجد خيري بك رسالة  
من أخيه علما منها بعض أخبار بلادنا العزيزة وفي الساعة الثالثة بعد  
الظهر ركبنا سيارة وأمرنا سائقها أن يذهب بنا إلى الخلاء لنستنشق  
الهواء النقي فصادفنا في طريقنا جمعا كثيرا يروضون أنفسهم بالألعاب  
المختلفة ولما خرجنا من المدينة ورأيتُ الطقس معتدلا أمرت  
السائق أن يستمر في طريقه متبعا مجرى النهر بعد ما علمت منه أنه  
يمكننا أن نسير في هذا الطريق المنظم مسافة ٨ أميال وقد مررنا على  
بعض مصانع صغيرة يشتغل فيها بعض المحكوم عليهم بعقوبات  
خفيفة .

عدنا إلى الفندق مسرورين من رياضتنا نحو الساعة السادسة وفي صباح يوم (الاثنين ١٧ يونيه) أخذنا نعدّ أمتعتنا استعداد للرحيل وقد كان الحر شديدا حتى عجبنا من بلوغه إلى تلك الدرجة من الشدة في مثل هذه البلاد وقد سألتنا بعض الأمريكيين عن حالة هذا الطقس فقالوا لنا إنهم لم يروا مثل هذا اليوم المحرق . وفي الساعة ٢ وربع صبحنا مدير الفندق إلى المحطة ليودعنا فأخذنا مكانا في العربدة ولكننا لم نطق شدة الحر لضيق الغرفة المعلقة في قاسرنا إلى العربدة المكشوفة (Observation Car) لتدرك أما كن فيها قبل الازدحام . وقبل قيام القطار بعشر دقائق تقدم إلينا شخص وسألنا باللغة الإنكليزية هل يفتنا الأمير محمد علي فظننا أنه ربما كان أحد مخبري الجرائد فأجبتاه متكررين حتى نخلص منه فقارقتا بعد أن أبدى لنا عظيم احترامه . سار بنا القطار ولم نحف وطأة الحرارة فاضطررنا أن نذهب إلى غرفتي ليخلع كل منا (الجاكته والصدري) كما يفعل الأمريكيون عند اشتداد الحر وفتحنا كل الشبايك رغما من كثرة الدخان والقمام المتصاعد من سرعة سير القطار فلم نجدنا فتح الشبايك نفعاً وقد وجدت باقة من الزهور مرسله باسمي من أحد السوريين واسمه الخواجه عزيز عطيه فأعجبنا هذا الدوق السليم وهذا التلطف الجميل .

نحن نسير الان في مقاطعة واشنجتون بين غابات كثيفة والتناظر إلى اليمين يرى على بعد جبل (Rainer) وعلى رأسه الثلج ولم نصادف مدنا كبيرة تستحق الكلام عليها وفي الساعة ٧ ونحن في عربة الأكل وصلنا إلى بلدة تاكوما (Tacoma) وعدد سكانها ٣٠٠٠٠ وبها غابة عظيمة (Forêt vierge) وهي شهيرة بمعامل الحديد على اختلافه ومصانع الأخشاب وغيرها وتجارتها في الحبوب والأخشاب والقمح المجرى والشاي وغيره وصلنا في الساعة ٩ مساء إلى مدينة سياتل (Seattle) وقد رأينا بمحطتها خمس طرق حديدية آتية من جهات مختلفة فدلنا ذلك على أنها مدينة عظيمة وقد أعجبنا بناء محطتها الحديدية وهي في نظري أجمل محطة رأيتها إلى الآن بعد محطتي شيكاغو ونيويورك .

ركبنا سيارة بعد أن أعطينا وثائق حقائبنا الكبيرة لأحد العمال الذي تقدم إلينا وأخذ يقول . هنا ياسيدى نعتنى كثيرا بإيصال الأمتعة لأربابها قبل مضي ساعة من الزمن فكن مطمئنا فسيصلك جميع متاعك وأنت في الفندق بعد زمن قليل جدًا فتركناه على هذا الشرط وأمرنا سائق سيارتنا أن يذهب بنا إلى فندق واشنجتون بالحديد (New Washington) ولما وصلنا إليه وجدناه نائمًا ومنظفًا وقد حجز لنا



جزء كبير من طابقه يزيد عن حاجتنا قبلناه حتى نخلع ملابسنا ونستريح من عناء السفر ولكن طال انتظارنا ومتاعلم يوت به الينا قبل منتصف الساعة الثانية عشرة فلم أتمكن من النوم إلا بعد نصف الليل لوجود الموسيقى التي تعزف عادة ليلا بالقرب من غرفتي التي تطل على شارع يمر منه جملة ( ترامات ) فأسمع ما يخلق راحتي من الداخل والخارج .

في صباح يوم الثلاثاء ( ١٨ يونيه ) كلفت مصطفى بك أن يذهب إلى إدارة الفندق ليطلب تغيير هذه الغرف فأجابه المدير إن هذه الغرف معدة لرؤساء الجمهورية وليس عنده أعظم منها وإن أجرتها في الليلة الواحدة ثمانية جنيهات فاستكثرت هذه القيمة على مثل هذه الغرف وتمسكت بطلتي لأنني لأرى من الحكمة أن ينعى الإنسان ماله في غير موضعه لاسيما أني لست روتشيد زماي ولا فاندربلت أمريكاً ثم انتهى الأمر بأن أدركنا ما طلبنا .

وبينا كنا على مائدة الطعام وصلتني إشارة برقية من الخواجه عزيز عطية وأخيه برحمان فيها بوفادتي إلى هذه البلاد ويذكر أن السورين الذين يقيمون في مدينة بورتلاتد كانوا يودون مقابلتي لإبداء ما في ضميرهم من الإخلاص والحب لي ولأسرتي فتذكرت الشخص

الذى تقم إلينا في المحطة وسأل عنى مع عظيم الأدب والاحترام فأسفت لأنى لم أستفهم منه عما يطلبه لظنى إذ ذاك أنه أحد مخبرى الجرائد ولو كان قد تكلم معنا بلغتنا المحبوبة لما خفى علينا أمره ولما حرمتنا من التمتع بثمار هذه المصادفة الجميلة فأرسلت إليه في الحال إشارة برقية أشكره على حسن عنايته وأتمنى له ولأهل وطنه بيورتلاند السعادة والرفاهية وكلفت خيرى بك أن يكتب له خطابا رقيقا يعبر عن شعورى نحوهم ورجائى أن يوفقهم الله دائما إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم .

نرجنا بعد ذلك للاستراحة راجلين فوجدنا المدينة عامرة كثيرة السكان والظاهر أنها كانت في سنة ١٩٠٠ لا يسكنها أكثر من ٧٠٠٠ نسمة والآن يزيدون عن ٢٤٠٠٠٠ أمانظاتها لحدث عنها ولا حرج وقد أعجبنا أكثر من مدينة پورتلاند . وبعد ذلك ركبنا (الترام) للذهاب إلى شركة (Pacific Coast Co.) للاستعلام عن ميعاد قيام البخرة التى ستذهب بنا إلى الاسكا (Alaska) وللاطلاع معها على طريقة إرسال حقائبنا الكبيرة ولمعرفة حالة غرفنا التى أعطيت لنا في هذه البخرة وبعد أن أتممت ذلك كله عدنا إلى الفندق وفى منتصف الساعة الرابعة بعد الظهر ركبنا سيارة وأخذنا معننا دليلًا مطبوعًا للسائحين بين شوارع المدينة والأمكنة التى ينبغى زيارتها .

سارت بنا السيارة في طريق به منازل جديدة متقنة البناء وقد علمنا أنها بنيت مكان تل أزائه يد الإنسان بتسليط قوة تأثير المياه المقدوفة من أفواه مضخات هائلة عملت لذلك وقد ابتدئ في بناء مكان هذا التل منذ خمس سنوات . المدينة عظيمة وآخذة في الرقي بسرعة مذهلة فجدري أن أذكر للقارئ الأسباب التي رأيتها أدت إلى هذه النتيجة السريعة . إن مدينة سياتل واقعة على شاطئ البحر في أحسن موقع طبيعي فهي على لسان داخل في البحر والداخل فيها يرى البحر عن يمينه ساكنا هادئا لوجود جزائر كثيرة مزدانة بالأشجار المورقة فنعت هذه الجزر تلاطم الأمواج وصارت حاجزا قويا يصد عنها تقلبات البحر الهائلة فلا يرى الإنسان أثرا للأمواج المتلاطمة بل يرى وجه الماء كأنه إساط سديمي يضرب لونه إلى الزرقة لا يعكس صفاه إلا سير البواخر المختلفة ويرى عن شماله بحيرتين عظيمتين مأوهما عذب وفي وسطهما بعض جزر أخرى لا تقل جمالا عن الجزر التي في البحر وهذه المدينة واقعة على حدود حكومة كندا وقد أنشأت حكومة الولايات المتحدة في إحدى الجزر القريبة منها حملة حصون وضعت فيها المدافع الضخمة لحمايتها عند اقتضاء الحال . والبواخر الذاهبة إلى تاكوما التي سبق الكلام عليها تمر أولا على مدينة سياتل فهي إذا محطة

بحرية عظيمة ، إن موقع هذه المدينة الذى يسمى (Elliot Bay) على مسافة ٣ كيلو مترات من إحدى البعيرتين السابق الكلام عليهما واسمها بحيرة واشنطن وطولها ٣٠ كيلو مترا وعرضها يختلف من ٣ إلى ثمانية كيلو مترات فلتاسع هذه البحيرة يشغل الأمر يكون الآن في فتح قتال يوصلها الى مدخل البوت المذكور عرضه ٣٠٠ قدم وعمقه كاف لمرور (أكبر بارجة دريدنوط) حرية فستقبل هذه المدينة عظيم جدًا بالنسبة لموقعها التجارى والحربى ومن التهويل الذى سمعناه من الأمريكين عن بحيرة واشنطن المذكورة كما هى عادتهم في كل شئ أن عمقها مجهول إلى الآن ولا يعرف قرارها إلا الله فلم أصدق هذه الدعوى الباطلة لأن الإنسان أمكه أن يعرف قرار أعماق نقطة في البحر وهى ٩٠٠٠ متر فهل يتصور أن يعجز عن معرفة عمق هذه البحيرة كلا ثم كلا وما ذلك على العلوم العصرية بعزير .

هذا ويجدر بي ذكر سبب آخر وهو في نظرى أهم الأسباب التى دعت إلى ارتقاء هذه المدينة ونمو عمراتها : كشفت في جهات الاسكا مناجم كثيرة للذهب فأقبلت الشركات لاستخراج هذه الكنوز من بطون الأرض ولما كان العمل يحتاج إلى ألوف كثيرة من العمال سهلت الحكومة كل الأسباب لجلب هؤلاء العمال ولكن

في جهات الاسكا لا يمكن الانسان أن يتحمل شدة البرد في فصل الشتاء ولما كانت مدينة سياتل ليست شديدة البرد وهي قريبة من (الاسكا) أقبل جميع العملة وأصحاب الشركات على السكنى فيها مدة الشتاء . كذلك تكشف المنجم في (الاسكا) لم يقف عند حد فن وقت إلى آخر يكشف منجم جديد يحتاج إلى عملة آخرين كثيرين فيضطرون إلى الإقامة في (سياتل) في فصل الشتاء فلزيادة إذا مطردة ولا يخفى أن الأماكن التي تظهر فيها مناجم الذهب يكون الإقبال عليها عظيماً لأن كل إنسان مولع بالحصول على الثروة فلمهجرون إلى هذه الجهات يزدادون طمعاً في العثور على هذه الخنوز المدفونة في باطن الأرض ولا يقوت القارئ أن منازل أصحاب الشركات ومهندسيها ومديريها ورؤساء العملة وغيرهم لا تكونها خالية في فصل الصيف فقد وفد إليها للإقامة بها جملة أسرات لقضاء فصل الصيف فيها فالحركة فيها مستمرة صيفاً وشتاء .

نعود إلى ذكر ما رأيته في المدينة أثناء رياضتنا بالسيارة : إننا كنا نسير في طرقات منظمة ولكنها غير مستوية لأن المدينة مشيئة على آكام وتلال وهذا ما يزيد جمالها وقد لاحظنا أن طولها أكثر من عرضها أما منازلها فهي في الجملة متقنة البناء وقد سألت سائق السيارة

هل لهذه المدينة أحياء قديمة لتزورها فذهب بنا إليها وهي بالرغم من قدمها لا تخلو مما يستحسنه الذوق وأثناء سيرنا رأينا دخانا متصاعدا إلى عنان السماء من جهة البحر فسألنا عن منشئه فأخبرنا أن النار شبت في مخزن أخشاب كبير فأمرنا سائق العرب أن يقصد بنا مكانها لنقف على طريقة إطفاء الحرائق وهل عندهم من المضخات والأدوات الواقعة من شر الحريق ما يكفي لحصر النار في جهة واحدة وإخمادها بسرعة فذهب بنا حتى قربنا منها ووقفا على تل عال نرى منه موضع الحريق فيألفها من ساعة رهبة . إن ألسنة النار كانت تندلع مرتفعة ارتفاعا هائلا في متسع عظيم لا يقل عن اتساع ثكنة قصر النيل ومن الغريب أن بعض الأخشاب كانت طافية على سطح ماء البحيرة فلم يؤثر ذلك في قوة النار فإذا تميد إذا المضخات وإن كثرت عددها في مثل هذه الحالة وقد اجتهدوا كثيرا في فصل جزء عظيم من الأخشاب العائمة على وجه الماء حتى لا يلحقها الشرر فتصبح رمادا ولا تسب عن اجتهد عمال المضخات في إخماد النار ومساعدة الأوف لهم ولكن اجتهدهم لم يكن مخففا وطأة النار التي صارت قطعة من الجحيم وقد كنا نشعر بحرارتها من مكاننا البعيد فكيف يكون حال هؤلاء التعسفين وهم على مقربة منها . ولو كان هذا المخزن في وسط البلد

لدمرها تدميرا وجعلها قاعا صنفصفا ولكن المتبع في أمريكا أن جميع مصانع الخشب ومخازنه لا يؤذن بوجوده داخل المدن بل يكون دائما على شواطئ البحار أو الأنهر بعيد من المنزل والظاهر أن سبب الحريق شرارة صغيرة خرجت من إحدى مداخن الآلة المتحركة التي تنشر قطع الخشب الكبيرة فعظم خطبها حتى حدثت هذه الخسارة الجسيمة .

أما الهواء فكان يزيد النار اشتعالا ولكنه كان يأتي من جهة البر فيلقى بها إلى جهة الماء ولا تسب عن عدد الذين حضروا لمشاهدة النار وما عملت فإن السيارات والعربات كانت تحضر عشرات تحمل السيدات والرجال والأطفال ولم نر أحدا من رجال الشرطة حضر للحفاظ على السكون أما عدد المضخات فكان لا يزيد عن ستة ورجالها قليلون . بعد أن مكثنا زما أمرنا سائق سيارتنا أن يستمر في طريقه لتتم زيارة المدينة فمضينا على ثلاث حداثق مساحة احداها ٢٠ ميلا والثانية سبعة أميال والثالثة أحد عشر ميلا وظلها حداثق ذات بهجة وهي على شاطئ البحيرة وقد أخبرنا السائق أن هناك مشروعا لاتصالها كلها بعضها ببعض فتصبح مساحة حديقة المدينة ٨٠ ميلا تكثف البحيرة من كل جهة .

مررنا أثناء سيرنا على القتال الذى يشتعلون الآن فيه وهم على وشك الفراغ منه وقد سبق الكلام عليه أما طريقة حفره فهى أنهم يسلطون المياه المتدفعة بقوة من المضخات على الرمال والتراب فتزيلها بسرعة غريبة وقد أعجبتى هذه الطريقة كثيرا .

وقد شاهدنا فى الطريق مستشفى عظيم البناء أنفق على بنائه ١,٥٠٠,٠٠٠ دولار فأعجبنا موقعه ونظامه . وبعد ذلك ذهب بنا السائق إلى الرصيف الذى سنركب منه فى البخرة إلى (الاسكا) فرأينا تلك البخرة متوسطة بين الصغيرة والكبيرة ثم أمرناه أن يعود بنا إلى الفندق ونحن فى الطريق رأينا مضخات تعدو إلى جهة والناس يعدون وراءها ورأينا عمودا قائما على طرف رصيف الشارع له جناح أحمر اللون ومعلق به جرس سمعنا له صلصلة وهذا مايقبى عن حصول حريق فذهبنا نحن مع الذاهين الى مكانها ورأينا الدخان يخرج من نافذة منزل دى ست طبقات وقد وصلت ثلاث مضخات وصارت تشتغل فى إطفائها ورأينا على سطح المنزل المذكور آلة صغيرة يديرها بعض الرجال وهى تفرم سطح المنزل بالماء حتى لا تؤثر فيه النار ولكنها لم تأت بما أريد منها فإن مثل هذه الآلات قد تتلف فى وقت اشتداد الحاجة إليها وهذا ماثبت أن الاحتياط ولو عظم لا يفيد شيئا إذا قنر الله أمرا فلا راد لقضائه .



بعد قليل من الزمن أطلقت النيران وأخذنا طريقنا للعودة إلى فندقنا وهناك وجدنا رسالة من مدير شركة (الكاديان باسفيك) يقول لنا فيها إنه حضر مرارا ليرانا والقدر لم يوقه الى ذلك وهو مكلف من قبل المستر ستورس (أحد مديرى كوك) أن ينسلم متاعنا ليرسله إلى فانكوفر (Vancouver) فكتب له كلمة أشكره وأرجوه أن ينتظرنا صباح الغد بمكتبه

بعد العشاء خرجنا قليلا للرياضة فقرأنا إعلاتا على باب ملهى (تياترو) ترجمته :

(هنا سيقوم الليلة بالعباب بهلوانية مذهشة عدد عظيم من التونسيين فنحن الجميع أن يفتنوا هذه الفرصة لرؤية ما يشرح صدورهم ويعجبون منه) فدخلنا هذا الملهى فاذا نحن فى ردهة عظيمة غاصبة بالمشاهدين وكانت الموسيقى تشف أسماعهم وبين وقت وآخر يمثل دور هنرى مضحك الى أن أتى ميعاد تمثيل التونسيين فلعبوا ألعابا لاقيمة ها بالنسبة لما تضمنته الاعلانات المنتشرة فى شوارع المدينة ثم خرجنا من هذا المكان نحو الساعة الحادية عشرة للذهاب إلى الفندق للنوم والراحة .

فى الساعة التاسعة صباحا من يوم (الأربعاء ١٩ يونيه) ذهبنا إلى

مكتب مدير شركة الكاديان پاسفيك المستر بين (Penn) لشكره على اهتمامه بنا ولتخيره أننا سآخذ متاعنا معنا لأنه أصبح على وشك التلف لعدم اعتناء المحالين به اذ يلقونه بلا شفقة على الأرض غير ناظرين إلى مصالح أصحابه فوجدناه غائبا وتقدم إلينا مساعده فأخبرناه بما لزم ثم ذهبنا إلى البخرة لئرى غرفنا فيها فأعجبنا واستفهمنا عن ميعاد ارسال الحقايب فقبيل لنا في أى وقت نريده وبعد ذلك عدنا إلى الفندق وكتبنا على كل حقبة اسم صاحبها ونمرة الغرفة وأرسلناها إلى البخرة . وفى الساعة الثامنة مساء أخذنا باقى الحقايب الصغيرة وذهبنا إلى البخرة ونحن نظن أننا نمجد كل شئ في مكانه من غرفنا ولكن خاب ظننا وصرنا نسأل من هذا وذاك من مستخدمى البخرة لعلنا نقف على مستقر أمتعتنا فلم نستطع إلى ذلك سيلا وكان جوابهم لا تستعجلوا فسيصلكم كل شئ عما قريب ولكننا لم نطمئن مخافة أن نفقد شيئا ولا نعثر عليه قبل أن تسير بنا البخرة وبينما نحن نبحث تقدم إلينا مدير ادارة البخرة وسألنا عما نشد فأخبرناه به ثم أخذ مذاكر السفر وكلف أحد المستخدمين بالبحث عن حقايبنا فحضر وقال انها لم تسجل إلى الآن فأدهشنا ذلك التقصير من أصحاب الفندق وغشهم السامحين فقد طلبوا ٣ جنيهات لنقلها وتسجيلها وقالوا لنا انكم عند

ذهابكم مستجدون كل شئ في مكانه ولكنهم لم يوقوا بعهدهم فعملنا ما يلزم لتسجيلها ونقلها ولما أردنا أن نتفق أمتعتنا وجدنا حقيبة مفقودة فأخذنا نبحث عنها ورئيس الخدم يأمر أحد الملاحين أن يساعدنا في التفتيش فلم يسمع له أمرا اقتشاما وكانا على وشك التضارب لولا لطف الله ومن هنا تبين لي مقدار آداب القوم ووقوف كل عند حده وقد خفت هذه الحالة ما ألم بي من الكدر لأنني علمت أن الرؤساء عندهم لا احترام لهم فلا عجب إذا ساءت معاملتهم للسائحين قبل اربحال البخرة بعشر دقائق وجدنا الحقيبة ملقاة على الرصيف فقلناها وبذلك انتهى فصل الحقائق . وبينما نحن على ظهر البخرة تقدم إلى شخص بادن الجسم وقد خلع لحيته وشاربه فسألني هل أنا من رفقاء رستم بك فظننت أولا أنه أحد مخبري الجرائد ولكن لما رأيت أنه لم يبق من الوقت متسع يستطيع فيه أن ينسجم منا أخبرنا أنهم لقرب تحرك البخرة لم أرد أن أردّه خائبا فأبرز لي بطاقة فعلت منها أنه المستر دومان (Mr. Dumann) المفتش العام لشركة البواخر التابعة إليها بانترتاثم أخبرني أنه وصله رسالة من المستر (ستورس) بسان فرانسيسكو يوصيه أن يساعدنا في كل ما نحتاجه فصلحجه وسررت لأنني علمت أنه لا بد أن يعتني بخدمتنا ما دام ملازمنا وقد قال لي إنه يسافر عادة

في أول بانة تسير بالسائحين إلى جهات الاسكا في فصل الصيف  
ليعلم مقدار راحة السائحين وخدمتهم العامة في كل الجهات لخدمنا  
الله إذ قادنا حفظنا إلى الركوب في هذه البانة وقد أخبرني أنه يعلم  
حقيقة اسمي ولذا أمر جميع الخدم بأن يسرعوا إلى اجابة طلباتنا مع  
عظيم الاعتناء بسائر شؤوننا وقد جزلنا في جرة السفرة مكانا خاصا  
بنا واختار لخدمتنا غلاما يعتقد فيه النباهة وجمال الأدب ولصغر جرة  
السفرة وكثرة السائحين يقدم الطعام مرتين وقد نصحنا ألا نأكل  
إلا في المرة الثانية فكانت مواعيد أكلنا هكذا : تظفر الساعة التاسعة  
صباحا وتتعدى الساعة ١ و ٣٠ دقيقة وتعيشى الساعة ٦ و ٣٠ دقيقة  
فقبلنا نصبحته ولو أن هذه المواعيد لا توافقتنا

بعد قليل من الزمن سمعنا صفيرا من ريان البانة وكان هذا  
الصغير إيذانا بالسير فصهرت بنا البانة باسم الله وإذا بأمر آخر قد  
صدر لمدير حركتها بالوقوف فبحثنا عن السبب فعلينا أن سيدتين  
كانتا في البانة تشيعان صاحبة لما فأخذهما الحديث ولم يشعرا  
إلا والبانة تتحرك فاتبهتا من غفلتهما وطلبنا من الريان أن يرجعهما  
إلى الرصيف ففعل

إن اسم البانة التي نحن على ظهرها الآن هو اسبوكين (Spokane)

وكان بجانبها بئرة أخرى اسمها سبتل (Seattle) تشارك بئرتنا في تلك الرحلة وهي أيضا تابعة لشركة (الكاديان پاسفيك) غير أن الأخيرة تتخذ في البحر طريقا آخر غير طريقنا ولما كنا متعبين من كثرة ما تكبدناه في يومنا أمرنا إلى غرفنا للنوم بعد أن فارقنا مدينة سياتيل التي كانت وقتئذ أنوارها ساطعة خصوصا أنوار فندق واشنطن الذي كنا فيه

أصبحنا في يوم (الخميس ٢٠ يونيو) وما أتت الساعة السادسة صباحا حتى كنا على ظهر البئرة ولما كانت رحلتنا هذه إلى جهات الاسكا فلا أرى بأسا من ترجمة بعض ما تضمنه إعلان وزعته الشركة على السائحين يشرح حالة هذه الجهات وتاريخها ليقف القارئ على طريقة من طرائق النشر في هذه البلاد وكثرة مغالاة الأمريكيين وها هي الترجمة : إن الاسكا هي أقرب طريق يوصل إلى الشرق الأقصى . وبين سياتيل وفلاديفوستوك ٤٥٠٠ ميل ومساحتها ٣٢٩٥٢٩٠٠٠ هكتار وجو ثلاثة أرباع هذه المساحة يقارب جو بلاد السويد والنرويج (Suède et Norvège) وروسيا وطول شواطئها ٢٦٠٠٠ ميل وقد اشترتها حكومة الولايات المتحدة من روسيا في سنة ١٨٦٧ بمبلغ ٧٢٠٠٠٠٠ دولار وأول من كشفها

ربان روسى يدعى فيتوس بهرنج (Vitus Behring) قائماً فيها أول مدينة سنة ١٧٨٤ وسماها سيتكا (Sitka) وحيث إن القانون المتبع في أوروبا أن كل شخص أوروبى يكشف أرضاً من بلاد المتوحشين تكون هذه الأرض تابعة للحكومة التى يتبعها هذا المكشّف فهذا القانون صارت الاسكا ملكاً للروسين . وقد كان الأمر يكون يعتقدون أن أراضي الاسكا غير قابلة للسكن فيها لشدة بردها وكثرة ثلوجها ولن تكون أهلة إلا ببعض من (الايكيمو) الذين يجملون هذا الجحوق وكانوا يؤكّدون أن أرضها لا تنبت شيئاً مطلقاً ولا يربحى منها فائدة ولذا لما أرادت حكومة الولايات المتحدة شراءها من روسيا قام في وجهها المعارضون ومن بينهم نائب مدينة نيويورك فإنه عارض أشد المعارضة في مجلس النواب (البرلمان) قائلاً إننا لا نريد شراء مستعمرات روسية غضب عليها المولى سبحانه وتعالى فسلط عليها البرد القارس . وقام آخر عزّزه في أقواله مشيراً على أعضاء مجلس النواب (البرلمان) بشراء جرينلاند بدلها وثالث قال إذا كنتم تريدون شراء الاسكا أن تخطبوا ودّ الروسيا فهيها سبعة الملايين دولار وأتركوها للروسين ملكاً حلالاً لهم . ثم قام نائب آخر وقال : لا تسرفوا في أموالنا واصبروا قليلاً فستتركها الروسيا ووقتئذ خذوها وضموها إلى

بلادكم أتتجاهلون أيها السادة ؟ ألا تعلمون أن هذه الجهات هي منبع  
البراكين ؟ إننا لا نريد شرًا لابناء وطننا . ولكن لحسن حظ  
حكومة الولايات المتحدة تقلبت آراء المعضدين لمشروع الشراء  
على حزب المعارضين وتمت الموافقة على دفع ثمن الاسكا للروسيا  
وضمها إلى أراضي الولايات المتحدة . فإذا كانت النتيجة ؟ إن هذه  
الولاية الجديدة أصبحت أغنى ولايات الدنيا فإنه كشف فيها منجم  
للذهب يلزم لاستخراجه حتى يتقد ٥٠,٠٠٠ عامل يشتغلون  
فيه مدة ٥٠ سنة ومثل هذا العدد وهذه السنين كذلك لمنجم الفحم  
ومنجم النحاس

ولا أطيل عليك أيها القارئ في وصف كل ما قيل في هذا  
الإعلان الذي ترجمت لك منه بعضه وكفى أنه نشره تصریح  
المستر فريدريك (M. Frederik) الذي قال : إن الاسكا أغنى  
في الذهب من كاليفورنيا وأستراليا وجنوب أفريقيا وفي الفحم من  
پانسيلفانيا (Pennsylvaine) وويلس (Wales) وفي الأراضي الصالحة  
لتربية الحيوانات من مقاطعات الكنتزاس (Kansas) وأوكلاهوما  
(Oklahoma) وتيكساس (Texas) فقد جعلها إذا أغنى من كل بقاع  
الدنيا ومن ضمنها أمريكا . وقد قيل في آخر الإعلان إنه قد استخرج

من مناجم الذهب وحدها في الاسكا من سنة ١٨٨٥ إلى اليوم ما قيمته ٢٠٠ مليون دولار وهذا غير دخل باقي المعادن الأخرى

وبينما كنت أقرأ هذا الإعلان تقدم إلى المستر دومان مفتش الشركة العام وبمناسبة هذا الإعلان أخبرني أن عدد المهاجرين إلى الاسكا يوم أن كشف منجم الذهب كان عظيما جدا حتى إن البوانتر كانت كلها مكتظة بهم ولم يكن ما فيها من الأطعمة كافيا لجميعهم على حسب ما ينبغي فكانت جميع ردهات البوانتر ومماشيا مملوءة بهؤلاء المسافرين الذين أثرت فيهم الإعلانات الكثيرة التي انتشرت في جميع بلاد الدنيا قائلة إن الاسكا كلها مناجم ذهب ومعلوم لهم أن كل من كشف مكان منجم تتساهل الحكومة في بيعه له بشروط خفيفة جدا فلا الأمل قلوب هؤلاء المهاجرين وبينهم الأمريكيون أنفسهم وكان الاعتقاد السائد أن كل من نيش في أرض الاسكا يعثر على منجم فلذا وقد الناس من كل فج عميق مسرعين إلى هذه الجهات طمعا في الثروة مع ما يلاقونه من شدة البرد وغلاء أسعار أسباب المعيشة فإن البيضة الواحدة قد اشترت بدولار ولما كان عدد القادمين على الاسكا كثيرا جدا أقبل البقالون عليها أيضا لبيعوا



بضائعهم وفي الحقيقة هم الذين كان نصيبهم من الكسب أكثر ممن  
عدهم حتى من الذين كشفوا المناجم فلنهم كانوا يبيعون بضائعهم  
بأثمان عالية جدًا فهم الذين جنوا جل الثمار التي أثمرتها أعمال  
هؤلاء المهجرين المساكين فكأنهم ما زرعوا إلا ليحصد هؤلاء  
البقالون . وقد علمت عن جوف هذه الجهات أن شواطئها تصلح  
للسكن فيها ولكن لا يمكن لأى مخلوق أن يعيش فيها وراء جبالها  
أو داخلها

هذا ومن العجيب أن أول من كشف أكبر منجم للذهب  
في الاسكا لا يملك أكثر مما دخله . . . دولار وذلك لأنه لم يعرف  
قيمته وباعه بثمان بجنس جدًا . ومن نوادر حسن المصادفة أن ثلاثة  
صيادين نرويجيين اشتدّت عليهم الأمطار وكانوا وقتئذ يصطادون  
في جهات الاسكا بجوار نهر يدعى سيربانت (Serpent) فالتجئوا إلى  
حفرة ليقوا أنفسهم من شر الصواعق وقد قرب الدم أن يجمد  
في أجسامهم من شدة البرد فاقترح أحدهم على الآخرين أن يشتغلوا  
في الحفرة في هذه الحفرة حتى يحركوا أعضائهم فيجربى الدم في عروقهم  
حتى لا يموتوا شهيداء البرد فشرعوا في هذه الحركة المباركة التي  
أوصلتهم إلى تكثيف منجم ذهب من أكبر المناجم وقد كانوا عقلاء

فلم يبعوه بل حفظوه لأنفسهم وبهذه المصادفة الجميلة انتظموا  
في سلك أ كبر الأغنياء

في منتصف الساعة الثامنة صباحا وصلنا إلى مدينة فيكتوريا عاصمة  
كولومبيا الإنكليزية (British Columbia) وهي واقعة على الشاطئ  
الجنوبي من جزيرة فانكوفر (Vancouver) وعدد سكانها ٣٠٠٠٠  
نسمة ويسكنها كثير من الصينيين وقد شعرنا بمجرد وصولنا إليها أننا  
نخرجنا عن بلاد الولايات المتحدة لما رأينا بها من السكون واتباع  
نظام البلاد الإنكليزية وقد أُنشئت هذه المدينة في سنة ١٨٤٢  
لتكون محطة لشركة (Hudson Bay Co.) ولكنها لم تطر شهرتها إلا في  
سنة ١٨٥٨ حين ابتداء اكتشاف مناجم الذهب ففزنا إلى الرصيف  
ولما كانت المسافة منه إلى وسط المدينة تبلغ كيلو مترين أردنا أن  
نركب في الترام الذي يخترق شوارعها ولكن تقدم إلينا حوذي وقال  
لنا إن الترام لا يسير إلا كل نصف ساعة فإذا أردتم ذهبتم بكم  
في عربتي إلى ما يلزم زيارته من المحال ولا أطلب منكم أجرا أكثر من  
أربع دولارات فقبلنا منه ذلك وذكرنا له أننا قرأنا في دليل (Baedeker)  
أن هناك ميناء تدعى اسكيمالت (Esquimalt) بها قلاع وثكنات وهي  
محطة عسكرية للبوارج الحربية الإنكليزية التابعة لأسطول المحيط

الباسفيكي وزريد أن تذهب بنا إليها لترى موقعها والبوارج الراسية في مياهها فطلب منى دولارين زيادة عما اتفقنا عليه بحجة أنها تبعد ٥ أميال عن المدينة . ركبنا عربته وسار بنا قليلا فلقينا سيارات ذات عداد ( تاكسى ) معذرة للإيجار فأسفنا لعدم استئجار واحدة منها حتى نتمكن من رؤية كل ما تشتمل عليه هذه المدينة في زمن قليل . مشى بنا السائق بجانب شاطئ البحر إلى أن وصلنا إلى منتزه طبيعي لا يخلو من الجمال وقد رأينا في وسطه بحيرة صناعية بها كثير من أنواع الطيور ثم استمر في شارع عظيم إلى أن قربنا من منزل منبى على تل فقال لنا السائق إنه مسكن حاكم كوليا العام وبعد ذلك وصلنا إلى مباني شاهقة ذكر لنا السائق أنها مركز الحكومة فأحدها مجلس النواب وثانيها دار الآثار وثالثها المكتبة العامة ورابعها مركز المحافظة وأمامها تمثال السير جيمس دوغلاس (Sir James Douglas) أول حاكم انجليزى لهذه المستعمرة وقد رأينا عمالا كثيرين يشتغلون في هذه الجهة لتنظيم شوارعها وإتقان أرصفتها وأظن أنها بعد تمام العمل ستكون من أحسن وأجمل الجهات

ذهبا بعد ذلك إلى حي الصينيين وألقينا نظرة عاتمة على مساكنهم وحوالياتهم وتديهم فلم نر شيئا يستحق الذكر ثم سار بنا السائق في

شارع عظيم به كثير من المعامل فكان الدخان يتصاعد منها وينتشر علينا حتى إننا اضطررنا أن نضع على أنوفنا مناديلنا حتى لا نستنشق هذا الدخان وقد رأينا مخازن خشب التهمتها النار فصبرتها رمادا وبعد ذلك أخذ طريقنا يصعب وكان العمال يشتغلون في رصفه وقد قرأنا على هيئة سكان المدينة وما يبذلوا من حافهم أنهم ليسوا على جانب عظيم من الثروة كسكان الولايات المتحدة أما العمال فأغلبهم صينيون . ثم وصلنا إلى ميناء ايسكيماوت فلم نجد في مياهها إلا بارجة واحدة قديمة أما قلاعها فلم نتكمن من رؤيتها لأنها مستورة فأمرنا سائق عربتنا أن يعود بنا إلى المدينة وقد علمنا أننا اغترنا بما قرأناه في الدليل .

وقدنا أمام دكان اشترينا منه بعض بطاقات البريد ( كارت پوستال ) ثم ذهبنا لزيارة المتحف (Musée) وقد دخلناه ونحن على يقين من أنه ليس فيه شيء يذكر لكن ظهر لنا أنه على صغره مملوء من مصنوعات الهنود وبعض أكوامهم القديمة وملابسهم الوطنية وعددهم الحربية وقد رأينا بين مافيه من الآثار (بُطاً) وفؤوسا من الخشب أو من الحجر ولو كانت معنالم أئرى لظن أنها من ابتداء نشأة العالم ولكن الحقيقة أن أولئك الهنود لجهلهم ولوحشيتهم كانوا يستعملون هذه الآلات إلى أن كشف بلادهم الأوروبيون فتاريخ استعمال هذه

الآلات عند الهنود قريب العهد بالنسبة لتاريخ استعمال مثل هذه الآلات في أوروبا لما كان الجهل تخيم على سكانها . دخلنا بعد ذلك في قسم التاريخ الطبيعي فرأيناه حاويا لكثير مما يهم علماء هذا العلم النفيس ثم مررنا على غرف تحوى كثيرا من حيوانات وطيور هذه الجهة ( محظلة ) وموضوعة في أماكن تلائم طبائعها وقد ألقت نظرنا طير صغير جدًا (Oiseau mouche) أعرف أنه يوجد مثله في بلاد البرازيل الحارة ولا أعلم كيف ينسب إلى طيور كولومبيا التي جوها بارد مع أنه لا يمكنه أن يعيش إلا في البلاد الشديدة الحر

سألت أحد مستخدمى هذا المكان هل في مكاتب المدينة كتب بها أشكال حيوانات كولومبيا وطيورها فأجبنى يمكنك أن تقف على مطلوبك في مكتب الاستعلامات التابع للحكومة ثم دلتني على طريقه فذهبت إليه فوجدت فيه أربع غلمان يشتغلون بترتيب الكتب فسألت أحدهم عن مطلوبى فقادنى إلى شيخ بلغ من العمر عتياً فقال لى ذلك الشيخ إن الكتاب الذى تطلب قد فقدت نسخته والحكومة تستغل الآن بإعادة طبعه وأخيراً أعطانى بعض كراسات بها صور كثير من طيور كولومبيا وحيواناتها فاكفيت بها وبعد ذلك عدنا إلى بئرتنا .

أقلعت بنا البانحة في الساعة الثانية مساء متجهة إلى الشمال وقد كان الجو مكفها والضباب منتشرًا حتى ملأ الفضاء ولكن مع هذا الظلام كنا نشاهد ألوفا من الجزائر الصغيرة بعضها بجانب بعض وكلها مكسوة بالأشجار العظيمة ومقفرة من السكان وبعد أن مرنا هنية شاهدنا منارا على صخرة قائمة في البحر فقله در الموكلين بحراسته وما أصبرهم على الإقامة في مكان موحش فإنيهم منقطعون عن العالم .

إن رؤية هذه الجزائر الصغيرة شوقني لأن يكون لي سفينة ترتع في البحر متنقلة بين الجزائر لأركب فيها ويصحبني من رفاقي المغرمون بجمال الطبيعة والصيد في البحار لقضاء وقت معهم في حياة بحرية تملأ القلوب انشراحا وأظن أنه لو تم لنا لأنسام هذه المعيشة البحرية ولا نعدم في خلالها صيدا من حيوان وطيور .

إن البحر كان هادئا وكان الشمس اطلعت على مافي قومنا من أمنية التمتع بجمال هذه الجزر المتقاربة وأن هذه الأمنية لا تم لنا إلا إذا بسطت أشعتها الذهبية على تلك الجزر فرفعت لنا جب السحاب والضباب وأسفرت حتى بدت لنا مناظر تلك الجزائر البديعة فحمدنا الله إذ لم يحرمنا من تلك الأمنية . وبينما كنا نشاهد جمال الطبيعة سمعنا أن سيدة ستلقى على المسافرين محاضرة في شؤون (الاسكا) فذهبنا

لسماعها وإذا هي سيّدة في منتصف العمر وقد أخذت تسرد تاريخ حياتها وتذكر أنها مضى عليها عشرون سنة لم تنقطع في خلالها سنة واحدة عن زيارة تلك الجهات الجمال مناظرها واعتدال هوائها وإن مثل هذه السياحة تجدد في الإنسان النشاط وتكسبه صحة ثم صارت تتكلم عن معيشة الهنود الأمريكيين وبعض عاداتهم وأنهم إلى اليوم لم يحسن ظنهم في الجنس الأبيض ولم يشقوا تمام الثقة بأنه يريد بهم خيرا ويعلمهم ويرشدهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور وقد دلتنا كثرة إطلالتها على أنها مأجورة من قبل الشركة لترغب السائحين في العودة لزيارة هذه الجهات ولتحثهم أن يفسروا في العالم هذه الفكرة التي تعود بلا شك على الشركة بالقائدة العظيمة ثم أخذت تشرح برنامج اليوم الثاني من أيام السياحة وما سنراه من العجائب .

في صباح يوم الجمعة ٢١ يونيه قنا مبكرين وخرجنا من غرفنا فوجدنا الجورديش عابسا فلا يكاد الإنسان يرى شيئا من كثرة الضباب وقد كنا إلى هذه الساعة نسير بين هذه الجزر وما أتت الساعة الحادية عشرة حتى خرجنا منها وأخذت الباخرة تسرع متغلغلة في عرض البحر فتغيرت الحالة وشرعت السفينة تلعب كالريشة في مهب الرياح فالتجأ المسافرون إلى غرفهم طلبا للراحة مما أصابهم

من آلام البحر ولم يستطع إلا القليل منهم تناول الطعام ولكن هذه  
الحالة لم تدم كثيرا في نحو الساعة الثالثة بعد الظهر دخلنا مرة ثانية  
بين جزائر كثيرة فسكن البحر وخرج كل من نجته وقد لاحظنا أن  
أغلب المسافرين بلغوا من العمر عتيا وقد أخبرني المفتش العام للشركة  
أنه مضى عليه أكثر من عشر سنوات وهو يسافر في أول بانة تنهب  
إلى جهات الامساك وفي كل مرة كان أكثر من ثلثي المسافرين لاسيا  
السيدات يزيد عمرهم عن الخمسين سنة فبحثنا عن السرفى ذلك  
فاهتدينا إليه وهو أن هذه السياحة عليه أكثر منها خيالية فلاحظنا  
فيها للفتيات والشبان لأنهم لا يجدون فيها طلبتهم ولا ما يصرهم من  
أنواع الملاهي كما في البلاد الكبيرة الشهيرة بالملاذات وقد اجتمعت  
كل العجائز حوانا وصرن كلهن يتكلمن ويفهقن بأعلى أصواتهن  
فهربنا من جوارهن حتى لا يصيبنا من جراء لغطهن وجليتهن صداد  
في رؤوسنا ولقد عجبت من أمرهن ولم أدر كيف يفهم بعضهن من  
بعض من خلال تلك الأصوات المختلطة . وهن في الحقيقة أكثر  
المسافرين راحة إذ يجلسن حيث يشأن ويفسح لهن المجال في ذلك  
من هم دونهن سنا .

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم السبت ٢٢ يونيو سمعنا



الصفير ثلاث مرات وفي ذلك إشارة إلى أننا دخلنا في مياه (الاسكا) التابعة للولايات المتحدة وتبع ذلك الصفير أن صاحبت جموع الأمريكيين صباح السرور (Hourras) وهم يطلبون السعادة والرقى لوطنهم العزيز فأعجبنى هنا الشعور الصادر من القلوب المخلصة لبلادها فإن هذا الحب الصحيح تجلى على وجوههم فنطقت به .

. وفي الساعة الثالثة بعد الظهر قربنا من صحرة بارزة في البحر وصرنا نسمع من الحاضرين ما يدل على عظيم إعجابهم بها ولكنها لم تؤثر في نفوسنا تأثيرا يذكر كما أثرت في نفوسهم . وفي الساعة الرابعة دخلت بنا السفينة في مضيق يسمى (Rudyerd Fjord) وهو جميل جدًا وفي بعض الأوقات كنا نمر بين شاطئتين قريين جدًا منا فبى الأرض مكسوة بالأشجار ولكن رداءة الحقو حرمنا من التمتع بجمال هذه المناظر فتقدم إلى مفتش الشركة العام وقال : إنه سيأمر ربان الباخرة بالذهاب إلى مضيق آخر أجمل من هذا لم يذهب إليه سفينة من قبل لئلا تمتعوا برؤية جماله لأنكم حرمت من التمتع بجمال هذا المضيق لرداءة الحقو فشكرت له على تطفئه وحسن عنايته بنا ثم سارت الباخرة بنا لتكشف هذا المضيق ولحسن حفظنا أخذت الغزالة تجود علينا بأنوارها الساطعة ودخلنا المضيق والباخرة تسير بنا سيرًا بطيئًا ونحن

نصجب من المناظر التي حولنا وبيننا نحن نتمتع برؤية هذا الجمال  
وقفت بنا البانخرة فسألت عن السبب فقال لي أحد المسافرين إن  
المفتش العام ينزل الآن ومعه فتاة محتررة في مجلة تصويرية لرسم  
صورة البانخرة ومن عليها من السائحين وبعض مناظر هذه الجهة  
واستطرد في كلامه قائلا إنه أحسن إلينا كثيرا فزار هذا المضيف منة  
له علينا تستوجب شكره ولكنه لم يضع الفرصة السانحة له ولم يخرج  
من عمله بدون فائدة تعود عليه فإنه سينشر في المجلات العلوية وغيرها  
خبر دخول بانخرته في هذا المضيف الجميل وثقل هذه المجلات تلك  
الصور التي رسمها وتظن في مدحها فتزداد رغبة الأمريكيين  
وغيرهم في مشاهدة هذه الجهات وهذه يأسى حالة الأمريكيين  
في جميع أعمالهم لا يعطون بدون مقابل .

عادت البانخرة إلى السير بعد أن انتهى المفتش العام من التصوير  
ونحن دخلنا في ردهة البانخرة وإذا بسيدة تصيح بأعلى صوتهما بين  
الحاضرين إني أقترح عليكم جميعا أن تصيحوا معي في الساعة التاسعة  
مساء ثلاث مرات فليعيش ربان البانخرة وليعيش المفتش العام للشركة  
مكافأة لما على ما صنعاه معنا اليوم من الجميل الحسن ولكننا لم ننتظر  
هذه الساعة بل ذهبنا إلى غرفتنا للنوم والراحة .

قمت نحو الساعة الثالثة من صباح يوم الأحد ٢٣ يونيه فلم أشعر  
بسير البخرة فعملت أننا وصلنا إلى بلدة كيتشيكان (Ketchikan)  
ولكنى لم أخرج من غرفتى وفى منتصف الساعة الثامنة أخذت شيئا  
من الطعام ثم نزلنا إلى الرصيف لزيارة هذه البلدة

إن هذه البلدة يبلغ عدد سكانها ٥٠٠ نسمة وثلثهم من الصينيين  
واليابانيين وأغلبهم صيادون وبعضهم يجترى فراء الدب وغيره وهى  
قذرة جداً ورائحة السمك منتشرة فى هوائها أما شوارعها فقد غطيت  
بالواح من الخشب لرطوبة أرضها ومنازلها صغيرة وحقيقية وقد دخلنا  
بعض حوانيتها فلم نر فيها شيئا يذكر وقد رأينا قرب أحياء الهنود أعمدة  
من الخشب قائمة وقد نقش عليها رسوم غريبة وعلى رأس بعضها  
صورة نوع من الطير وبعضها على رأسه صورة نوع من السمك أو  
الضفدع وكلها ملونة بألوان غير متقنة وبالجملة صنعتها تدل على انحطاط  
مدارك أصحابها وبعدهم عن الحضارة ذهبنا بعد ذلك لرؤية جندل  
فشينا بجانب مجرى ماء كان يمتشق أراضى زراعية خصبة إلى أن  
وصلنا إلى سلم من خشب فصعدنا فيه ولكن لا بدّ دون الوصول إلى  
أعلى مكان يرى الإنسان منه هذا الجندل أن نعبّر جسرا (كوبرى)  
من خشب وهو مكون من لوحين متجاورين بدون حاجز يقى المارين

شر السقوط فلم يخاطر زميلنا مصطفي بك بحياته فيمشي عليه . وقد  
قالنا أحد سكان هذه البلدة وقال لنا لا تتبعوا أنفسكم ولا تتجاوزوا  
مكانكم فليس هناك شئ يستحق هذه المخاطرة وقد أخبرنا أن هذا  
الجسر يمتد إلى مسافة ربع ساعة وينتهي بغاية لا طريق فيها صالح  
يوصلكم إلى نهاية مرغوبكم وقد كست أود أن أذهب إلى البحيرة التي  
تكون من ماء هذا الجنتل لأن السيلة التي تحطب كل يوم في البانرة  
وتصف بجانب ماسنراه في اليوم التالي كانت أخبرتنا بأن مقداراً عظيماً  
من سمك (البقلاء) في هذه البحيرة حتى إنه يتيسر لكل من أراد أن  
يصطاد منه بيديه بدون شرك وقد كنت واثقاً بأن كلامها لا أصل له  
ولكني كنت أريد أن أرى بنفسى هذه البحيرة حتى أحكى عما  
شاهدته عياناً لمن يزعم هذا الكلام الباطل . هذا وقد كانت  
أطلقت للسائها عتائه وصارت تشرح للحاضرين بعض تاريخ حياة هذا  
السمك وسأذكر هنا للقراء ملخص ما قالت على سبيل الفكاهة .  
هذه الباحثة قالت إن هذا النوع من السمك بعد أن يكبر في هذه  
البحيرة يتبع مجرى الماء وينحدر إلى الأسفل ولكنه قبل أن يموت  
بأربع سنوات يعود إلى المكان الذي خلق فيه فيتكبد مشاق الصعود  
بين تسلق صخور ومرور بين جذور أشجار تأكل من جسمه وقد رؤى

بعضها ممزق الجسم وبعضها فاقد البصر ولكنه لا يرجع عن العودة إلى مكان نشأته حبا لوطنه الأصلي فهل هذا الكلام يتصوره العقل ؟ كلام م كلا ومع ذلك فقد كانت محاضرتها تسر السيدات حتى كان تصفيقهن لها حادا جدا يصم الآذان . إن السيدات مهما بلغن من التعلم فلنهن سرعات التأثير تتلاعب بعقولهن الأوهام فيصدقن كثيرا من الأباطيل التي قلما يتأثر بها الرجل المتعلم فيصدقها ولذا لم أر واحدة من اللاتي سمعن هذه المحاضرة إلا وهى مصدقة لأقوال هذه الباحثة في أخلاق السمك . كيف يمكن تصديق هذه الخرافة والإنسان يعاني بما يعاني للوصول إلى هذه البحيرة فهل يعقل أن السمك يصعد إلى قمة صخرة يزيد ارتفاعها عن عشرة أمتار ويقاوم تيار المياه المتدفقة بسرعة هائلة ؟

علنا بعد ذلك إلى داخل البلدة ووقفنا أمام مطعم صيني وآخر ياباني وقرأنا اللوحتين المعلقتين أمام بابيهما وقد كتب عليهما باللغتين الإنجليزية والصينية أو اليابانية وقد رأينا بين الأطعمة لحم الكلب وعيون السمك وأظن أن هذين المطعمين مشهوران بإتقان هذين الصنفين . ذهبنا بعد ذلك إلى معمل حفظ السمك الشهير فقطعنا الطريق الموصل إليه في ٥ ٤ دقيقة على الأقدام وقد شمنا رائحة

السّمك على بُعد عظيم منه وقد رأينا أملمه عددا كبيرا من الصّاديق  
التي يوضع فيها السّمك ويصدر إلى الجهات البعيدة والدخول  
في هذا العمل مباح لعلمة الناس فابتدأنا برؤية المكان الذي يرد إليه  
السّمك أولا ثم يفرز ويوضع كل نوع على حذته وبعد ذلك انتقلنا  
إلى الغرفة المتلجة التي يحفظ فيها السّمك ويؤخذ منها ويقم إلى  
الآلة التي تقطع رأسه وذنبه وتفتح بطنه وتغسله وتنظفه ثم ترتبه  
وتضعه في الصّاديق وتغلقها عليه فتستد سدا محكما بالمسامير كل هذا  
يحصل بقوة البخار وبسرعة عظيمة وقد سمعنا أبّ النوع الجيد من  
السّمك المحفوظ يصدر إلى نيويورك وشيكاغو والفاسد منه يرسل  
إلى الصين ولم يمكنا أن نقف كثيرا في هذه الغرفة المتلجة لثمة بردها  
فخرجنا مسرعين وعدنا إلى البّاحة

أقلعت بنا البّاحة من كيتشيكان (Ketchikan) في نحو الساعة الحادية  
عشرة ومن ذلك الوقت إلى أن صارت الساعة ٤ و ٥ دقيقة لم نر  
منظرا يستحق الإعجاب ولكن بعد ذلك أخذنا نسير في مضيق  
لا يزيد اتساعه عن اتساع نيل مصر عند قصر النيل وقد كانت  
البّاحة تسيّر بين علامات طاقة على وجه الماء حتى لا يتعطل سيرها  
وقد مررنا على معمل سمك على شاطئ هذا (القتال) الطيّعي يسمى

معمل سان بطرسبرج فأردت أن أصوره بجماله ولحسن موقعه فلم  
أتمكن من ذلك وعزمت على رسمه عند العودة إن شاء الله . إن  
ماء البحر في هذا المضيق كان ساكنا صافيا حتى كنا نرى كل شيء  
في مقره كأنه مرسوم على سطح الماء وقد قطعناه في ساعتين ونصف  
وبعد ذلك أخذنا نقرب من أمكنة الثلوج التي كانت تنفصل منها  
قطع وتعم على وجه الماء وكنا نشاهدها وتمسها بالخرتنا وفي الساعة  
التاسعة مساء افترقنا للنوم ولكن من أين ياتينا ذلك والشمس  
لا تقرب قبل نصف الليل

رست الباترة قبل الساعة السادسة صباحا من يوم الاثنين ٢٤  
يونيه في مكان الثلوج الذي يسمى تاكو جلاسيه (Taku Glacier)  
فاسرعنا بارتداء ملابسنا ولما خرجنا من غرفنا وجدنا الباترة محاطة  
بقطع كبيرة من الثلوج بعضها أبيض ناصع وبعضها الآخر أبيض مائل  
إلى الزرقة خفيف إلينا أننا في القطب الشمالى لأننا حيث نوجه نظرنا  
لا نرى إلا الثلجا وقد كنا نسمع بين وقت وآخر صوتا يشبه صفير  
الرعد وكان ذلك ناشئا من انفصال الثلوج وسقوطها في البحر ولا نسل  
عن مناظر أمكنة الثلوج فلننا رائحة جميلة وتلك الأمكنة متسعة الأرجاء  
لا يبلغ البصر مداها ومن العجيب أنها أيضا مختلفة الألوان والأشكال

بجزء منها مستولون بعضه أبيض ناصع والبعض الآخر أزرق وجزء آخر به تلال من الثلج رؤوسها بيضاء وقواعدها زرقاء وآخر أزرق الرأس أبيض القاعدة

فتصور أيها القارئ سكان البحر وصفاء مائه الذي يتخلله قطع لاتعد من الثلوج بألوانها المختلفة حول بائرك وعلى مسافة منك أمكنة الثلوج الهائلة على أوصافها السابقة فهل يمكن أن ترى منظراً أبعد من ذلك

في نحو الساعة ٩ والدقيقة ١٥ قلمت بنا البخرة تقصد تريديويل (Treadwell) فوصلنا إليها في الساعة ١١ والدقيقة ١٥ ولما أردنا النزول من البخرة تقدم إلى المستردوم من مفتش الشركة وقال لي لاتصحبوا الدليل كباقي السائحين فإن أردتم أصحبكم لأريك ما بهكم رؤيته مما في هذه البلدة فقبلنا منه ذلك مع الشكر وتزلنا معه فذهب بنا أولاً إلى مخزن تجارة به كل أنواع المأكولات المحفوظة في الصناديق وأنواع الحلوى وكثير من ملابس الرجال والسيدات وبالجملة به جميع الحاجات الضرورية للإنسان وهذا المخزن يبيع للعمال الذين يشتغلون في مناجم الذهب التي بتريديويل وبعد ذلك استأذن منا في مقابلة مدير أهم منجم في هذه البلدة ليأذن لنا بالدخول فيه لرى كيف



يستخرج الذهب من بطون الأرض وبعد قليل من الزمن عاد إلينا  
ومعه أحد مستخدمى هذا المنجم وذهبنا كلنا أولاً لزيارة مساكن  
العمال فإذا هى بالغة غاية النظافة وحسن الترتيب ثم دخلنا فى المطعم  
وهو عبارة عن غرفة واسعة بها عدد عظيم من الموائد عليها الأطباق  
وكل ما يلزم لتناول الطعام فاعجبنا عظيم الاعتناء بها وقد وضع فى أركانها  
بعض شجيرات خضراء لتزدان بها وقد وجدنا فى أحد أركان هذه  
الغرفة ثلاث قدور (صمورات) إحداها للقهوة والأخرى للاء المسخن  
والثالثة للشاي . دخلنا بعد ذلك إلى المطبخ فوجدناه لا يقل نظافة  
عن غرفة الطعام . وبالجملة قد روعى فى كل ما زرناه جميع أسباب  
الراحة ولم أر نقصاً فى جميع نظام هذا البناء العظيم الذى يسع الألوف  
من العمال وعند خروجنا منه وجدنا أمله كل ما يستعمل عادة فى إطفاء  
الحريق على أحدث طراز وقد حكى لنا عامل المنجم الذى معنا أنه  
فى كل شهر تجرى مسابقة بين طوائف العمال الموكلين بإدارة المضخات  
وتركيب خراطيم المياه وغيرها وعدد كل طائفة ثلاثة عمال والذين  
يحوزون قصب السبق يتالون مكافأة قدرها . ٥ دولاراً وقد  
خصصت الشركة هذه القيمة الكبيرة لتنشط العمال ولتأمين على  
عمارتها العظيمة من شر الحريق أما هؤلاء العمال فإنهم خليط من

البابانيين والتمسويين والروسيين ورؤسائهم أمريكيون . ذهبنا بعد ذلك إلى بناء أصغر من الأول ولا يبعد عنه إلا بعض أمتار وإذا هو ناد يشتمل على غرفة للطالعة بها مكتبة حاوية جملة مجلدات وجراند أمريكا ومجلاتها ثم غرفة أخرى بها ملاعب مختلفة كالبلياردو وغيره وقد علمنا أن من أراد من العمال أن يكون عضوا في هذا النادى فعليه أن يدفع كل شهر دولارا ونصفا . ذهبنا بعد ذلك إلى الحمامات فوجدناها نظيفة جدًا وقد رأينا فيها حوضا كبيرا وضع عليه بعض ألواح ليلقى العامل نفسه من فوقها إلى وسط هذا الحوض ويسبح في مائه ووجدنا أيضا بعض الآلات المستعملة للرياضة البدنية وقد اعتنى بتنظيم هذه الحمامات فإنها لا ينقصها الحمامات البخارية ولا أنواع ( الدش ) وقد يأتي إليها كثير من سكان هذه البلدة وبلدة جونو ( Juneau ) القريبة من هنا فيدخلونها بأجرة يدفعونها . خرجنا من هذا النادى فوجدنا أمامه رحبة عظيمة معدة لكثير من الألعاب الرياضية ( كالتينس ) وغيره ثم ذهبنا بعد ذلك لثرى كيف يستخرج الذهب من بطون الأرض فوقع نظرنا على بناء كبير كقطعة من جبل يدل شكله الخارجى على أنه مقسم إلى جملة أقسام فإن سطوحه بعضها مستطيل ومرفع وبعضها الآخر مربع ومنخفض

أما عدد المداخل فكثير جدًا والدخان المتصاعد منها يدل على ان  
الوقود الذى يحرق فى هذه المعمل كثير جدًا وقد رأينا أبوابها منسعة  
وتخرج منها خطوط حديدية تمتشى عليها عربات تحمل الأتربة التى  
يستخرج منها الذهب ونجمر هذه العربات قاطرة صغيرة ولكنها كافية  
لتسيرها بسرعة عظيمة فألقينا أولاً نظرة عامة على هذا النوع من التراب  
فإذا هو عبارة عن خليط من الرمال وبعض قطع من الحجارة التى يشبه  
لونها لون ما يصنع منه القفل المصرية (القناوى) ولا يمكن للإنسان أن  
يرى فى خلالها أثراً للذهب فاستغربنا من ذلك لأن بعض الناس  
يعتقد أن الذهب يخرج من بطون الأرض سبائك أو تيراتعما إلا  
أنه يكون مختلطاً ببعض معادن أخرى تفصل عنه بمواد كهاوية أو  
بصهره فى تناير مرتفعة الحرارة إلى درجة معلومة فرؤينا هذا التراب  
أبعدت عنا هذه الفكرة - دخلنا بعد ذلك فى هذا المنجم وإذا نحن  
فى ردهة عظيمة الاتساع تدخل فيها هذه العربات الصغيرة وتفرغ  
الأتربة والحجارة الصغيرة فى هواون مصفوفة بعضها بجانب بعض على  
خط مستقيم و فوقها عمود يسقط فيها ويحرك بسرعة مدهشة فيجعل  
هذه الأتربة والحجارة كاللحبق وقد اعترتنا الدهشة من كثرة الضوضاء  
فإن الإنسان إذا صاح بأعلى صوته لا يمكن أن يسمعه أى شخص ولو

كان قريبا منه فشعرت بحالة هؤلاء العمال التعبة ولا بد أنهم يخرجون بعد انتهاء أشغالهم وهم لا يسمعون ولا يعون قضلت حالة زراعتنا في أراضي مصر الحصبة عن حالة هؤلاء الساكنين وحمدت الله كثيرا إذ من علينا بما يغنيننا عن هذه المعيشة الشاقة . رأينا تحت كل هاون منضدة (طبلية) مستطيلة تهتز من الخلف إلى الأمام بسرعة بطيئة فيسقط عليها التراب الناعم وتدفعه مياه مسلطة عليها فيسقط على منضدة أخرى مستطيلة مصقولة صقلا تاما ومغطاة بلوح من الفضة ناعم جدًا فالماء يدفع ماعلى المنضدة الأولى من التراب فيسقط على الثانية ويدفعه أيضا إلى مجرى ماء شديد يدفعه إلى الخارج وبهذه الطريقة يرسب على المنضدة الثانية طبقة رقيقة جدًا من معدن الذهب والفضة وغيرهما وقد أحصينا عدد المناضد المسكوة بالألواح الفضية فإذا هي ثلاثون وعند ما ترى العمال أن هذه الطبقة كست اللوح بمنعون سقوط الماء عنه ويحفظونه ثم يكشطون هذه الطبقة بسكين حاد ويجمعونها في بودقة وقد بحثنا فيها فلم نجد للذهب ولا للفضة أثرا وبعد ذلك يضيفون إلى هذا التراب المستخرج أخيرا جزءا من الرصاص وأجزاء أخرى كيميائية يضعونها في تنور درجة حرارته معلومة عندهم مدة ٤ دقيقة فيمتزج الرصاص مع الذهب والفضة ويسقط

في قاع البودقة فتكون طبقة تشبه الزجاج فوق هذا المزيج منفصلة عنه تغطي هذه الطبقة ويوضع مزيج الذهب والفضة والرصاص الذي تبلغ زنة ما يكون منه في بودقة واحدة من ٢٠ إلى ٣٠ جراما في بودقة أخرى من (السمينو) ويضاف إليه مواد كيميائية أخرى ثم يوضع ذلك في تنور شديد الحرارة فيتيخر ثلث الرصاص والباقي منه ينفصل عن الذهب والفضة ثم يفصلون الذهب من الفضة أيضا وبعد ذلك يسلم الذهب المستخرج إلى عامل يزنه بميزان دقيق جدًا مغطى بالزجاج ثم ينقل بعد وزنه إلى خزانة حديدية لحفظه وقد رأينا هذا الذهب المستخرج فإذا هو قشور رقيقة جدًا كالورق الذي يذهب به بعض أثاث المنازل أما العمال الموكلون بوزن الذهب فإنهم ممن تتق الشركة بأمانتهم وقد تبلغ وظيفة أحدهم في الشهر من ١٥٠ إلى ٢٠٠ دولار لأمانته ودقة عمله وهؤلاء العمال يكتبون في دفتر خاصة بهم مقدار الذهب المستخرج من كل بودقة وقد اتهمت هذه الفرصة لأقف على قيمة ما يستخرج كل سنة من الذهب من هذا المنجم فقيل لي إن كل طن من الأتربة والحجارة يستخرج منه ذهب قيمته ثلاثة دولارات وقد توجد مناجم أخرى يستخرج من الطن الواحد من أترتها أكثر من مائة دولار ولكن هنا السرعة العظيمة في العمل

هى التى تجعل الشركة تبيع فإن دخلها من منجمها فى كل سنة يبلغ مليون جنيه وقد ابتدئ فى استخراج الذهب من هذا المنجم من مدة ٢٥ سنة ويقتظر أن يستمر العمل فيه أكثر من هذه المدة . ذهبنا بعد ذلك لرؤية الآلة المحركة لهذه الآلات (الماكينات) فإذا هى قوية جدًا ثم ذهبنا إلى المصعد الذى يهبط إلى بطن الأرض فيحمل العربى مملوءة بالأتربة إلى سطحها وقد علمنا أن هذه الأتربة تستخرج الآن من عمق ١٠٠٠ قدم وهناك مصاعد أخرى مثل هذا تشتغل فى النقل وقد علمنا أن كل حفرة تحت الأرض تزيد مساحتها عن ١٢٠ مترا مربعا وكلها مضأة بالأنوار الكهربائية التى تولدها آلة كبيرة جدًا تكفى لإضاءة هذا المنجم المتسع وجميع منازل البلدة أما عدد العمال فيبلغ ٣٠٠٠ رجل وصحتهم جميعا جيدة .

خرجنا من هذا المنجم بعد أن شكرنا مندوب شركة المناجم الذى رافقنا فى هذه الزيارة المفيدة ولكنا مدينون بكثير من الشكر للمستر دومان الذى سعى حتى حصل على إذن لنا بالدخول فى هذا المنجم لأنه لولا مساعدته لما أمكننا أن نرى هذا المنجم الذى لا يؤذن بالدخول فيه لغير عمال الشركة .

عدنا بعد ذلك إلى باحرتنا وفى الساعة الثانية بعد الظهر أقفلت بنا

إلى مدينة جونو (Juneau) عاصمة الاسكا الأمريكية فوصلنا إليها بعد ٤٥ دقيقة . نزكنا في هذه العاصمة فلم نجد فيها شيئاً يستحق الذكر وقد أنشئت في سنة ١٨٨٠ ميلادية وشهرتها في تجارة الفراء فاسترضنا قليلاً في شوارعها المغطاة بالخشب ووقفنا بجانب حانوت كان أمام بابيه دب صغير يلعب السابله ثم ذهبنا إلى مكتب البريد البرقي (التلغراف) وأرسلنا إشارة برقية إلى كوك بنيو يورك نسأله فيها أن يبحر لنا إن أمكن غرماً في البخرة التي تقوم من نيويورك في ٢٣ يولييه إلى أوروبا فإن وجد ما يوافقنا نكون بذلك تقدمنا أسبوعاً عن ميعاد السفر المقرر في برنامجنا ووددنا لو تحققت هذه الأمنية فقد زاد اشتياقنا إلى بلادنا العزيزة وفي أوروبا لانهزم من رؤية كثير من أبناء وطننا العزيز .

عدنا إلى البخرة وبعد تناول العشاء نخرجنا منها للاستراحة قليلاً وقد علمنا أن بمدينة جونو بعض مناجم النحاس ولكنها ليست من الأهمية بمكان .

في منتصف الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء ٢٥ يونيه رست البخرة على بلدة سكا جوى (Skagway) وقد قيل لنا إنها مستراضة صغيرة يتوصل إليه بطريق حديدي ولكن المستر دومان نصح إلينا ألا نذهب إليه لاسيما إذا كانت الجو غير معتدل كيومنا هذا الذي

تنهمر فيه الأمطار انهما را فإنتا لا ترى شيئا يعادل ما تنجشمه من  
المشتات قبلنا نصيحتة وقضيتا وقتا مابين جلوس في ردهة الباحة  
وكناية مذكرات عن رحلتى . ولما حل ميعاد تناول غداثنا ذهبنا إلى  
السفرة فلم يكن معنا أكثر من عشرة من السائحين والسائحات فحمدنا  
الله إذ كنا في هدوء لا نسمع جلبة العجائز ولا كثرة كلامهن المقلق  
وبعد أن انتهينا منه ذهب كل منا إلى غرفته للاستراحة قليلا وبينما  
كنت على سرى دخلت على سيلة عجوز بدون أن تستأذنى  
وأخذت من أمانى قلة الماء وأنا أنظر إلى ما تفعل وأعجب من جرأتها  
وعدم مراعاتها الأداب وقد فاتنى أن أذكر أن هذه السيدة حضرت  
الباححة عندى وفتحت باب غرفتى ولما رأتى اعتذرت قائلة إنها  
كانت تظن أن هذا الباب يوصل إلى المطعم فلم أجد لاعتذارها  
وجها يجعله مقبولا .

إن الذين ذهبوا للاستراحة عادوا إلى الباحة بدون أن يصلوا إلى  
غايتهم منها وذلك لرداعة الجو وقد ذهب ما أفقوه في تلك السيل  
هباء مشورا ولم أر على وجوههم أثرا للسرور من رياضتهم هذه فقلت  
في ضميرى حسنا فعلنا إذ لم نفقد شيئا من دراهمتنا ولم يصيبنا من البلل  
ما أصاب هؤلاء الذين ساء حظهم في هذه الاستراحة



بعد ما اعتدل الجوّ قليلا ركبنا في عربة عامة معدّة لنقل السائحين إلى مركز تجارة هذه البلدة بدون أجر فالتقينا نظرة عامة على حوائطها فلم نر فيها شيئا يستحق الذكر إلا جلد دب أبيض معرض للبيع فسألت عن ثمنه فقيل لي ١٠٠٠ فرنك وهو يساوي في بلاد التروج ٢٥٠٠ فرنك على أقل تقدير والسبب في رخص الجلود هنا أن أغنياء السائحين قلما يحضرون إلى هذه الجهات فلا أمل للتجار في طلب ثمن عال لبضاعتهم .

عدنا بعد ذلك إلى البانزة راجلين وفي نحو الساعة الثالثة بعد الظهر أفلعت بنا السفينة إلى بلدة هاينس (Haines) التي تبعد عن اسكاجوى بخمسة عشر ميلا ولما وصلنا إليها وجدناها صغيرة جدا وعدد منازلها لا يزيد عن الثلاثين ولكن بها مركز عسكري به ثكنة للجنود وبجوارها منازل الضباط وقد كان على رصيف الميناء كثير من الجنود ومعهم دب صغير مطلق السراح يلعب معهم وقد سمعنا عنه أنه يترك في الغابة ولما يشتد عليه ألم الجوع يبكي فيرسل له أحد العساكر لاحضاره فيتأديه فيتبعه إلى الثكنة بلا خوف ولا وجل في منتصف الساعة الثامنة قامت بنا البانزة إلى دافيدسون جلاسيه (Davidson Glacier) وقد كانت السماء ترسل وابلا مدرارا

ولكن ما انتصفت الساعة التاسعة حتى انقشعت هذه الغيوم وظهرت  
الغزالة وقد كنا قربنا من دافيدسون جلاسيه وهى عبارة عن أمكنة  
ثلوج هائلة لا يفصلها عن البحر الذى تسير فيه بانترتنا إلا خط من  
الأشجار فلم نهتد إلى السبب الذى حفظ هذه الأشجار فلم تمت من تأثير  
البرد الشديد فألقينا نظرة عامة على المناظر التى تحيط بنا ثم اقترعنا للنوم  
وقد تحركت بنا السفينة ليلا .

وفى صباح ( يوم الأربعاء ٢٦ يونيه ) وصلنا إلى أمكنة الثلوج التى  
تدعى مور جلاسيه (Muir Glacier) فأمرعنا بارتداء ملابسنا وخرجنا  
من غرفنا وألقينا نظرة على ماحولنا فإذا نحن محاطون بقطع صغيرة من  
الثلج ولكن يعلوها الغبار فلم يرقنا منظرها وقد نزل بعض السائحين  
إلى هذه الأمكنة حتى يقولوا عند عودتهم إنهم ساروا على الثلج أما  
أنا فلم أرد أن أنزل معهم لأنى رأيت مثل هذه المناظر كثيرا فى بلاد  
النرويج وفى جبال سويسرا وقد كان البرد شديدا جدا وهذا السبب  
الأخير هو الباعث القوي لعدم تحركى من مكافى . اقترعت قطعة  
هائلة من الثلج من بانترتنا فأردت أن أنزل لأقف عليها حتى ترمم  
صورى وأنا على هذا الحال فطلبت ذلك من ربان الباخرة فأجابنى  
إنه لا يمكنه أن يتحمل على عاتقه تبعه هذه المخاطرة فعدلت عن فكرتى

وفي الساعة الثانية عشرة قامت بنا البخرة إلى كليسانو (Klisano) وقد كانت البخرة تصادم قطع الثلج المنتشرة في البحر وكنا نسمع صوت هذه المصادمات وفي الساعة الثامنة مساء وصلنا إليها ولا أعرف سببا لوقوف البخرة على هذه القرية الصغيرة التي لا يبلغ عدد منازلها العشرين قنزنا وجئنا فيها فلم نجد شيئا يذكر الا معمل السمك (Hareng) الذي كانت تنبعث منه رائحة كريهة أشد تأثيرا في الأنف من رائحة (الفسخ) وقد رأينا بعض الملاحين يأخذون في أوعية سمكا قفلنا ماذا نصنع اذا قدم لنا منه شيء في طعامنا فحربنا منهم ورأينا ما يحملونه واذا هو سمك صغير جدًا ذو رائحة شديدة كريهة وبعد ٥ ٤ دقيقة أفلعت بنا البخرة وبعد أن سارت قليلا وقفت في عرض البحر ثم رأينا جبالا في طرفها شصوص (ستانير) أعدت لصيد السمك وكان عددها نحو الخمسين جبلا ففهمنا السبب في تهربنا على كليسانو الصغيرة وأخذنا منها السمك الصغير والظاهر أن هذا المكان الذي قف فيه الآن شهير بكثرة السمك وقد فرقت هذه الجبال على كل من يريد أن يلهو بصيد السمك وقد تولى ملاحظة كل بحمة جبال ملاح وأخذ كل ملاح منهم يضع في شصوص جباله (ستانيرها) قطعاً من السمك الصغير وأدلى السانحون والسانحات جبالهم في البحر فصارت

البحرة أشبه ببحرة صيادين من أن تكون بئرة سائحين أما نحن فصرنا  
نمشي لئرى ماذا يتم في هذا الأمر وبعد انتظار ساعة اصطادت سيدة  
سمكة متوسطة قفلا إذا كان هذا الزمن الطويل لا يصطاد فيه إلا  
سمكة واحدة فلا ينتظر فائدة كبيرة ولكن بعد قليل سمعنا صياح الفرح  
فقد أعقب هذه السيدة العجوز زوجها الهرم فصاد سمكة أخرى  
فصاحت الأنتظار اليها وكثرت عليها التهانى وبينما هما يشرحان كيف  
أمكنهما صيد هاتين السمكتين إذا بسيدة تنادى بأعلى صوتها لقد من  
الله على بسمكة كبيرة فأسرعوا بأهل النجدة الى مساعدتى على جنبها  
فتكاثر عليها الرجال والسيدات وكل ينسب الى نفسه الفضل في  
اقتناصها فكثرت المجادلة بين الجميع واختلفوا فيمن هى من نصيبه أما  
السمكة فكانت كبيرة جدا من نوع (الماليبو) حتى أوشك الحبل أن  
ينقطع بها لثقلها وقدر أيتار رأسها بارزا وهو كبير الحجم وكانت حركتها تدل  
على شدة قوتها وقد كان الزحام حولها بالغاً أشده والكل يبدى رأيه  
في طريقة سحبها فأراد الريان الثانى للبحرة أن يظهر مقدرة فأخذ عصا  
طويلة في طرفها قطعة من الحديد ذات شبة ونزل الى قاع السفينة  
وأراد أن يغرسها في رأس السمكة ويساعد على إخراجها ولكن ذهب  
تعبه بل خلس السمكة من الحبل فالتحذت سبيلها في البحر هرباً

وغاصت في قاعه فعلا صياح الأسف بين الجميع والكل يخطئه في عمله  
الذى أضاع عليهم ثمرة تعبهم أما نحن فسررنا من فرارها لأننا رأينا  
من حال المجادلة الأولى أن الأمر ربما يفضى إلى المشاحة وهذا  
ما نخشاه كثيرا لأن الحادثة وقعت أمام باب غرفتي فاذا كثر الصياح  
لأجد سبيلا إلى الراحة والنوم . دخلنا بعد ذلك في غرفة التدخين  
فاذا رأينا رأينا الغلام الموكل ببيع الخمر يلعب هذه السمكة التي  
كانت سببا في كسر عدد عظيم من الزجاجات الثمينة المملوءة بالراح  
فانه عندما سمع الصياح قفز من مكانه ليرى ماذا جرى فأوقع زجاجات  
الخمر على الأرض فكسرت وذهب كل ما فيها فصار يكرر الشتم  
ويلعن طالعه السيئ وقد كان يتصاعد من الخمر رائحة قوية تغلبت  
على رائحة السمك الصغير الذى يصطاد به وبعد ذلك فارقت رفيق  
وذهبت للنوم وفي نحو الساعة العاشرة سمعت صياحا آخر يبدل على  
السروور ولكنى لم أنتقل من سرورى وأغمضت عيني تاركا للصيادين  
حبورهم داعيا لهم أن يزيد الله في رزقهم لأن ذلك الرزق يصيبنا شئ  
منه فان السمك سيطبخ ويقدم للجميع .

ولما أصبح (يوم الخميس ٢٧ يونيه) علمت من رفيق أنه بلغ عدد  
السمك الذى اصطاده السائحون أكثر من خمسين سمكة وأغلبها كبير

وقد كنا وصلنا إلى مدينة سيتكا (Sitka) التي كانت عاصمة ألاسكا عند ما كانت تابعة للروسين فنزلنا إليها ووجدنا عددا كبيرا من الهنود بين رجال ونساء يعرضون مصنوعاتهم للبيع فألقينا نظرة على هذه البضاعة فإذا هي كالمعروضات التي كنا نراها في كل مكان (خف مصنوع من جلد الغزال وملاعق خشبية وأساور وحلي هندية وجلود حيوانات هذه الجهة وغيرها)

ثم استمررتنا في طريق أوصلنا إلى غاية جعلت كمتنزه وكانت أشجارها متقاربا بعضها من بعض وقد صادفنا كثيرا من الأعمدة الهندية المقوشة التي سبق الكلام على مثلها وهي مختلفة باختلاف الأسرار فإنها معتبرة كرمز عند الهنود إلى نسب كل أسرة وبعد أن جُلْنَا في هذه الغاية عبرنا جسرا ومنه عدنا إلى المدينة وزرنا معرضها العام فلم نجد فيه شيئا غريبا لم نر مثله من قبل ثم مررنا أمام مدرسة لتعليم بنات الهنود الغسل والكي والطبخ والخياطة وكل ما يلزم لإدارة المنزل وقد كانت البنات مرتديات بملايس أوربية ثم دخلنا بعد ذلك كنيسة روسية قيل لنا إنها قديمة العهد ومن أجل الكنائس ودفعنا أجرة الدخول نصف دولار عن كل شخص ولكننا لم نرق فيها ما ينطبق على ما وصفت به لنا إلا لوحين معلقين يمثلان صورة السيد المسيح

والعذراء وهما حقيقة من أبدع ما صنعته يد الانسان ثم رأينا لوحة أخرى بها صورة أول كاهن رومى وصل الى سبتكا ولكن صنعتها أقل اتقاناً من صنعة اللوحين السابقتين وبعد ذلك عدنا إلى الباحة لأننا كنا نتظر رد الرسالة البرقية التي أرسلناها الى نيويورك نستفهم عن امكان تغيير تذاكر السفر وتقديم ميعاده أسبوعاً ويجرد وصولنا إلى الباحة تسلمنا رسالة برقية أنبأتنا بأنه يمكن التفرغ في الباحة التي تسافر من نيويورك يوم ٢٣ يولييه فسررتا جداً . وبعد الغداء ذهبنا إلى مكتب البريد البرقي وأرسلنا رسالة برقية نذكر فيها قبولنا السفر في الباحة المذكورة ثم جئنا في المدينة واشترينا من الهنود ما اخترناه من بضائعهم ثم نظرنا مساكنهم الحفيرة وحالتهم التعمسة وقد رأينا كثيراً منهم مصاباً بأمراض مهلكة وبعضهم فقدوا نظره من عدم الاعتناء بنظافة عيونهم وقد أثر فينا منظر هندي بلغ من العمر أرذله وهو ضرير وكان ينشر قطعة من خشب في أقصى قلب الانسان إليهم لا يتركونه يقضى باقي عمره في هدوء مع أنه في أعس حالة فلأكبر جعل جسمه يرتعش والقرزاد شقاه فقدمت اليه وأعطيته يدي ما يخفف عنه آلام الحياة التي كلها شقاء فرأيت من حالته أنه ما كان يتظر من أحد أن يبهه ما يستد به رمقه هذا وقد علمنا أن هؤلاء الهنود كانوا يعتقدون

الدين المسيحي على المذهب الارثودوكسى لما كانت بلادهم يحتلها  
 الروسيون والآن غيروا مذهبهم واتبعوا المذهب البروتستانتى مذهب  
 الأمريكين ولا غرابة فى ذلك فالتاس على دين ملوكهم أردنا بعد  
 ذلك أن نذهب الى المقابر الروسية والهندية فتقدما الى قناة وطنية  
 نسألها عن هذه المقابر فلم ترد أن ترشدنا الى مكانها قائلة إنها لاتعرفها  
 وقد رأينا من هيتها واشتمزازها أنها تكره الجنس الأبيض ولعل لها  
 فى ذلك بعض المезде . وأخيرا دلنا عليها روسى كهل فشيئا فى  
 الطريق الموصل اليها وصرنا نصعد فى تل عال إلى أن وقفنا فى وسط  
 المقابر فلم نر فيها شيئا غريبا الا أننا وجدنا مكانا محاطا بالأخشاب  
 وعلى جوانبه ذلك فصعدنا عليها فرأينا مناظر سيتكا الجميلة وقد أعجبتنا  
 موقع هذه المقابر لأنها فى أجمل مكان فى سيتكا . ولما شعرنا بتأثير  
 البرد صممنا أن نعود وبيننا نحن فى وسط الطريق قابلنا المستر دومان  
 أمام حانوت وقال لى ان هذا الحانوت يديره أحد الشبان المتعلمين  
 وعنده ما يهيم الوقوف عليه فدخلناه ورأيت ملامح الذكاء تلوح  
 على مديرة الشاب فسألته عن عدد الهنود فى جزيرة بارانوف  
 (Baranof Island) التى فيها مدينة سيتكا فقال لى انهم لا يبلغون  
 الخمسةائة وينقسمون الى ثلاثة أقسام تحت رئاسة ثلاثة مشايخ ثم قدم



إلى حقا به تراب ناعم جدا وقال لى انه من آثار الاتربة التى ثارت  
عند حدوث الزلزلة واضجار البركان منذ عهد قريب فى جهة كودياك  
(Kodjak) التى تبعد عن هنا بنحو ٦٠٠ ميل فقد حملها الهواء اليها  
حتى كان الجو مظلما وقد غطى التراب النائر كل العمال والمنازل وغيرها  
وقد لاحظت أن الأشجار التى أصلها هذا التراب عدت الحياة  
بجمعت منه هذا المقدار لأقف على تركيبه ويظن أنه خرج من بطن  
الأرض عند الثباب البركان وقد أعطانى منه مقدارا صغيرا لأبحث  
فيه بمصر ولأعلم سر ما به من الأجزاء المهلكة للنبات . ثم عاد الى ذكر  
أحوال الهنود فقال إنهم فى الزمن السابق كانوا يعيشون تحت أحكام  
أمرائهم التى كانت نافذة عليهم وكانت فى طبيعتهم مساعدة فقراهم  
والبائسين مساعدة عظيمة حتى كان القوى منهم يشتغل ليقوت  
الضعيف أو المريض أو الهرم ولكن الآن ذهب منهم هذه الخلخال  
الجيدة باختلاطهم بنا فقد أصبح كل هندى لايهمه الا شأن نفسه  
وقد ذهب عن عاتقه عبء الاقباد قداماء رؤسائه ولكنهم مازالت  
فيهم بعض فضائل قانهم لا يزالون يحبون بعضهم بعضا ولا يسرقون  
شيئا بملكه هندى مثلهم وجميع معاملاتهم فيما بينهم صادقة بخلاف  
معاملاتهم للجنس الأبيض فكانهم يرون أن كل ما يمتلكه الأبيض

حلال لهم ثم استطرد في كلامه إلى معارف الهنود فقال ان هؤلاء  
الوحشين قد عرفوا أن السمك يبيض قبل أن يختلطوا بالأوربيين  
ولذا كانوا يلقون في البحر على الشاطئ فروع الأشجار بأوراقها  
ويربطونها في أجار فاذا حل ميعاد يبيض السمك أتى الى تلك الفروع  
وباض على أوراقها فيلتقطونها ويصفونها ويحفظونها للأوقات التي  
تقل فيها موارد غذائهم ولما كانوا لا يعرفون استخدام المعادن في صناعة  
أوانهم كانوا يصنعون من فروع الشجر سلالا ويطلون بها الطين  
ويصفونها ثم يضعون فيها الماء و يلقون فيه هذه الأوراق التي بها يبيض  
السمك ثم يصهرون الحجارة المختاطة ببعض معادن و يلقونها في هذا الماء  
فيسخن و ينفصل البيض عن أوراق الشجر وبعد ذلك يخرجون هذه  
الأوراق والحجارة ثم يصفون الماء فيبقى لهم البيض يأكلونه و يتغذون  
به ( كالحفاير ) وهذه الطريقة كانت مستعملة قديما عندهم في انضاج  
غذائهم الذي يحتاج إلى الماء وهي غريبة في بلها . وقد سأله عن سبب  
انتشار أمراض العيون بينهم فأجابني أن أغلبهم به مرض الزهري  
ولا أعلم من أين أتتهم العدوى كذلك لا يعتنون بنظافة أجسامهم  
ومساكنهم وقد يحرقون الأشجار في فصل الشتاء اتقاء شر البرد القارس  
ويجلسون بقرب النار فيتصاعد عليهم الدخان المؤذى فيعمى أبصارهم .

فأين محبو الانسانية لينقذوهم من هذا المرض القاتل وأين العلم الذي يلقونه عليهم ليرشدوهم الى النافع ويبعدوهم عن الضار . ان كلمة انسانية لا وجود لها في هذا العالم الا في خيال الفلاسفة الذين يعتقدون أن الانسان يجب عليه أن يحب أخاه ويعطف عليه وقت الشدة ولكن مع الأسف نرى ضد ذلك فكأن ارتقاء بنى آدم في علومهم ومدنيّتهم داعية إلى قسوة أقرئهم على المستضعفين منهم واحتقار حقوقهم فلا حول ولا قوة الا بالله .

تركنا بعد ذلك الحيات بعد أن ودعنا صاحبه المستر ميريل (Merill) ونحن معجبون لدقة مباحثه واتساع معارفه وعدنا الى البانرة .

في الساعة السابعة مساءً أطلعت بنا السفينة بين هبوب الرياح الشديدة والعواصف تلعب بها ولكن هذه الحركة المتعبة لم تدم طويلا وبعد عشرين دقيقة من ذهابنا الى غرفنا للنوم وقفت بنا البانرة بغاة وسمعت من السيدة التي تكن بجاني أنه حدث تلف في الآلة المحركة للبانرة فاحتذيت نعلّي وليست معطفي وخرجت لأسأل عن السبب فصادت ملاحا فأجاني لاثني ياسيدى وتركني وذهب الى حاله ثم قابلت رئيس الملاحين وسألته فأجاني أن بالبانرة كثيرا من الزوارق الصغيرة وهي كافية لنجاة جميع المسافرين فأمرعت

إلى غرفة زميلتي وأشرت اليهما أن يرتديا ملابسهما فكان خيرى أسرع من ملح البصر بجاني أما مصطفى ابن بلاد الشمس الحارة فلم يخرج من سريره مخافة البرد فاكتمت بالأول وذهبتا لتعرف الحقيقة فقبل لنا اننا نتنظر أن يهبط ماء البحر حتى يتسنى لنا المرور من مضيق به تيار شديد يخاف منه على الباطرة فعدينا إلى غرفتنا بعد أن اطمانت نفوسنا لعلمنا أنه لم يحدث خلل في آلات السفينة ولكنى لم أتمكن من النوم قبل منتصف الليل .

وفي الساعة السابعة من صباح (يوم الجمعة ٢٨ يونيه) وقفت بنا الباطرة ثانية فقالوا لنا إنهم في هذه المرة يتظرون قوة التيار لمساعد على المسير وأخذ الملاحون في إعداد جبال صيد السمك حتى لا يمل السائحون من الانتظار وقد اغتنمت فرصة عدم وجود أحد من المولعين بالصيد وأبعدت الجبال من أمام غرفتي حتى لا أشم الرائحة الكريهة ولكن بعد زمن قليل رأيت الملاحين يطوون هذه الجبال وما فرغوا من طيها حتى كنا نسير في طريقنا فوصلنا في منتصف النهار أمام بلدة بطرسبرج (Petersbourg) الجميلة التي حال دون أن نصورها عند مرورنا عليها في المرة الأولى رداة الجو ولكن في هذه المرة رسمنا ما أعجبنا رسمه فيها لأن الشمس كانت زاهية والجو

صافيا . وصلنا في الساعة الرابعة مساء الى بلدة فرانجيل (Wrangell) وهي في رأس جزيرة وأغلب سكانها صيادون وتجارتها في الفراء فنزلنا اليها ولم نتظر مثل باقي السائحين الدليل الذي سيقيدهم الى المزارات ويشرح لهم ما يغمض عليهم فهمه وبيتنا نحن نجول فيها صادقا جموع السائحين وقد التفتوا حول دليلهم وهو يتكلم بينهم وهم يسمعون أحاديثه فعلمت من هيئة ملائسه أنه قسيس فسألت أحد الامرئيين هل يعرف هذا الدليل فأجبنى أنه واعظ الكنيسة فقلت سيقيدهم اليها ويبتز منهم أموالهم وهم عن ذلك غافلون فضحك هذا الرجل وقال لي أسمع صوت الناقوس فأجبتة نعم انه يقول ( بحمة سنس بحمة سنس ) أى ان كل زائر سيدفع هذه القيمة الزهيدة بلجيب القسيس الذى يأخذها لنفسه ولا يصرف إلا القليل منها على الفقراء والمساكين . استمرنا في طريقنا إلى أن وصلنا إلى حانوت يباع فيه جلود الدب فاستحسننا منها واحدا وسألت عن ثمنه ولكنى وجدته غالبا فتركت مصطفي عنده لياوم صاحبه وذهبت إلى البانرة وعند عودته أخبرنى أنه لم يقبل ثمننا له أقل مما طلب أولا فصرفت النظر عن شرائه خصوصا وأنه يكلفنى أتعابا ونفقات حتى أوصله الى مصر . بعد العشاء خرجنا لتستريح قليلا وفي الساعة العاشرة مساء قمنا بنا

البحرة ووجهتها بلدة اولدكاسان (Old Kasan) وستصلها في الساعة الخامسة صباحا من (يوم السبت ٢٩ يونيه) ولكنا صممنا ألا نقلق راحتنا ونقوم مبكرين لرؤية بلدة صغيرة ليس لها شأن يذكر وفي الساعة العاشرة والربع صباحا من اليوم المذكور وصلنا الى ميتلاكاتلا (Mittakata) وهي أيضا بلدة صغيرة في جزيرة لا يبلغ عدد منازلها أكثر من عشرين منزلا وبها كنيسة واحدة ونخزن تجارى لجميع السكان وقد رأينا حالة الهنود الذين يسكنونها فهي أيضا محزنة وأظن أن الجنس الأبيض المتمدين حكم على هذا النوع من بنى الإنسان بالقضاء فترك الأمراض الفتالة تقتك بهم ولا راحم يرحمهم لأنهم في نظره لافائدة في وجودهم على ظهر الدنيا . في الساعة الحادية عشرة صباحا أظلمت بنا البخرة إلى نهاية رحلتنا بالاسكا فانتا صعدنا إلى أعلى نقطة في شمالها وطفنا حول جزائرها الكثيرة ثم عدنا من طريق آخر إلى آخر نقطة في جنوبها ولما كانت ليلتنا الآتية هي آخر ليلالى تلك الرحلة أخذ في الاستعداد من الآن لاقامة مرقص وبعد العشاء دار الحماكي (القونوغراف) وصارت السيدات والرجال ترقص على نغماته إلى أن أتى دور (المشيش) فابتدى من الجمع سيدتان عجوزتان كبيرتا الجسم وطفقتا ترقصان رقصة منجلا فقال أحد زميلي محمد الله

لأنهما بلغنا من العمر أردله فأجبتة نعم يجب أن محمد الله لأنهما لو  
كانتا فتاتين للعبنا بأقتلة الشبان ولكن لا خوف على الرجال منهما فهمما  
فعلنا فلن تلاقيا استحسانا ولا نظرة ولو بطرف خفي . بعد ذلك تركنا  
الجميع في سرورهم وذهبنا الى غرفنا للنوم

ولما أصبح (يوم الأحد ٣٠ يونيه) رأينا الضباب يحيط بنا من كل  
جهة والبخرة تمشي متباطئة ولكن ما أتت الساعة الثامنة صباحا حتى  
انقشع هذا الضباب وسارت الباخرة تتمخر في عباب البحر بسرعتها  
المعتادة وفي الساعة الحادية عشرة أقيمت الصلاة وفي منتصف الساعة  
التاسعة ألقت السيدة المعروفة محاضرتها عن مستقبل الاسكا وفي  
الساعة الخامسة أعيدت الصلاة ثم أعقب ذلك بعد العشاء الرقص

وفي صباح (يوم الاثنين غرة يولييه) قفنا مبكرين ومستعدين للنزول  
إلى فانكوفر (Vancouver) هنا أيضا يلزم إعادة مثل الاستعلامات التي  
حررناها عند وصولنا الى نيويورك مثل ذكر الاسم واللقب والصناعة  
وهل القادم متزوج وهل يقصد الإقامة في كندا وإذا كان سائحافا  
مقدار الوقت الذي سيقضيه فيها ثم يذكر عمره والحكومة التي هو  
تابع لها وهكذا . وصلنا نحو الساعة التاسعة الى مصب نهر فريزر  
(Fraser) الذي يجري في فانكوفر وبعد نصف ساعة صارت بانترنتنا

تَمَرِّين منارى هذا الثغر وقد أخذنا نرى الراية الانكليزية تتحرك على  
الزوارق والبواخر التي كانت مملوءة بالركاب وقد لاحظنا في أيدي  
المسافرين فيها رايات انكليزية بها علامة حكومة كندا فسألت عن  
سبب ذلك فقيل لي ان لسكان كندا عيدا في أول يولييه . رست  
الباحرة على رصيف الميناء في منتصف الساعة الحادية عشرة فبحثنا  
عن مندوب فندق فرنكوفر فلم نجده فصحبني خيرى وركبنا عربة  
أوصلتنا إلى الفندق المذكور بعد خمس دقائق ولما دخلناه سألتنا أحد  
مديره ألم فصل اليهم أخبار في شأننا من محل كوك فأجابني قائلا  
لا فسأته عن غرف لنا فقال ان اليوم يوم عيد وجميع الغرف مشغولة  
الآن وعليكم أن تنتظروا الى وقت الظهر فتركته وذهبت الى بواب الفندق  
لأرسله الى الميناء لاحضار مصطفى وحقاتينا فلم يرد أن يتحرك من  
مكانه ولما أكثرنا الطلب أجابني ان رفيقكم اذا طال عليه أمد  
الانتظار يحضر ويسلم الحقاتب الى شركة النقل لتوصلها الى هنا وأخيرا  
تركنا الفندق لنذهب الى مصطفى وفي الطريق صرت أبحث عن  
مكتب شركة الكنديان پاسفيك فلم أعثر عليه فتركنا خيرى يذهب  
الى رصيف الميناء ليلاقي زميلنا الآخر وقصدت شرطيا وسأله عن  
هذا المكتب فدلني عليه فتقدمت الى مكان استلام الرسائل وسألت



العامل هل وصلت رسائل باسم رسم بك وأصحابه فأجبنى بفتور  
قائلا لا فأعدت سؤاله ألم يصل توصية بهذا الاسم من محل كوك  
فقال لا دخل لى فى ذلك . فرجوته أن يدلنى على المكان الذى  
يمكتى أن أستفهم منه عن طلبائى فلم يتنازل الى اجابنى فذهبت الى  
عامل آخر فكان نصيبى معه مثل نصيبى مع الأول . حدث لى كل  
ذلك ولم يستول القنوط على فخرجت لأبحث عن خيرى فقابلته  
وذهبتا معا الى المحطة التى كانت قريبة من الميناء ولما دخلتاها وجدنا  
مكتبا معدا للاستفهام فتقدمت الى الموظف فيه وسألته هل يمكتى  
مقابلة أحد رؤساء الشركة فأخذ يضحك ويقول لم ذلك فأخبرته  
إننا غرباء وننتظر من محل كوك رسائلنا وأن يوصى شركتكم بنا فصار  
يضحك أيضا وأخيرا نطق متكلفا بقوله : إذهب الى رصيف المحطة  
نجد عامل كوك فى مكتبه فأسرعنا الى هذا الرصيف وأخذنا نبحث  
عن هذا المكتب فلم نجد له أثرا ثم سافنا حظنا ودخلنا فى مكتب  
إرسال البضائع وسألت أحد موظفيه عن عامل كوك فقال لى أنا  
ياسيدى الموكل بأشغاله وإن لم أكن موظفا عنده فخدمت الله اذ لم  
يذهب تعبنا هباء متورا فوجهت اليه أسئلتى فأجبنى بلطف اصعد  
ياسيدى الى المستر بوردى (Bordy) وهو رئيس فرع الكاديان ياسيفيك

ويسكن في الطابق الثانى من عمارة المحطة فركبنا المصعد الذى أوصلنا إلى أمام مكتب فدخلت فيه وقابلت موظفا وأخبرته أنى الميسور ستم قبش فى وجهى وقال تفضل واجلس ياسيدى إننا ننتظرك فسردت عليه مالمقياته فى الفندق فمالبت أن تكلم باللقون مع مديره الذى يتبع شركتهم وأمره بأن يعد حالا غرفتنا وأوصاه بنا خيرا ثم سألنى هل نذاكركم مستوفة فأجبت إننا أدخلنا بعض تعديل فى برنامجنا فقال سارسل اليكم أحد عمالنا فى الساعة ٢ و ٣ دقيقة لينقلنا التذاكر القديمة ويطلع على التعديل الجديد لتغيير التذاكر على حسبه فشكرته وانصرفنا من عنده مسرورين لأننا وصلنا الى غايتنا وعدنا الى الفندق فوجدنا غرفتنا قد هيئت لنا فلم ينقصنا بعد ذلك إلا حقائبنا قليل لنا انها مستعمل الينا بعد الظهر

فى الساعة ٢ و ١٥ دقيقة حضر مندوب شركة الخطوط الحديدية فأوقفناه على مطالبنا وانصرف على أن يعود الينا فى الساعة ٧ ومعه تذاكرنا الجديدة أما نحن فلستأجرتا عربة وركبناها وأمرنا سائقها أن يذهب بنا الى داخل المدينة ليرينا أهم شئ فيها فذهب بنا أولا الى الحديقة العامة فرأيناها غاصة بالمتنزهين الذين كان السرور باديا على محياهم وقد كانت ملابسهم نظيفة وكانوا يهتفون بعضهم بعضا

بجول هذا اليوم الذى يحتفلون به أعظم احتفال فى جميع بلاد كندا  
ويعتبرونه من أكبر أعيادهم فتصعدنا هذه الحديقة التى تسمى  
ستانلى بارك (Satanley Bark) فإذا هى عظمة الاتساع وقد كانت  
الموسيقى تصدح بألحانها الشجية فى مكان فيها أعد لذلك فأمضينا  
فيها ساعة من الزمن بين أشجارها الناضرة وزهورها الياضة وبجاراتها  
التي صفا ماؤها ثم خرجنا منها فقصدنا حتى الأغنياء وكنا نصادف فى  
الطراف بعض الشرط (البوليس) ما بين راجل وفارس بملابسهم  
الأنيقة وشبهون شحنة (بوليس) مدينة لوندرة العظيمة فى الشكل  
والهيئة والنظام ولما وصلنا الى منازل الأغنياء وجدناها خالية من  
الزخارف كنازل الانجليز العادية . ذهب بنا السائق الى شاطئ نهر  
يخترق المدينة فرأينا على ضفتيه جملة حمامات وملاهى مكثفة بالمتنزهين  
والمستحمين ولكنهم لا يخرجون عن حد الآداب العامة هذا وقد  
لاحظنا خليطا من هنود آسيا وهنود أمريكا وعددا كبيرا من الصينيين  
وغيرهم من ذوى اللون الأسود يشتغلون فى معامل المدينة وحوالياتها  
وقد قيل لنا ان هؤلاء وظيفتهم الاشتغال بالأشغال الخطرة لانه ان  
حصل حادث أفقد أحدهم عضوا لا يطلب دية عظيمة كما يطلب  
الأبيض كذلك ورثة من فقد حياته منهم أثناء قيامه بتأدية عمله فاتهم

يكتفون بالقليل من المال وقلما يجدون بين المداره (المحامين) من يأخذ على عاتقه المدافعة عن حقوقهم أمام رجال القضاء طلبا لتعويض كبير يخفف عن الورثة ملحقهم من الضرر بفقد عميدهم ولو بحثنا بحثا دقيقا في الأسباب الموجبة للتمييز بين منزلة الجنس الأبيض ومنزلة باقي الأجناس حتى أمام القانون الذى كان الغرض منه فى أصل وضعه تطبيقه على جميع سكان مملكة واحدة بدون تمييز بين الأبيض والأسود والأحمر والأصفر لو بحثنا فى تلك الأسباب لوجدنا أهمها الاعتقاد السائد بأن الجنس الأبيض أرقى وأرفع للهيئة الاجتماعية من باقى الأجناس ويعطون ذلك بعلم مدارك الجنس الأول والمخطاط عقول باقى الأجناس حتى ان علماء التشرىح يثبتون هذا الفرق فى تكوين الأدمغة ويدعون أن دماغ الأبيض أكثر نموا من دماغ الاسود مثلا وقد يرسمون شكل جمجمة الأول ليقارنوا بينها وبين جمجمة الثانى وقوة ياتهم لا يعدمون أن يخلقوا براهين قوية تثبت دعاويهم ولقد كان الجنس الاصفر فى الزمن السابق معدودا من الأجناس الأقل درجة فى المدارك من الجنس الأبيض ولكن هذا الاعتقاد أخذ يتغير من بعد مزاحمة اليابانيين للاروبيين وجدهم واجتهادهم ووصولهم الى هذا المجد الشاخ فقد برهنوا أخيرا

أن بينهم من لا يقل كفاءة عن أخيه الاوروبي القائد الباسل أو  
السيلسي المحتك أو الكاتب البالغ أو الصانع الدقيق أو المكشف  
الماهر أو المخترع العظيم . نعم لقد عرفت هذه الأمة ما ينقصها  
فاجتهدت في نشر التعليم والمبادئ الحقبة بين أبنائها ولم تترك وسيلة  
من وسائل الرقي الى مستوى أرق الامم الا اتخذتها ولما وثقت  
بقدرتها وأنست من نفسها الكفاءة للتسابق في ميادين الرقي وأرادت  
اعلان ذلك على رؤوس المنكرين قضاثلها رأيت أن لا سبيل الى ذلك  
الا اذا أظهرت أنها لا تقل عنهم مقدرة وقوة فألقت بنفسها في تيار  
السياسة وطرق الاستعمار ولما أحست بأن حقوقها لا تحترم في مسائل  
حيوية استعدت للطوارئ ولما وقع الحرب بينها وبين روسيا العظيمة  
خرجت وعلى رأسها اكليل الفخار والظفر وصرنا لا نسمع من وقتها  
الا المدح والاطراء في همه اليابان فالقوة اذا هي المعيار الذي يعول  
عليه في تقدير القيم والميزان الذي تنفاس به مراتب الأمم . لقد ذكرت  
مثل اليابانيين لأوضح حجة من يرى أن الجنس الأبيض دون غيره هو  
المستعد للرقى الجدير بالسيادة على سائر الأجناس ولأنثبت أن الاستعداد  
للرقى لم يختص الله به قوما دون آخرين بل هو مشترك بين خلق الله  
أجمعين غير أن المدارك لا تنمو الا بالتعليم فعلى كل أمة مهما كان

جنسها اذا ارادت أن تأخذ مكانا رفيعا بين باقي الأمم المتعدنية أن توجه جل عنايتها الى التعليم الصحيح ونشر التربية الحقة التي تفرس في نفوس أبنائها الأخلاق الفاضلة التي تعدهم لأن ينهضوا بها سائرين في سبيل النجاح . لا ينكر أحد أن المغلوب مقهور وقلما يحترم له حق أو يرى له حرمة فان الحق مع القوة وما أصدق قول المتنبي :  
 متى تجمع القلب الذكي وصارما ❁ وأتقا حيا تجنبك المظالم  
 هذه حقائق يعرفها كل انسان ذكرتها عرضا بمناسبة معاملة العمال الذين ليسوا من الجنس الابيض وقد سمعنا من الامريكيين أنفسهم ولم أر تعليلا لهذه المعاملة الا ما ذكرته آفا . هذا ولقد أخذت أبحث بين هؤلاء العمال لعل أجد من بينهم من فقد أحد أعضائه فلم أهتد الى ذلك فعلت أنهم يعرفون هذه المعاملة ولذا يحترسون أشد الاحتراس ولا يخاطرون بأنفسهم في عمل يعود عليهم بالضرر فحسنا فعلوا

أعجبتا بين هؤلاء العمال الهنود الاسيويون بعائتهم المختلفة الالوان وقوامهم المعتدل ووجودهم السمراء اللطيفة ولحاهم السوداء وشعورهم اللامعة وعيونهم البراقة فصرت أمتع نظري لانهم أقرب شكلا لأبناء الأمة العربية الكريمة ولقد سررت جدا من وجودهم

في هذه البلاد البعيدة طلبا للارتقاء وهذا من دلائل الاجتهاد  
نبحهم الله في أعمالهم

عدنا بعد ذلك الى الفندق ولم تأت أمتعتنا من مخزن المكس  
(الدخولية) فكلفت مصطفى بك أن يأخذ مفاتيح حقائبنا ويذهب  
اليه عند افتتاحه في الساعة ٦ مساء وبعد عودته أخبرنا أنه لاقى  
صعوبة كبيرة في انخراجها وقد كان هناك عامل حرم لم يترك حقيقة  
الافتحها وجعل عليها ساقها وأخيرا تخلص منه زميلنا بعد أن سمع  
من مرّ الكلام ما جعله يسخط على آداب المنحلة

أصبحنا في يوم (الأربعاء ٢ يولييه) وكنا على استعداد للسفر وما أتت  
الساعة التاسعة حتى كنا في قطارنا وقد صحبنا الى المحطة مدير الفندق  
ومندوب الشركة الذي أوصى بنا أعمال القطار ولما تحركنا صرنا نمرّ  
على بلاد واسعة أهلة بالسكان ولكن اتساع أراضي كندا وقلة سكانها  
بالنسبة لمساحتها العظيمة جعل جزأ كبيرا منها غير مزرع ولقد فكرت  
الحكومة في ذلك فسهلت سبيل الهجرة اليها والحصول على أراضي  
خصبة بشروط معتدلة فترج اليها كثير من المهاجرين حتى من سكان  
الولايات المتحدة

مازلنا سائرين بين جبال شاهقة ووديان خصبة الى وقت الزوال

ولكننا بعده صرنا نتمرّ في صحراء مقفرة لا نبات فيها ولا زرع وبعد غروب الشمس دخلنا ثانيا بين جبال عالية صخرية وفي الساعة السادسة من صباح يوم (الخميس ٣ يولي) ارتدينا ملابسنا وأخذنا نشاهد على رؤوس هذه الجبال مقادير عظيمة من الثلج المتراكم بعضه على بعض وما أنت الساعة ١٢ و ٣٠ دقيقة حتى كنا بمحطة لاجان (Lagan) وهي التي منها سنذهب الى بحيرة لويس (Tac Luise) التي نقصدها وقد كنا متأخرين عن ميعاد الوصول بساعتين ونصف . وبينما كنا على رصيف المحطة تقدّم البنا شاب وسأل هل هو في حضرة المستر رستم وأصحابه فأجبته نعم فأخبرنا أنه وكيل ادارة الفندق الذي سنذهب اليه وأنه مأمور أن يقوم بما يلزم لنا فسلمناه وثائق حقائبنا الكبيرة فأعطاهم لبواب الفندق وأمره بإيصالها الى الفندق ثم أخذنا باقى أمتعتنا الخفيفة وركبنا معه عربة (شربان) يقودها حوذي ثرثار صار يتكلم عن ماضيه وكيف كان يذهب بالسائحين الى جهة يلوستون بارك الشهيرة (Yellowstone Park) بمنظرها الرائعة ثم انتقل الى الكلام عن زوبعة شديدة حصلت أخيرا في هذه الجهات خربت بلدة ريجينا (Regina) وقتلت خمسة عشر شخصا وأتلفت مزارع وعات كل هذه الجهة وقد حكى لنا أنه من منذ أربعين سنة لم تأت زوبعة



شديدة مثل هذه الأخيرة التي قضت على آمال المهجرين الذين أتوا إلى هذه الجهات لاستغلال أراضيها الخصبية . ان الطريق ما بين المحطة والفندق يبلغ تقريبا ثلاثة أميال قطعناها في أكثر من ساعة لكثرة الأوحال وعدم انتظامه ولم نر شيئا جميلا يستحق الوصف . وصلنا إلى الفندق فأعجبنا كثيرا موقعه فأخذنا مفاتيح غرفنا وصعدنا إليها وتفقدناها فراقنا ثم نزلنا بعد ذلك لتناول غداتنا وكانت تقوم بخدمةنا خادمة شمطاء أسرع في اعداد طلباتنا . وبعد ذلك صعدنا ثانيا إلى غرفنا لنزيل ما لحقنا من التراب ولنستريح قليلا من عناء السفر ولما بحثت عن حقيقتي الصغيرة التي كان بها أنفاس الأشياء عندي وأعزها خصوصا كتاب الله الكريم الذي اهدته إلى والدتي يوم ولدت فهو حليتي أينما سرت أتبرك به ولا أتركه بعيدا عني لحظة واحدة ومصحف آخر أتلو منه بعض الآيات الشريفة بعد صلاة الفجر من كل يوم فلم أجدها قطار لي وعظم كدرى فأسرعت إلى طلب بواب الفندق وسألته عن هذه الحقيبة ولكني كنت أشعر باطمئنان في نفسي وان الله لا يجرمني من هذين المصحفين الشريفين فوصفتها له فأجابني أنه لم يرها فرجوت أن يسأل المحطة بواسطة المسرة (التفون) عنها ثم أرسلت في طلب مصطفي بك وأخبرته بضيق

الحقية وسأله أن يذهب ويستعلم من مدير الفندق أو غيره ويبدل  
العناية في البحث عنها وبعد أن غاب قليلا حضر الىّ ومعه بواب  
الفندق وأخبرني أنه لم يعثر عليها في المحطة ولا بين حقائب المسافرين  
فكلفت مصطفى ثانيا أن يقابل المدير ويلح عليه في البحث عنها ولما  
طال انتظارى بدون فائدة تكلمت مع مدير الفندق بالمسرة قائلا انه  
مضى على حقيقتي أكثر من خمس ساعات وأنا انتظرها وذكرت له  
أن بها بعض ملابس أنا في حاجة اليها الآن ومن العيب أن تكون  
ادارة الفندق مختلة النظام الى هذا الحد ولا يستغرب القراء هذا  
الاهمال وعدم العناية بالبحث عن أمتعة السائحين في أمريكا لا سيما  
عند المقارنة بين احوال هؤلاء ودقة أصحاب الفنادق في أوروبا في  
الحفاظة على حقائب النازلين عندهم ومعرفة احضارها لهم فان الأمريكي  
ينظر الى أن يؤتى له بها ولا يدفع فلما واحدا في استئجار عربة للبحث  
عنها او مكافأة للخدام الذي يكلف نفسه مشقة البحث عنها حتى يعثر  
عليها ويحملها اليه ويرى ذلك كله من واجبات رجال الفندق  
فلا عتناء بنقلها وايصالها الى أصحابها مفقود . علمت بعد ذلك أنها  
ستصلني عما قليل وبعد هنية رأيتهما بين حقائب المسافرين على عربة  
ولما وقفت بها أمام الفندق أبى البواب أن يحملها ويصعد الىّ بها وقد

بدر منه لرفيق حينما طلبا منه ذلك خشونة وجفاء في القول وقال انه لم  
ير مع أحد من السائحين حقائب كثيرة وثقيلة المحمل كحقائبنا .  
صدق في كلامه لأن أغلب القادمين الى هذا المكان من سكان المدن  
القريبة ولا يحضرون معهم الا ما يكفيهم من الملابس لقضاء أيام  
معلودة في هذا الفندق فليسوا مثلنا قادمين من بلاد بعيدة . وبعد  
جهد شديد وصلت الى تلك الحقيبة مهشمة وعند ما نزلنا لتناول  
العشاء قابلني مدير الفندق وأخذ يعتذر فقلت له ان الوصية بنا لم تعد  
كثيرا ولو كنا نعلم أننا سنلاقى في فندقك من التعب واغلاق الراحة  
مالقينا خصوصا بعد ما تكبدنا المشاق في رحلتنا الى الاسكالملا قصدناه  
وذكرت له بعض مافرط من يوابه فصار يبدى عظيم أسفه ولكن ماذا  
يفيد الأسف بعد أن تأذينا من سوء المعاملة . في صباح يوم (الجمعة  
٤ يولييه) نزلنا لتنفقد حالة الفندق وموقعه فرأيناه كبيرا جدا مشيدا على  
شاطيء بحيرة لوز (Lac Lavinie) والواقف أمام بابه يرى البحيرة وماعها  
الأزرق الصافي وعلى جانبيها جبالان عظيمان تكسوهما الأشجار الناضرة  
وفي نهايتها من الجهة الأخرى أى بين هذين الجبلين جبال من الثلج  
تذوب وتكون جنادل تصب في هذه البحيرة الجميلة فسالنا هل هناك  
طريق يوصلنا الى رؤية هذه الجنادل فأخبرنا أنها لا تبعد عن مكاننا

بأكثر من ميلين وقد قيل لنا ان هذه الجبال تكون بحيرتين قبل أن  
تصب في هذه البحيرة التي نحن نمتنع الآن أنظارنا بمناظرها الجميلة  
فعرمنا أن نذهب اليها راجلين لا سيما وأن الحق في يومنا هذا صاف  
والشمس تليق أشعتها الذهبية على هذه الجبال الجميلة فزيد في حياة  
أشجارها وتكسيها نضرة وبهاء وتسلط على رؤس الجبال الأخرى  
المكسوة بالثلوج فتذيبها وتجعل دموعها تنسقط كاللآلئ فأخذنا  
طريقا على شاطئ البحيرة من الجهة اليمنى وقبل أن نصل الى منتصف  
البحيرة انعطفت بنا الطريق الى جهة يمين وأخذنا نصعد فشعرت  
بالتعب وأخذت نفسي يضيق ودقات قلبي تقصر فالتفت بالطريقة التي  
تليها الحاذية في راحة خيولهم عند تسلقهم الجبال وصرت كل ١٥  
دقيقة أستريح نحو أربع دقائق وقد كان بجانبى خيرى بك فلم أر عليه  
أقل تعب وكأنه كان يمشى في طريق معتدل وهذا ليس بكثير على  
من كان مثله جنديا مدربا على ملاقة أنواع المشقات أما مصطفى بك  
فحدث عن حالته ولا حرج فله صار لا يقدر على الكلام ومن حسن  
حظنا أن وجدنا مقاعد معدة للراحة على جانب الطريق ولا يبعد  
بعضها عن بعض كثيرا فكنت أنا ومصطفى نجلس عليها خائرى  
القوة ويقف أمامنا خيرى يشجعنا على الاستمرار حتى تم هذه

الاستراضة التي شعرنا بصعوبتها ، وصلنا الى خص جليل يطل على  
البحيرة بفلستا فيه قليلا وقد أعجبنا موقعه جدا وهو معد للالتجاء اليه  
عند انهيار الأمطار وقبل أن نغادره وصل اليه فارس (Cow-Boy)  
يقود ثلاث سيدات بلغن من العمر عتياً يركبن جيادا وقد كشفن  
عن سوقهن دون مبالاة فيالله من هذه العادات التي مرقت معها  
ثياب الآداب واني لأخشى أن الزمن على تواليه يحسن القبيح ويقبح  
الحسن فتقضي البدع (المودة) بالارتداء بملايس تشبه ملايس قدماء  
اليونانيين والرومانيين أيام كانوا يكشفون نصف أجسامهم وأظن أن  
السيدات المتأصلات في الملابس لا يجرمن أنفسهن من التمتع بهذه البدع  
(المودة) ولو نهرت منها الفضيلة وأنكرتها الآداب

ان التهلك والتبرج بلغا أقصى غايتهما ومما يملأ القلب أسفاً أن  
ذلك لم يبق مقصورا على البلاد الغربية فانه أخذ يتسرب الى بلادنا  
ويتشرب فيها بسرعة مدهشة فأين آدابنا الشرقية وأخلاقنا الاسلامية .  
اني أرى اهمالا شديدا في المحافظة على عوائدنا القديمة وقد التبس  
الأمر على الشرقيين في فهم معنى الحرية وأساءوا التصرف في الانتفاع  
بها وتذرعوها بها الى هتك حرمة الآداب وتقويض دعائم الأخلاق  
الكريمة . ولو تيقظوا لعلوا أن الحرية حق من حقوق الرشيد

من عباد الله جل شأنه منحهم اياها ليستعينوا بها على تنظيم أحوالهم وترقية شؤونهم واستعمال مواهبهم فيما خلقت لأجله والتمتع بما أباحه الله لهم فليس في معنى الحرية الخروج عن حدود الآداب ونحرق سياج الفضائل فان ذلك سائق الى مهاوى الهلاك . ان كلمة حرية كان يقصد بها أولاً تخليص الانسان من أطوار العبودية والرق يوم كان القوى يغلب على الضعيف فيأخذه أخذ عزيز مقتدر ويسخره في مصالحه كحيوان أعجم مملوك له يتصرف فيه كيفما يشاء فلما استنارت العقول رأت أن ليس لمخلوق حق السيادة على آخر وان كل عبودية من الانسان للانسان حطة ودناءه وأن الانسان سيد نفسه الا أمام خالقه فهو عبد له دون غيره ولا تفاضل بين بنى آدم الا بمقدار ما لهم من المدارك وفضائل الأخلاق ومحاسن الآداب

هذا هو معنى الحرية التي جعلها الحق جل شأنه من حقوق عباده وهي بهذا المعنى أكبر أركان سعادة الانسان فيها يحى العدل ويموت الظلم وبها يخلص الانسان من قيود الدل الى بحروحة العزيب تكون للحياة قيمة ويدونها لا معنى للحياة فاذا خرج الانسان بالحرية عن هذه الدائرة الى اتهاك الحرمات والانتهاك في الشهوات واطلاق العنان للنفس تتلاعب بها الأهواء وتفعل بها كلما تشاء اذا ذهب الانسان

بحرته الى هذه الغاية انقلبت الى حرية العجاوات السليمة في بواديها  
فهام في ظلمات الضلال واذا كانت هذه الحرية المطلقة هي غاية  
المدينة الحديثة فحذير بها أن تسمى همجية . اني ليحزنني أن أرى  
المتمدنين من أبناء الشرق ( مهد المدينة الحقبة ) بعد أن غربت  
شمس حضارتهم بندهم من ايا أسلافهم أخذوا يتهاقنوا على الاقتداء  
بالغربي في مساوئ مدنيته دون محاسنها فالغربيون متضافرون متعاونون  
على ما فيه خير لهم مجدود في أعمالهم بعيدو النظر في شئونهم كثير  
التدبير في عواقب أمورهم . حياتهم العملية سائرة على نظام متين أطلقوا  
لعقولهم عنان البحث في ملكوت السموات والأرض ليقفوا على  
أسرار ما خلق الله من جماد وحيوان ونبات فينتفعوا بها في حياتهم  
والشرفيون متخاذلون متواكلون لا تعاون بينهم متفاعدون عن عظام  
الأعمال قصير النظر في شئونهم لاسيما الاجتماعية قليلو التدبير في  
العواقب يكاد نظر أحدهم لا يجاوز موطئ قدميه متخبطون في  
حياتهم العملية فلا نظام لها تركوا عقولهم ضالة في فياق الجهل وان  
تناولوا شيتا من العلم قنوا بقشوره دون لبابه ويا ليتهم تركوا للقوم شرهم  
كما أحملوا خيرهم ولكنهم اقتفوا آثارهم في معانيهم فكانوا جماءا للعيوب  
فأنهمك الرجال في الشهوات واستهوتهم الملامى ووضعوا يد الاسراف

فى أموالهم ففسروا القضية والمال وتبرج النساء ولا تبرج الجاهلية الأولى وغاض ماء الحياء من وجوههن وكادت العفة تطير من قلوب كثير منهن حدث كل ذلك وما أشبهه باسم الحرية والحرية الحقبة بريئة منه هذا هو مجمل الأسباب الداعية الى انحطاط الشرق وضعفه وهذه هى علل تقهقره ووقوعه تحت سلطة غيره وحلوله فى منازل افون التى سبق فيها حتى يغير ما بنفسه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا قَوْمٌ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) فحذار حذار من سوء عاقبة هذا الالهام المهلك والله يهدينا الصراط المستقيم

تركنا مكاننا واستمررنا فى طريقنا صاعدين الى أن وصلنا الى مستو رأينا فى وسطه بحيرة صغيرة تدعى المرأة (Lac Miroir) فرأينا أن الاسم ينطبق على المسمى وقد كان مأوها صافيا ساكنا فشيننا حولها ثم ألقت نظرنا خص فى مكان مرتفع لا يزيد بعده عنا عن مسير ربع ساعة فعزمنا أن نصل الى النهاية وأخذنا الطريق الموصل اليه وبعد اثنتى عشرة دقيقة وصلنا اليه فوجدناه على شاطئه البحيرة الصغيرة الثالثة التى تسمى اجنيس (Agnes) فأسرعنا الى الدخول فيه لتتق تأثير البرد والهواء خصوصا أن العرق كان يتصبب منى ومن مصطفي وبعد أن استرحنا قليلا خرجنا لرؤية منظر هذه البحيرة فتجلت أمامنا الطبيعة



بجمالها وصبرنا نرى البحيرتين الأخرين بحيرة المرأة وبحيرة لوز فوضع  
هذه البحيرات الثلاث كدرج السلم بعضها فوق بعض فالأولى بحيرة  
لوز التي على شاطئها فندقنا وهي الكبرى ثم تليها بحيرة المرأة وهي  
أصغر من الأولى ثم بحيرة اجنيس وهي أصغر من كتيهما والواقف  
في مكاننا يحيط نظره بأطراف هذه الجهات فتصور أيها القارئ مجموع  
هذه المناظر : جنادل تسقط من رؤس جبال مغطاة بالثلوج فتكون  
بحيرة صغيرة منها تسقط جنادل أخرى تكون البحيرة الثانية ثم جنادل  
ثالثة تكون بحيرة لوز الجميلة وإذا التفتت الى اليمين أو الى الشمال ترى  
جبالا مكسوة بالأعشاب والأشجار وإذا مددت نظرك الى ما وراء هذه  
الجبال ترى سهولا خصبة تخترقها أنهر فإبهى وجه الطبيعة في هذا  
المكان انا تشعر بلذة لا تعلوها لذة . هنا يثبث الخيال ويتسع أمام  
الناظر مجال التصور فمن كان ايمانه صحيحا يكثر من تعظيم الله وتسيحه  
وحمده على جزيل نعمه على الانسان ومن كانت أخلاقه كريمة ينجو  
في قلبه الحب الصادق لكل الفضائل . هنا ينسى الانسان آلام  
الحياة التي كلها شقاء وإذا أطلق لوجدانه عثائه يحس من نفسه بارتياع  
عظيم لازالة الضغائن والحسد والشقاق بين البشر فأجمل الأخلاق  
العالية . ان كل شئ جميل أراه يلطف من أخلاق ويرقق من

احساسى ويجعلنى أقدر عظمة الاله جل شأنه فيزداد ايمانى ويرسخ  
فى نفسى اعتقادى فيايت قوى يشعرون بما أشعر به الآن من  
الميل الى رقة الطباع

تركنا هذا المكان لنعود الى فندقنا وأخذنا طريقا آخر أقرب من  
الطريق الذى أتينا منه فاضطررنا أن نمشى فى ضجور المرور منها صعب  
وقد كنت أتوكل على مظلة (شمسية) كانت فى يدى وتركزت أحر  
مصطفى لزميله خيرى ليساعده حتى لا يسقط والله الحمد وصلنا الى  
البحيرة الثانية وفى أثناء سيرنا تقابلنا مع رفيق كان معنا فى سياحة  
الاسكا وقد كان ممتطيا جودا فسألنا هل بينه وبين وصوله الى البحيرة  
الثالثة مسافة عظيمة فأجبت انها على بعد قليل منه ثم قابلنا رجا آخر  
من الأمريكين فقال لى من فى مقدمتهم ألم تنته هذه الاستراحة انا  
نصعد كأننا نذهب الى القطب الشمالى فأشرت عليه بالاستمرار ثم  
صادفنا رجا آخر من السيدات فسألتنى احدها عن الطريق ومسافته  
فشجعتها أيضا على تحمل هذه الأتعاب قائلا ان المنظر فى النهاية  
يستحق هذا العناء وهكذا صرت كلما أقابل رجا سألنى بعض من فيه  
فأجيبه حتى وصلنا الى أسفل الطريق فرأيت حالة مصطفى قد تغيرت  
قليلا وقد وضع يديه على بطنه كأنه يشعر بمغص فاستأذنت أن يسرع

الى الذهاب الى الفندق وتركنا وذهب يجرى ولما وصلنا الى ردة  
الفندق قابلنا باشا مسرورا وقال الحمد لله لقد زال العناء وحلت الصحة  
مكان الألم

بعد أن استرحنا قليلا ذهبنا الى شاطئ البحيرة نحو الساعة الرابعة  
مساء واستأجرنا زورقين وأخذت مصطفي معي في زورق وتركنا زميلنا  
في زورق آخر وقد كنت أظن رفيق يعرف التجديف فيساعدني في  
تسيير الزورق ولكني وجدته لا يعرف فيه شيئا فجلس في مؤخر  
الزورق ليضبط السير وصار كلما يهب علينا ريح أو تصادفنا موجة  
يصيح باستار إلى لا أعرف السباحة وأخاف الغرق وما السبيل إلى  
التخلص من هذه الورطة الأخرى وأخيرا وصلنا الى نهاية البحيرة  
ولما قربنا من الشاطئ سمعنا صياح بعض السيدات فالتفتنا الى  
مكانهن واذا بفأر كبير يجرى بين الأعشاب ففرعن منه وامتلأت  
قلوبهن رعبا ولا عجب فالذعر والجبن حليفا المدنية والرفاهية كما أن  
الشجاعة مهدها الخشونة والبداوة . عدنا بعد ذلك وقبل أن نصل الى  
المكان الذي استأجرنا منه الزورقين رسونا على كشك صغير على  
شاطئ البحيرة وخرجنا نحن الثلاثة الى البر ثم قلت لمصطفي اركب  
أنت وزميلك هذا الزورق وأنا آخذ الزورق الآخر ويجرد أن ركب

الزورق وتحرك به فابتعد قليلا عن الشاطئ، أخذ يصبح الى ياخيزى  
فانى على وشك الغرق ونحن نضحك من هذا الخوف الشديد وأخيرا  
أنقذناه من حالته وسلمنا الزورقين لصاحبهما

بعد أن أتممتا هذه الاستراحة عدنا الى الفندق وجلسنا فى أحد  
طنوفه فرأينا كثيرا من السائحين يعودون من الاستراحة الجبلية  
الشاقة ولا تسل عن حالة الجياد التى كانوا يركونها فان التعب كان  
ظاهرا عليها وباليها نجت من قسوة الانسان وظلمه بعد تسلقها الجبال  
وزولها من المنحدرات فاننا رأينا بأعيننا أن بعض الأولاد الذين كانوا  
يقودون الجماعات يجرد نزول السائحين من فوق ظهورها يرفسونها فى  
بطونها رفسات شديدة ويتركونها بعد ذلك تذهب الى مرابطها  
فيالشقاوة هذه الدواب وأين جمعية الرفق ل ترى مايجل بهذه الحيوانات  
التي تسام من العذاب ألوانا ؟

دخلنا بعد ذلك فى غرفة المطالعة فوجدنا كثيرا من السائحين  
والسائحات مضطجعين على الطنافس ( الكنبات ) وبعضهم كان  
يفط غطيظا نريعا فأدهشنا هذا المنظر ولكننا لم نزعلى وجه الحاضرين  
من ينكر ذلك فكان النوم عندهم فى غرف المطالعة أو الاستراحة  
أمر عادى فهل يعتبر الفندق فى نظرم كالمotel الذى يفعل

فيه صاحبه ما يشاء . هذا ما لم أره من قبل في جميع البلاد التي زرتها ولو كنا في بلادنا فعل مثلهم قلعت علينا القيامة واعتبر ذلك منا توحشا وعدم مراعاة لآداب المعاشرة

ان انهمار الأمطار لم يمكنا من الاستراحة ولو قليلا بعد أن تناولنا العشاء كذلك كثرة زحام السائحين في ردهات الفندق اضطررتا أن نصعد الى غرفنا لتبتعد عن هذه الجموع المؤلفة من الطبقة الوسطى من الأمريكيين الذين لا يراعون كثيرا الآداب العلمية ولكن من أين تأتي الى الراحة وزجاج نافذة غرفتي كان مكسورا والمطر يندفع منه بستة وحركة الأمريكيين المزيجة الذين كانت السرور طالفا على وجوههم والظهور تلعب برؤوسهم إحياء لذكرى عيد استقلالهم أسمعها من فوق ونحني ومن الغرف المجاورة لغرفتي قهقهة ليلى ساهرا أتقلب على فراشي كالمرضى المتألم ولم أذق لذة النوم الا قرب الصباح ولكن لم تأت الساعة السابعة من صباح يوم (الجمعة ٥ يولييه) حتى قمت متزعجا من قهقهة سيدة كانت تسكن هي وزوجها في الغرفة المجاورة لي فكأن الليل الطويل لم يكفهما مداعبة فأرادا الاستمرار حتى لا يبقيا من السرور جزءا لليلالي الالام المقبلة

ان انهمار الأمطار المستمرة في هذا اليوم حالت دون خروجنا من

الفتدق لغاية الساعة الرابعة بعد الظهر ولكن بعد ذلك صحنى مصطفى واستأجرنا زورقا ركبنا فيه وأخذ مصطفى يحذف مدة ساعتين بكل قواه وبمهاره عظيمه أدهشتنى لأن الخرف كان مستويا عليه أمس وقد أنكر معرفته صناعة التجذيف

عند عودتنا الى الفتدق وجدنا جمعا عظيما محشدا من الامريكيين والامريكيات وعلى رؤسهم قعاتٌ غيرٌ وعلى صدورهم أوسمة كل وسام يمثل رأس تيتل وهى مصنوعة من الذهب اتخذوها شعارا لجمعيتهم فتلهم كمثل جمعيات الالعب الرياضية فى بلاد سويسرا والنمسا ولكن لم أر من بينهم من تظهر عليه علامات القوة والنشاط فان أغلبهم كانت أجسامهم ضخمة جدا وهذا من دلائل الكسل وعدم الحركة وربما كانوا من المولعين بالرياضة البدنية فى الزمن السابق ولما كثرت عليهم مطالب الحياة انقطعوا عنها وحفظوا لأنفسهم الحق فى الانساب الى جمعيتها . لما حل ميعاد العشاء دخلنا فى غرفة الطعام وأخذنا مكانا بين هذه الجموع العظيمة فعزفت الموسيقى بتلحين لم نفهمه فوقف كل من كان فى المطعم اجلالا وتعظيما لهذا التلحين فوقتنا مع الواقفين اقتداء بهم واحتراما لعاداتهم ولكن لم نكد نستقر فى الجلوس حتى ابتدئ فى تلحين آخر وقامت هذه الجموع مرة ثانية

وثالثة وهكذا تكرر القيام والقعود عدة مرار ونحن نفعل مثلهم وأخيرا عزفت الموسيقى بما يسمونه (Cake Walk) فصارت الرجال والسيدات يقفون ويرفعون أصواتهم بالغناء والطعام يملا أشداقهم ونحن نلتفت يمينا وشمالا وننظر اليهم ونقول فيما بيننا لم يبق علينا الا أن نرقص في وسطهم . وقد علينا أن هؤلاء الزائرين من سكان ولاية مينيزوتا (Minnesota) وكل ما عزفت به الموسيقى هو من الأناشيد الوطنية والحذر من عدم احترامها فان من لم يحترمها يلاق من أنواع الاهانة ما يجعله يتدم على ما فرط منه . عند ذلك تذكرت جادة محمد بك فريد فظهر لي القرق العظيم بين احترامنا لتشيدينا الوطني واحترام باقي الامم الحية لتشيدهم الوطني وكان الأولى بمن كان مثا رئيس الحزب الوطني أن يظهر بمظهر الاحترام لشعار الأمة ولو كانت خطته السياسية تنافي خطة الحكومة ولكن ما العمل وعادة الشرق الا يبحث بحثا دقيقا في نتيجة أعماله وان اتدفع في أمر لا يحسب للعاقبة حسبا وبعد أن تحل به المصائب يتأوه ويتدم ولكن ما الفائدة وقد سبق السيف العذل

ان المسألة مسألة آداب وأخلاق وأرى أن اختلاف المذاهب والتزعات لا يؤدي الى الخروج عن حدود الآداب خصوصا اذا

كان الغرض شريفا وأرى أن انقسام الامة الى أحزاب يضرّ بها وكفى دليلا ما نراه الآن من عاقبة الشقاق والتفرق بين طوائف الأمم الاسلامية . فهل الصادق الوطنية يجب لأمتة عاقبة محزنة كالعاقبة التي تمثل أمام أعيننا الآن ؟ انى أتألم كثيرا من عدم التبصر في العواقب ويزيد آلامى الغرور وحبّ الذات . ألم تقترب الساعة التي ترك فيها كل هذه الأحقاد والضغائن المؤدية الى الفناء ؟ . اللهم حقق أغراض المصلحين الصادقين وأبعد عنا الأشرار المفسدين انك مجيب دعاء المخلصين

في الساعة الثانية بعد ظهر يوم ( السبت ٦ يولييه ) أتت العربة التي ستذهب بنا الى المحطة لنغادر فندق بحيرة لويز فركبتها وبعد أن سرنا نحو ستائة متر أوقفنا عامل وأخبرنا بأنه وضع لغما في الجبل على قرب منا فانتظرنا قليلا واذا بانفجار هائل دوى في الفضاء ورأينا قطعاً كبيرة من الصخور ارتفعت في السماء ارتفاعاً هائلاً ثم سقطت وتبعها قطع أخرى صغيرة اقترب بعضها منا وبعد أن انتهت هذه الحادثة استمررنا في طريقنا الى المحطة فركبنا قطارنا وتحرك بنا في منتصف الساعة الرابعة فأوصلنا الى محطة بانف ( Banff ) بعد ساعة من الزمن وقد كان في انتظارنا المستر ماكدونالد أحد مديري شركة ( A.C.R. ) ولم أردنا أن



تركب عربة الفندق وجدناها مكتظة بالساحين فاضطروا أن ننظر  
 قدوم عربة أخرى أرسل في طلبها المستر ماكدونالد المذكور وفي أثناء  
 ذلك سألته هل يمكن أن نقبل بتذاكرنا التي أخذناها للذهاب إلى  
 تورنتو (Toronto) بطريق البحيرات غيرها حتى نذهب بالطريق  
 الحديدية فأجابني أن ذلك ميسور له فسلمته ما عندي من التذاكر وفي  
 أثناء ذلك حضرت العربة فركبتها وسارت بنا إلى أن أوصلتنا إلى  
 الفندق التابع لشركة (P. C. R.) وأعطيت لنا في الحال غرف جميلة  
 وبعد أن استرحنا بهاتيلنا ووصلتنا حقائبنا نزلنا منها لتفقد حالة الفندق  
 فدخلنا المكتبة المعدة للطالعة فإذا هي صغيرة بالنسبة لاتساع الفندق  
 ثم زرنا باقي الغرف والردهات وأحترنا منها ردهة تطل على مناظر يديعة  
 فكننا فيها وأمضينا وقتنا بين المسامرة والتزهر إلى أن أتى ميعاد النوم  
 أصبحنا في يوم (الأحد ٧ يولييه) ونحن نشعر بنجام العافية لأن ليلتنا  
 الماضية كانت هادئة ساكنة فأخذنا لانفسنا من الراحة ما أذهب عنا  
 آثار المتاعب السابقة ثم غادرنا الفندق لتفقد مدينة (بانف) فإذا هي  
 شارع واحد عظيم الاتساع به جملة حوانيت ويمتد إلى المحطة التي  
 أتيننا منها فسرنا إلى نهايته ولما كان اليوم يوم أحد وجدنا حوانيت  
 المدينة مقللة الاحواتوا واحدا دخلنا فيه عند عودتنا فقابلنا صاحبه

وعرض علينا بضائعهم فلشترينا منه ما اخترناه وقبل أن نتركه رجانا ألا نخبر أحدا بما باعه لنا في هذا اليوم لئلا تعاقبه الحكومة بغرامة قدرها ٥٠ دولارا لمخالفته قانون عدم البيع في أيام الآحاد فوعده بذلك بعد أن أظهرت له أن هذا القانون يخالف مبادئ الحرية الانكليزية ويدل على التعصب الشديد . سرنا بعض خطوات في الشارع فراقنا مكان به مقعد جلسنا عليه فوقعت أمامنا عربة وتقدم اليها قائدها وعرض علينا أن يذهب بنا الى حديقة (بانف) العامة التي بها كثير من الحيوانات فقبلنا طلبه وسار بنا اليها وفي الطريق صار يحدثنا عن طريقة تربية هذه الحيوانات ومن أين يؤتى بها والجبال التي تكثر فيها ولما وصلنا اليها وجدناها طبيعية أكثر منها صناعية وهي كثيرة الاتساع خالية من نظام الحدائق المعتنى بها ثم قادنا الى مكان الجاموس الوحشي ولاحظنا ذكرًا منفصلا عن باقي الجاموس وهو كبير الجسم تدل هيئته على القوة والبطش فأخبرنا الخوذي أن السبب في وضعه على انفراد شرارته وقد أخبرنا ببعض طبائع هذه الحيوانات المتوحشة ومن أعجب أمورها أنه اذا كثر ايذاء أحدها لغيره يتفق سائرهما على مطاردته الى أن يهلك ويذهب فريسة توحشه فكان هذه الحيوانات أرشدنا الله الى معرفة أن القوة مهما عظمت تزيد

أمام اتحاد الضعفاء وان في ذلك لعبرة لقوم يعقلون . رأينا كل مافي  
هذه الحديقة وبعد ذلك عدنا الى الفندق

ان مدينة بانف على صدرها شهيرة بمناجم الفحم الحجري وبها  
ثلاث يتابع كبريئة يؤمها كثير من المصابين بالأمراض للاستشفاء  
بمياهها ولذا كثر عدد الوافدين اليها وينتظر أن تكبر هذه المدينة الى  
أن تصل الى مصاف أمهات المدن

أنى يوم (الاثنين ٨ يولييه) وكان يوما عصيبا اذ فوجئت بنكبة  
المرض العصبي فلازمت سريري لغاية الساعة الأولى بعد الظهر  
وفي نحو الساعة الثالثة مساء ركبتا عربة بعد أن ارتديت بمعطف  
يقتنى من تأثير البرد الشديد وذهبنا لزيارة بحيرات تبعد عن هذه  
المدينة بنسعة أميال وفي الطريق مررنا على مناجم الفحم الحجري  
ورأينا العمال وقد اسودت وجوههم فما أشق معيشة هؤلاء البائسين  
إنهم يستحقون الشفقة والرحمة والرعاية من ذوى اليسار . استمررنا  
في طريقنا الى البحيرات ولما وصلنا اليها لم نجد شيئا يستحق الوصف  
ولكننا لم ندم على اضاءة وقتنا سدى لان حالتي العصبية تستدعى  
أمثال هذه الاستراحة لتسكين آلامى . ان الانسان مهما كبر مقامه  
وعظم جاهه وكثرت ثروته قلته في احتياج الى لطف الله فهل للذين

أعمالهم الغرور أن يتنازلوا عن كبريائهم وخيالاتهم ويتركوا العظمة والقوة للواحد القهار . هذه حقائق ثابتة لا ينكرها الا جاهل بقيمة نفسه فاللهم اكشف الغطاء عن بصيرة هؤلاء الأشقياء حتى يعرفوا منزلتهم الحقيقية ولا يكونوا سببا في تعس من حولهم من أبناء أمتهم إنك على كل شئ قدير

عدنا الى الفندق وتسلمنا تذكارنا من المستر ماكدونالد وفي الساعة العاشرة من صباح يوم (الثلاثاء ٩ يولييه) غادرنا الفندق الى المحطة فركبنا قطارنا فحرك بنا في الساعة ١١ و ٣٠ دقيقة وسمكت به للوصول الى (تورنتو) أربعة أيام متوالية فأمضينا يومنا هذا في اختراق جبال صخرية ووديان خصبة يسكنها بعض أفراد لا يقدرون على زراعتها لاتساعها فستعمرة كندا تسع أضعاف ما بها من السكان وحسنا فعلت الحكومة في إياحة المهاجرة وتسهيلها وجعل أراضي كندا رخيصة الثمن فدعا ذلك الى أن يلجأ اليها كثير من المهاجرين ولكن لا بد أن تمر سنين كثيرة حتى يملأ هذا الفضاء المتسع الارزاء . قبل أن يرنى الليل سدوله وصلنا الى بلدة كالجارى (Calgary) ورأينا سكانها خارج البلدة يتزهون ومن ملابسهم النظيفة علمنا أنهم في عيد وطني لهم وفي الساعة ٦ و ١٥ دقيقة من صباح

اليوم الثاني (الأربعاء ١٠ يولييه) وصلنا الى بلدة ريجينا (Regina) ورأينا منازلها خالية وعلى عروشها خاوية فان الزواجر دمرتها قبل أسبوع من يوم مرورنا وجعلت عليها ساقطها وفي الساعة ١٢ و ١٥ دقيقة وصلنا الى محطة براندن (Brandon) ثم استمرنا في طريقنا الى منتصف الساعة السابعة فوقف بنا قطارنا بمحطة وينيبج (Winnipeg) أكثر من ساعتين تزنا في أثنائهما الى فندق المحطة التابع لشركة (C.P.R.) وتناولنا فيه طعاما وقد علمنا أنه في هذا اليوم افتتح معرض المصنوعات الوطنية وحضر افتتاحه صاحب السمو الملكي الدوق أف كونوت

تحرك بنا القطار بعد أن مضى ربع الساعة العاشرة وفي صباح يوم (الخميس ١١ يولييه) وصلنا الى (Port Williams) وهي مدينة واقعة على بحيرة (Lac Supérieur) وكان في خطتنا قبل تغيير برنامجنا (بنف) أن نركب منها البخرة التي توصلنا الى (تورنتو) وقد تزل فيها كثير من السائحين الذين كانوا معنا في القطار للذهاب بحرا أما نحن فاستمر قطارنا في سيره بعد أن فصل منه عربتان وصار ينهب الأرض نهباً متبعاً طريقاً يقرب من شاطئ بحيرة (Lac Supérieur) ونحن ننظر الى اتساعها العظيم الى أن أتت الساعة الرابعة بعد الظهر فوقف بنا بمحطة

شريير (Schreiber) ثم محطة ويت رايفر (Sudbury) ولما خيم الظلام  
اقتربنا للراحة والنوم وفي الساعة السابعة من صباح يوم (الجمعة  
١٢ يولييه) وصلنا الى محطة سودبورى (Huron) القرية من بحيرة  
(Roi Eduward) ثم ابتدأنا نمر على المدن الكبيرة العامرة بالسكان الى  
أن وقف بنا القطار بمحطة (تورنتو) فزلنا فيها وركبنا عربة فندق  
(Montreal) وهناك أعطيت لى الغرفة نمرة ٧٥٠ وهى فى الطابق  
الخامس . أما بناء هذا الفندق فهو على الطراز الأمريكى ويحتوى  
على ألف غرفة وقد كنت أفتدت فى طلب عامل كوك فحضر مسرعا  
فطلبت منه أن يبدلنا غر فاغير غرفنا فى الطابق الاول فأجابنى بأن  
ذلك ميسور له الا أنه يخشى أن يزعمنا ويقلق راحتنا المرقص الذى  
سيقام هذه الليلة فى ردة الفندق فقبلنا ما أعطى لنا من الغرف  
وقضينا ليلتنا فى راحة تامة

وفى صباح يوم (السبت ١٣ يولييه) ذهبنا الى مكتب كوك لأعمال  
تعلق بسفرنا بجرا الى مونتريال (Young Street) ومنه مشينا راجلين  
فى وسط المدينة مخترقين أهم شارع يدعى (Lac Ontario) ولما كان  
الحر شديدا أردت شراء حلة (بدلة كاكى) فلم اوفق لما يوافقنى  
ونحن فى الطريق أمطرت السماء مدرارا فالتجأنا الى مكان يقينا شر

البلل ولما انقضت السحابة استمررتا في طريقنا ثم دخلنا في حاتوت  
 لشراء بعض بطاقات البريد فرأينا عادة كانت تعزف على البانيو  
 وصاحب الحاتوت يشف الآذان بصوته العذب وبعد أن قضينا  
 حوائجنا عدنا الى الفندق ثم استأجرنا عربة لزيارة المدينة  
 ان مدينة (تورنتو) كبيرة وشهيرة بكثرة معاملها ومصانعها وهي  
 واقعة على بحيرة أونتاريو (Lac Ontario) وبينها وبين يوكالو (Yokalo)  
 ونياجارا (Niagara) مواصلات وبها مباني ضخمة كجسرها البلدي  
 ومجلس نوابها وجامعتها الكبيرة ومصنع سفنها ومبجونها وغير ذلك وقد  
 مررنا على جملة تماثيل أهمها تمثال الملكة فكتوريا والتمثال المقام  
 تذكارا للذين ضحوا بحياتهم في حروب جنوب أفريقية . رأينا كل  
 مهم في هذه المدينة من منازل جميلة وحوائث كبيرة ولما قرب الظهر  
 عدنا الى الفندق على أن نتم باقي الزيارة بعد الغداء وفي الساعة الرابعة  
 بعد الظهر استأجرنا عربة أخرى وسارت بنا في وسط المدينة ثم أمرنا  
 سائقها أن يذهب بنا الى شاطئ البحيرة ومنه الى حديقة الحيوانات  
 الشهيرة بكثرة عدد ديبها ونسورها وقدرتها وقد أخبرنا الحوذي أن  
 سكان تورنتو يؤمنون أن تكون يوما ما مدينهم عاصمة كندا لتقدمها  
 السريع وقد يؤمها كثير من السائحين وبها ١٥٠٠ فندقا و٢٨٠ كنيسة .

عدنا بعد ذلك الى فندقنا ولولا شقة الحر لكنا قد قضينا ليلة هادئة وقد استمرت هذه الحرارة المؤذية حتى صباح يوم (الأحد ١٤ يولييه) ولما لم نجد لأفئتنا مخرجا استأجرنا عربة وأمرنا سائقها أن يذهب بنا الى مكان نستنشق فيه الهواء وفى الطريق أخذ يحدثنا بتاريخ حياته وأنه مكث لغاية السنة العاشرة من عمره ولم يذق اللحم طعاما فقروه المدقع والآن يكتب عشرة دولارات فى الأسبوع ولكن يدفع نصفها أجرة مسكنه وله من الأولاد ثمانية وتسعته زوجته ولا يعرف ماذا يفعل للقيام بمعيشة هذه الأسرة الكبيرة وأخيرا انتقل حديثه الى شقة ارتباط الامرائطين بأبناء طاقتهم خصوصا الفقراء منهم فان الأغنياء يساعدونهم ولا يرضون عليهم باعطائهم رأس مال صغير يوصلهم باجتهدهم الى مصاف ذوى الثروة وقد قال أخيرا انه لا يرى مثل هذه المساعدة من المسيحيين

استمرت هذه الاستراحة لغاية الساعة الحادية عشرة ولما عدنا الى الفندق وجدنا عامل كوك ينتظرنا فاتفقنا معه على الساعة التى يلزم أن نذهب فيها الى البانرة لمغادرة هذه المدينة . قبل أن نطلع البانرة بنصف ساعة تكا على ظهرها فصفقنا غرفنا فوجدناها جميلة وبها كل ما يلزم لراحتنا وفى منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر تحركت بنا



السفينة باسم الله وقد كان المنظر عند خروجنا من تورنتو جميلا جدا  
 الا أن الحالة تغيرت بعد ساعة من مفارقة الشاطئ فان ماء البحيرة  
 اشدت أمواجه نفيل الينا أننا في وسط لجج المحيط الأعظم ولكن  
 ما أنت الساعة التاسعة مساء حتى كنت أستعد للنوم ولم أكد أغض  
 جفني حتى سمعت مصطفي يطرق الباب ويقول انظر مدخل مدينة  
 شارلوت (Charlotte) الجميل ففتحت نافذة غرفتي ورأيت المدينة  
 كأنها شعلة من نار لكثرة مصابيحها الكهربائية وقد ألفت نظري  
 كبير وادى القمر (Luna Park) القريب من شاطئ هذه المدينة  
 الصغيرة فرست البترة بجانبه وأقلت ساعتين ثم أقلت بنا وفي الساعة  
 السادسة من صباح يوم (الاثنين ١٥ يولييه) كما مستعدين لرؤية  
 أول ألف الجزيرة (Les 1000 Iles) وفي منتصف الساعة الثامنة مررنا  
 على بلدة كليتون (Clayton) الأمير يكية وبعد أن تركناها أخذنا نمرين  
 الجزر التي بعضها كبير وبعضها متوسط والبعض الآخر صغير جدا  
 فليست احداها الا صخرة صغيرة ظاهرة على وجه الماء . ان  
 الأمريكيين مضطرون الى ادخال مثل هذه الصخور في تعداد الجزر  
 لتكلمة عددها العظيم وهو الالف ولكن هذا لا يمنع أننا رأينا في  
 بعضها حدائق غناء وقصورا شاهقة تسر الناظر اليها وقد اشترى بعض

الأمير يكيين الأغنياء بعض هذه الجزر واقتوا في جعلها في أحسن حالة حتى اننا رأينا كثيرا منها لا تحتوى الجزيرة منه الا على قصر واحد نفخ وبقى الجزيرة حديقة منظمة تكتنف هذا القصر البديع ولا تمل عن الحمامات الخاصة التي بها وعدد الزوارق البخارية وغيرها الراسية على شواطئ هذه الجزر أو التي تجرى بينها وقد سمعت أن هؤلاء الأغنياء يتزاورون بواسطة هذه الزوارق فإأحلى هذه المعيشة الطيبة .

ان متوسط الثروة لم يحرم من هذه اللذة فان في بعض هذه الجزر منازل معدة للايجار والظاهر أن أجرة السكنى بها ليست عالية . هذا وقد أعجبنا جدا رؤية ألف الجزيرة ولما وصلنا الى (Alexandra Bay) وجدنا بها كثيرا من الفنادق الكبيرة ذات الحدائق الغناء . هنا أيضا عدد الجزر عظيم ولما وصلنا الى بروكويل (Brockville) التابعة لحكومة كندا كانت انتهت زيارة ألف الجزيرة وأخذت البخرة تسير في نهر (St Laurent) وفي نحو الساعة العاشرة وصلنا الى (Prescott) وكانت تنتظرنا باخرة صغيرة انتقلنا اليها حتى يمكن السير في مجرى النهر الشديد السرعة . وقد حكى لنا أنه يسكن على ضفتى هذا النهر نحو خمسة آلاف هندي من ذوى اللون الأحمر وسترام بزوارقهم الوطنية يعمرون في المواقع التي يشتد فيها سرعة مجرى النهر ولكن الى الآن لم

يقع نظرنا على شخص واحد من هذا الجنس  
تحركت بنا السفينة الصغيرة في منتصف الساعة الحادية عشرة  
صباحا وبعد ذلك بزمن قليل تقدم اليها رئيس السفيرين وسألنا أأنتم  
السائحون الوافدون من بلاد بعيدة ؟ فأجبتاه نعم فقال انى تحت  
أمركم وساعد لكم ما يلزم لتشهدوا سرعة تيار مياه النهر فى الأمكنة  
التي تشتد فيها ولكن يلزمكم السرعة فى تناول غذائكم حتى لا تفوتكم  
الفرصة وقد نصحتنا ألا نصعد الى أعلا السفينة وقال لنا انا نصل الى  
هذه الأمكنة فى الساعة الأولى بعد الظهر ويلزم أن نقف من الجهة  
اليمنى أولا للبحرة ثم ننقل الى الجهة اليسرى منها

رست البخرة بنا وأقامت فى مرساها خمس دقائق أمام (Cornwall)  
ثم أفلعت وبعد أن سارت بضع دقائق وصلنا الى المجرى السريع  
الشهير الذى يسمى (Long Sault Rapid) فرأينا الماء يغلى فاعتري  
جميع السائحون هزة الخوف والفرع من سير السفينة فى هذا التيار  
الشديد ولما اقتربت منه اندفعت فيه بسرعة وصارت تتلوى كالحية  
فتارة تعلو على سطح الماء وأخرى تهبط فيخيل الى الراكب فيها أنها  
ذهبت الى قاع النهر ولكن لا تمضى هنية حتى يراها ارضعت من  
أحد جانبيها فيظن أنها ستقلب على الجانب الآخر وقبل أن يذهب

عن فكره هذا الوهم يرى مقدمها مغمورا في الماء فكل هذه الثقلات  
 الرهية تمر بسرعة البرق والسقينة مستمرة على السير بسرعتها رغمًا من  
 تلاطم الأمواج وكثرة الدوامات التي تفتح على سطح الماء فتحات  
 يظن الناظر اليها أنها ستبتلع السفينة بما فيها وتذهب بها الى قرار عميق .  
 لقد علمنا هذا الغليان بتعليل عقلي لا نعلم مقدار صحته من الوجهة  
 العلمية فقلنا ربما كان في قاع النهر في هذه الجهة هوات عميقة حولها  
 مرتفعات صخرية بارزة فيتصادم تيار النهر فيها ثم تندفع المياه بقوة في  
 هذه المنخفضات وتلاقى أمامها حواجز صخرية أخرى عالية فتتقلب  
 عليها ولم تكد تخرج منها حتى تلاقى هوات أخرى وهكذا ولو كان قاع  
 النهر مستويا لما حصل هذا الغليان الشديد والغريب أن الانسان  
 لا يمكنه أن يعرف بالدقة من أين يأتي التيار فكأن الماء يرد من جملة  
 أمكنة مرتفعة ويصب في جهة واحدة منخفضة فتتلاطم المياه  
 الآتية من جهات مختلفة بعضها ببعض فيحصل النزاع بينها وتنشأ  
 من ذلك هذه الحالة الرهية التي وصفتها

أما نحن فصرنا تارة ننظر من الجانب الأيمن للسقينة وأخرى ننقل  
 الى الجانب الأيسر الى أن خلصنا من هذه البقعة الخطرة وابتدأت  
 البانعة تسير في ماء هادئ ساكن . أما حالة السائحين خصوصا

السيدات فكانت موجهة للنظر فان بعضهن كانت تقبض على حاجز  
البحرة يليها كأنها على شفا جرف هار وتحاف السقوط في مهوى  
صحيح . أما الصباح فكان يعلمون كل جهة حتى اختلطت الأصوات  
رقيقها بنخشنها

بعد أن مضى ربع الساعة وصلنا الى تيار ثالث ولكنه يقل عن  
الأول شدة ويدعى (Cotran Rapid) ثم الى تيار ثالث اسمه  
(Codra Rapid) ورابع ويسمى (Split Rock Rapid) وخامس  
ويدعى (Cascade Rapid) والحقيقة أن التيارات الأربعة الأخيرة هي  
تيار واحد منفصل بعضه عن بعض بمسافات قصيرة

ان مهندس البحرة قبل الوصول الى كل تيار كان يوقف حركة  
الآلة ثم يجعلها تسير من الخلف ثم يحرك السفينة الى جهات مختلفة  
ليكون على علم من صحة جميع الآلات وعدم وجود شئ فيها معطل  
خوفا من حصول ما يسبب عطل السفينة الذي ربما أدى الى ضياعها  
بين هذه الأمواج المتلاطمة

رأينا على شاطئ التهر أثناء سيرنا زورقا بخاريا قد أصيب بعطب  
فقيل ان صاحبه أمريكي وأراد أن يمر من هذه التيارات بدون  
مرشد يدلّه على طريقة السير فيها فكان نصيبه من هذه المجازفة أن

ألقاه اليم على الشاطئ فهشمه وخرج الأمريكي وأصحابه نادمين  
 قبل أن نصل الى مونتريال (Montreal) مرت بنا السفينة على تيار  
 آخري يسمى (Lachine Rapid) وهو أعظم مما رأيته وقد مكثت  
 السفينة تكالغ صدماته الهائلة مدة عشرين دقيقة ثم خرجت من  
 هذا العراك سالمة من الأذى وصارت تقترب من محور بارزة  
 على وجه الماء وفي بعض الأحيان كانت تمر بين صخرتين هائلتين ولكن  
 كل ذلك لا يعد شيئاً مذكوراً بالنسبة لاختراقها قلب كل تيار شديد .  
 ولقد علمنا أنه بالرغم من وجود مرشد في كل سفينة له خبرة كبيرة  
 بطريقة سيرها في هذه التيارات قد أصيب بعضها بالعطب ولقد  
 رأينا بعد مرورنا على التيار الأخير سفينة تشابه سفينتنا راسية على  
 الشاطئ فأشار اليها رئيس السفيرين وقال انظريا سيدي هذه  
 السفينة انها تكسرت قبل مرورنا بيومين باصطدامها في صخرة بارزة  
 فحمدنا الله على سلامتنا

وصلنا الى مونتريال بعد عشرين دقيقة من الساعة السابعة مساءً  
 وكما نتظر أن نرى على الرصيف عامل كوك ولكتنا لم نره ولم نمر عليه  
 فصحبني خيرى واستأجرنا عربة لتذهب بنا الى فندق ويندسور  
 (Windsor) وتركنا مصطفى مع حقائبنا حتى عند حضوره الى الفندق

يجد الغرف مستعلة ولا تعب في البحث عن حفاتنا . كما أول  
من أخذ عربة من السائحين ولكن قائدها كان بليدا فأوصلنا إلى  
الفندق في مؤخرتهم فلم نجد غرضا مواقفة فأسرعت بطلب عامل كوك  
بالمسرة (اللقون) وفي أثناء ذلك حضر رفيقنا مصطفى ومعه الحقيب  
ولما كان مكتب كوك لا يبعد كثيرا عن الفندق لم يطل انتظارنا ولما  
حضر صار يعتذر ويقول إنه أرسل لنا أحد رجاله ليكون في خدمتنا  
فلم نعر هذه الاعتذارات الضعيفة ثم عزمنا إن نذهب إلى فندق آخر  
اسمه (Vigor) يتبع شركة (C.P.R.) بعد ما ذكرت له أنهم أمهلوا في  
جزر غرقتا وما كنت أنتظر منهم ذلك وفي أثناء الحديث حضر عامل  
آخر من مكتب كوك بسيارة وتقدم إلينا وقال إنه ذهب لانتظارنا  
ولكنه ما كان يعلم أن البخرة تصل في هذا الميعاد إذ عادت الوصول  
بعد الساعة السابعة . إن عدم الالتفات إلينا في فندق ويندسور  
جعلني أكره الإقامة فيه ولو كلفني ذلك أن أغادر المدينة حالا مع  
مانحن عليه من التعب الشديد فأرسلت أحد هذين العاملين إلى فندق  
(Vigor) ليعلم أهالك غرف تليق بنا لتلا نذهب إليه ونعود بنحي حنين  
ثم خرجنا من فندق ويندسور وجلسنا على مقعد في ساحة عامة فنظر  
ماذا يتم ولم يمض علينا زمن طويل حتى عاد هذا العامل وأخبرنا أنه

هجزلنا غرنا فاجميلة فى الطابق الاول من الفندق المذكور فآخذنا سيارة وصحبنا العامل الاخر وتركنا الثانى بمحضر حقائبنا الى محل إقامتنا الجديد . وفى الطريق مرت السيارة فى شارع ضيق جدا به كثير من الأطفال فصدمت السيارة طفلا ألقته على الأرض ولكن لحسن الحظ لم يصب بضرر فاجتمع علينا جم غفير وكثر الصباح والعويل حولنا واقتررب منا شرطى وأخذ يسأل السائق ويكتب مذكرة فى دفتره الصغير عن الحادثة وقد تكلم معنا أحد المشاهدين باللغة الفرنسية وقال لنا مالكم المرور من هذا الحى الضيق الذى يسكنه الإسرائيليون فأجبته إننا غرباء ولا نعرف الطرق ومع ذلك فالحادثة صغيرة لا تستوجب الندم ما دام الطفل لم يحصل له أقل أذى

وصلنا الى الفندق فأعجبنا منظره من الخارج وقد قابلنا مديره وأحسن وفادتنا ثم صعد معنا الى غرفتنا فوجدناها كبيرة ونظيفة تطل على ساحة منسعة وبعد ذلك تناولنا عشاءنا وبعد استراحة صغيرة ذهب كل واحد الى غرفته

فى صباح يوم (الثلاثاء ١٦ يولييه) ذهبنا أولا الى مكتب كوك لنخبره بعزمنا على السفر الى نيويورك فى القطار الذى يقوم ليلا من هنا يوم ١٧ يولييه وبعد ذلك صرنا ننقل من شارع الى شارع ومن حافوت



إلى آخر ونحن نسمع أغلب سكان هذه المدينة يتكلمون باللغة الفرنسية بطريقة غريبة ومن الصعب علينا فهمها من أول وهلة فتعجبنا من إهمال الفرنسيين لهذا الحد التفكير في إصلاح لغة هذه البلاد مع أنهم يرسلون المرسلين إلى بلادنا الشرقية لفتح مدارس فيها ويساعدون على انتشار لغتهم في الشرق ولو كلفهم ذلك ما كلفهم من التعب والضقات أما كان الأجدر بهم أن يلتفتوا إلى سكان كندا الذين أغلبهم من أصل (Bretons et Normands) فرنسي لا سيما أنهم يدينون بالدين المسيحي الكاثوليكي . هذا الأمر يجعل عقلاء الشرقيين يفكرون فيه وهل لانتشار لغات الغرب بيننا مآرب أخرى يجهلها بعضنا

إن سكان مدينة مونتريال يظهر عليهم التعصب الشديد لدينهم فإن أغلب الشوارع سميت بأسماء القديسين ولكن كثرة الواردين عليها من أولى المذاهب المسيحية المختلفة سبب ابتداء التنافس بين المذاهب والدليل على ذلك أننا مررنا على مكتبة في شارع سنت كاترين فوجدنا بها كتباً ورسوماً معروضة للبيع مضمونها الاستهزاء بالمذهب الكاثوليكي وتفضيل المذهب البروتستانتي عن غيره وهذه ليست أول مرة رأيت فيها بعض البروتستانت يهزءون بالمعتقدات

الأخرى قالت في بلادنا دخلاء منهم تزحوا إليها ليعرضوا بالدين الاسلامى الخفيف الذى لا يجيد العقل السليم سبيلا إلى الطعن فيه فقد حفظه الله قويا رغم أنف الجاهلين

إن مدينة مونتريال شهيرة بتجارها فى أنواع الفراء وموقعها الجغرافى جعل لها مكانة عظيمة فى علاقاتها التجارية مع باقى الجهات وهى مدينة عتيقة وتاريخها قديم والحائل فيها يحكم بثروتها من عدد مخازنها ومعاملها ومصارفها . ولما حل بنا التعب من كثرة السير أخذنا عربة أوصلتنا إلى ساحة ويندسور ومنها إلى ساحة فكتور ياثم إلى الفندق فى منتصف الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم أردنا إن نذهب الى (Dominion Park) وهى على بعد ثمانية أميال من الفندق فركبنا الترام من شارع نوتر دام (Notre Dame) القريب منا وسار بنا على شاطئ التهر وصرنا نمر على معامل غزل القطن وعمل الأقمشة ومصانع المطاط ومعامل السكر وغيرها وبعد عشرين دقيقة وقف بنا أمام الحديقة التى نقصدها وإذا هى وادى القمر قد دخلنا فيها بعد أن دفعنا رسم الدخول ومقداره ١٠ سنس عن كل شخص ولكننا لم نر فيها كثيرا من الزائرين لأنهم لا يحضرون عادة فى مثل هذا الوقت ففقدناها فإذا هى مقسمة إلى جملة أمكنة بها ألعاب مختلفة دخلنا فى بعضها

كالغرفة المتحركة وسباق (الكابوي Cow Boy) والزوارق الصغيرة التي تسير بقوة اندفاع الماء بين المغارات والزوارق التي تتلقى من علو وتسقط في بحيرة صناعية وغير ذلك ثم نتفقدنا باقى الأمكنة فرأينا سودانيا ضخمة الجسم يقلدون زنته بسبعائة ونحسين رطلا وامرأة تلاعب النعابين ورجلا نصفه الأعلى كامل الحلقة أما جزؤه الأسفل فصغير جدا لا يكبر عن جسم طفل حديث الولادة ثم ذهبنا بفد ذلك إلى مكان به مصعد فأراد مصطفى بك أن يرى ما فيه من الغرائب لأن ظاهره لا يدل على شئ خارق للعادة فتقدم إلى الرجل الذى يحركه وطلب منه أن يصعد به إلى أعلى مكان لعله يرى شيئا جديدا فيخبرنا به ولما دخل فيه قال له الرجل توكأ على المسند حتى لا يعتريك تعب فعمل بإشارته وأدار الرجل حركة المصعد فمالبثنا أن رأينا مصطفى ملقى على ظهره وقدماه مرفوعتان إلى السماء فقام يتعثر فى أذيال الخجل مما لحقه . أما نحن فكاد أن يغمى علينا من شدة الضحك . انتقلنا بعد ذلك إلى مكان به دائرة من الخشب تشبه الرجى يجلس عليها مصطفى وحرك آتتها الرجل الموكل بحراستها فدارت بسرعة مذهشة ألقت مصطفى على الأرض على بعد منها فانقض عليه عدد من الأطفال وطفقوا يلعبون بأيديهم فى جسمه وهو يصيح

وما من مجرى يجيره من أيديهم التي لا ترحم . ثم ذهبنا إلى مكان به أنبوبة كبيرة من الخشب وكان يتبعنا هؤلاء الأطفال فقتلوا إلى مصطفي وقالوا له إن من الصعب أن تمر من هذه الأنبوبة وصاروا يحثونه على أن يظهر شجاعته واقتداره في المرور منها فلبى طلبهم ودخل فيها وتبعه عدد من هؤلاء الأطفال ولما وصل إلى نهايتها لم يشعر إلا وهو في بؤرة ( فسقية من خشب ) لا يمكن الانسان أن يقف فيها أو يخرج منها وتهاقت عليه الأطفال وأيديهم تلعب في خاصرته وهو كالسمكة بينهم يتلوى ويصيح إلى أن خلصه الرجل الذي يجرسها بأن ألقي إليه جبلا أمسك طرفه وجذبه إليه ولكن بعد أن رماه فيها جملة مرار وهو يسترحمه أن يخرج من هذه الورطة . وقيل أن نخرج من وادي القمر أردنا أن نصعد في الجبال الروسية (Montagnes Russes) فركبنا في إحدى عرباتها وصعدت بنا إلى علو شاهق فرأينا المدينة ومناظرها البديعة وبعد أن تركنا هذه الجبال ألقت نظرنا رجل يقول تعالوا الرؤية أشهر السابحات في الدنيا فأردنا أن نحتم الزيارة برؤية تلك الغادات الحسان ولما تقدمنا لدفع رسوم الدخول قال لنا هذا الرجل إن دراهمكم لا تذهب سندي فسترون ما يروقكم ويسركم . ان هذا المكان يحتوى على بحيرة صغيرة صناعية مستديرة وحولها مدرج

( انهيئاتر ) لجلوس الزائرین وقد وجدناه غاصا بالمشاهدين دورن  
الأمكنة الأخرى وهذا ليس بعجيب فان المرأة من طبيعتها أن تجذب  
الرجل فكيف بها وهي عارية ولا يستر جسمها الرقيق الجميل إلا غلالة  
( قانييلة ) سوداء تزيد حسننها وتظهر جميع أجزاء جسمها . وقتها  
بجانب المكان الذى تثب منه الغادة إلى هذه البعيرة وتظهر اقتنائها  
فى ضروب السباحة وقد كانت غادة أخرى واقفة فى هذا المكان  
المرتفع وعملها أن تنادى امم كل غادة يأتى دورها مع عرض معلوماتها  
الواسعة فى فنون السباحة وإيضاح صعوبة كل حركة تعملها السابحة  
وقد رأيناها أبجل من رفيقاتها أما عدد اللاتي عرضن أنفسهن أمامنا  
فست بينهن ذات الشعر الأسود وذات الشعر الذهبي والكستاني  
وبالجملة جميع ألوان الشعر الجميلة . أما أجسامهن فمختلفة فنهن من  
هى هيفاء ثمنايل كالقصن إذا هب عليه النسيم ومنهن من هى قوية  
الجسم طويلة القامة شليدة الأعصاب عضلة تملؤها الصحة والعافية  
ومنهن من هى متوسطة القوام خفيفة الروح سريعة الحركة . وبالجملة  
كان فى هذا المعرض كل أنواع الجمال الأمريكى لأنهن من بنات  
الولايات المتحدة . إن قضى لا تكره أن ترى مثل هذا الجمال  
والدلال ولكي أشعر أن فى ذلك انتهاك حرمة الآداب . هذه

المنظر هيئت أعصاب أحد المشاهدين فأخذت تبدو عليه حركات تدل على شدة انفعاله وتأثره وهو ينطق بالقاظ لا يليق أن يفوه بها أمام الجمهور فاستشاطت إحدى السابحات غضبا وجعلت تسمعه من قارص الكلام وتسدّد إليه من سهام التقرّيع ما يخرس الألسنة ولكن أنّى لها ذلك وهل تنظر من جمهور جامع لكل الطبقات آدابا عالية . لولا أن رأينا منهم ما دل على إقناعتهم جميعا فن السباحة لكنا حكا بأن إنشاء مثل هذا المكان لم يكن الا لأغراض أخرى سيئة ولكنهم أبدين من ضروب السباحة ما أدهش جميع الحاضرين ومع ذلك إني أنكر عرض هذه المعلومات أمام الجمهور لمخالفتها الآداب . عدنا بعد ذلك الى الفندق وختمنا يوما باستراحة قليلة بعد تناول العشاء

وفى صباح يوم (الأربعاء ١٧ يوليّه) ذهبنا أولا إلى مكتب كوك لاستلام تذكرة السفر ثم أمرنا سائق عربتنا بالذهاب الى الحديقة التي تدعى (Royal Park) وهي واقعة خلف المدينة على جبل تكنته الأنجار وتكسوه الأعشاب وفى الطريق مررنا على مدرسة الجيزويت الكبيرة ثم على الجامعة التي تسمى باسم منشئها الدكتور (Magill) وهي مكونة من بحمة عشر قصرا وقد سمعنا أنها ما وصلت إلى هذه العظمة إلا بفضل الهبات الكثيرة التي وهبها لها المستر ماكدونالد

(MacDonald) الكندى التاجر الشهير في أنواع التبغ ولقد عرف كيف يخدم بلاده فلم يبخل عليها بثروته العظيمة لاسيما أنه غير متروج ويبلغ من العمر الخامسة والستين ولا فائدة له في كنزها . مررنا بعد ذلك على مستشفى فيكتوريا العظيم الذى أنشئ بأموال أهل المروعة وتبرعات اللورد (Strathcona) الذى كان يتجر تجارة صغيرة في أنواع الفراء في الزمن السابق وكان اسمه المستر (Donald Smith) ويزيد عمره الآن عن تسعين سنة ومع ذلك لا ينقطع عن الأشغال فهو يمثل حكومة كندا في مجلس النواب الإنكليزى والمدير العام لشركة (C. P. R.) وإذا رآه الإنسان لا يقدر عمره بأكثر من ستين سنة فهو قوى يسافر إلى انكترا ليحضر جلسات مجلس النواب ويعود إلى كندا لإدارة شؤون الشركة التى يرأسها . أما تاريخ حياته فانه كان تاجرا صغيرا في الفراء فأتته السعادة من هذا الباب ولا عجب في ذلك فإن تجارتها كانت تكسبه ٢٠٠٠ في المائة ولا يستغرب القارئ ويظن أن في ذلك مبالغة فإن الفروء الواحدة التى تساوى ألوفا من الفرنكات كان يشتريها من المنزود وغيرهم بأربعة كيلوجرامات من الدقيق أو يعقد من الزجاج الملون أو قطعة من الأقمشة الرخيصة ولما يجمع من الفراء عددا كثيرا يرسلها إلى بلاد الصين ويستبدلها بالشئ

أو القطن أو الحرير أو غيرها فكان يأخذ من هذه الأشياء مقادير عظيمة ثمنا لقروة واحدة لم يدفع ثمنها لها أكثر من أربعة كيلو جرامات من الدقيق ثم يبيع هذه الأشياء في أوروبا وأمريكا وفي الجهات التي يكون ثمنها فيها عاليا . وإذا بحثنا عن الأسباب التي أوصلت أسرة أستور (Astor) إلى ثروتها التي تعد بالمليارات نجدها نفس الأسباب التي أغنت المستر (Donald Smith) قديما أو اللورد (Strathcona) الآن

مررنا بعد ذلك على عمارة المستر (Allan) صاحب شركة البواخر الإنكليزية (Allan Line Co.) وهكذا صرنا نتقل من شارع إلى شارع ومن عمارة إلى عمارة إلى أن وصلنا إلى الجبل فصعدنا فيه ولا يبلغ ارتفاعه أكثر من ٢٨٠ مترا فرأينا منه أطراف المدينة ونهر سانلوران العظيم وبعد أن متعنا نظرا برؤية كل هذه المناظر عدنا إلى الفندق وفي منتصف الساعة الثامنة ذهبنا إلى المحطة لركوب القطار الذي يوصلنا إلى نيويورك فتحرك بنا بعد أن مضى عشر دقائق من الساعة التاسعة وفي الساعة السادسة من صباح يوم (الخميس ١٨ يولييه) وقف بنا القطار في محطة (Albany) وهي التي ذكرتها سابقا عند رحلتنا إلى نياجارا (Niagara) : في الساعة الثامنة صباحا وصلنا إلى محطة نيويورك



واستأجرنا سيارة أوصلتنا إلى فندق (Gotham) بشوارع (5th Avenue) فدخلنا فيه وأعطيت لنا غرف جميلة جدا خصوصا غرفة الاستقبال التي اختارها لي مدير الفندق فتنها كانت تطل على أهم شوارع المدينة . وعلى أثر وصولنا حضر لمقابلتنا والسلام علينا الخواجه قيصر صباغ وأخبرنا أن بعض أعضاء نادي الاتحاد السوري يستأذنون في مقابلتنا بعد الظهر فضررتنا موعدا لذلك الساعة الثالثة وانصرف من عندنا بعد أن شكرناه لرفقة إحسانه . حضر بعده المستر يونج مدير محل كوك بنو يورك ومعه رسالتنا فاتفقت معه على طريقة السفر وبعد ذلك انصرف إلى حيث أراد

في الموعد المضروب حضر أعضاء نادي الاتحاد السوري فقابلناهم مرحين بهم وأبدت عظيم سروري من رؤيتهم وهم متمتعون بالصحة وكررت على مسمعهم شكرى لم على ما ألقى منهم ثم دار بيني وبينهم حديث عن رحلتنا الطويلة فقصصت عليهم بعض ما رأيته من عجائب هذه البلاد وبعد ذلك اتفقنا على ما يلزم لإحياء ليلة التكرم التي سيقومون بها لنا في يوم ٢٠ يولي و انصرفوا مودعين متحبا اقتضته آدابهم

فضينا باقي يومنا في استراحة صغيرة داخل المدينة وفي قراءة بعض

الجرائد التي تأتي من أوروبا لتقف على مجرى السياسة وفي اليوم التالي (الجمعة ١٩ يولييه) لم نعمل شيئا مذكورا سوى كتابة مذكرات رحلتى والذهاب إلى مكتب كوك وزيارة بعض الحوانيت وعند عودتنا الى الفندق وجدنا رسالة من الخواجه تيودور خياط العضو في مكتبة نيويورك العامة يدعونا فيها لزيارة المكتبة ثم تسلبنا هدية قيمة مرسله من قبل الميسور يحنى وهى مؤلفاته الكثيرة المفيدة وبعد الظهر حضرت مدام صباغ ومعها زوجها فقضينا معهما وقتا طويلا فى المسامرة ولقد أعجبنى فى هذه السيدة أدبها وذكائها فلنأهل لكل مدح وثناء وكفى دليلا على نبوغها أنها تدير محل تجارة كبير خاصة بملابس السيدات وسائر مطالبهن وأصبحت يجدها واجتهادها وحسن معاملتها ورقة ذوقها زعيمة باقى المتاجر التى تستغل فى مثل تجارتها .

إن سيدة شرقية تغلب على الأوروبيات والامريكيات وتزاحمن فى أشغالهن وتعال الشهرة بينهن وهى غريبة فى هذه الأوطان لجديرة بكل إعجاب ونفر ولقد زاد احترامها فى نظرى ما رأيته فيها من الوطنية الصادقة والإخلاص العظيم لأبناء جنسها فهى واقفة على دلائل أمور بلادها الاقتصادية ولا تجعل الفرصة تمر بدون أن تبرهن للعالم أنها من أقدر السيدات . إن فى تشغيل أبناء جنسها بسوريا فى

صناعة (الدانتيل) وإرسالها إليها لتبيعها الأمريكيات للدليل قطعي على معرفتها الواجب عليها لأبناء وطنها . إنها بذلك تشجعهم على اكتساب رزقهم حلالا وتحببهم في الأعمال وتحفف عنهم وطأة الحياة التي كلها شقاء

ذهب بنا الحديث بعد ذلك إلى ذكر بعض أقاربها ومعارفها الذين أعرفهم حق المعرفة وأحترم آراءهم وأفكارهم السامية كسليم أفندي مريكس الشهير بتضلعه في آداب اللغة العربية فإن كتاباته تدل على علمه وتذوقه في عالم التحرير وله فوق ذلك طريقة خاصة لطيفة في كتابة مقالاته يعرفها كل أهل مصر . أما سليم بك ثابت فإنني أحترمه كثيرا وأحبه بكل قلبي فهو خطيب معروف وكاتب محرر يخدم بلاده بكل قواه وإذا حصل سوء ظن بين المسلمين والمسيحيين مواطنيه يتدخل في الأمر ويحسم في الحال الخلاف الواقع بينهم ولاغرض له في كل أعماله إلا الخدمة الحقيقية وتوثيق عرى الاتفاق بين الجميع بدون نظري إلى المعتقدات والمذاهب ولذا كان محترما بين الجميع معروفا عند أكابر الموظفين العثمانيين محبوبا من بطريقه الجليل فهو إذا واسطة خير وبشير سلام وخادم الأصدقاء . ذكرنا بعد هذين القاضيين اسم خليل أفندي مطران وما له من المكانة العالية عندنا ثم

امم نجيب باشا شكور الذى جمعنى به حادثة تعدى الايطاليين على سكان بيروت عندما تألفت اللجنة بمصر لانتاجه من أصلهم هذا التعدى القطيع وكان من ضمن أعضائها فوجدته ذكى القواد رقيق الأخلاق حميد الصفات على الهمة

بعد انصراف هذه السيدة الفاضلة وزوجها المحترم وصلتني رسالة من جلال الدين بك تفصل تركيا بنيويورك يدعونى فيها من قبل ضيا باشا سفير الدولة العثمانية بالولايات المتحدة أن أحضر حفلة الدستور العثمانى التى مستقام يوم ٢٤ يولييه فأرسلت أشكره على هذه الدعوة معتذرا بأنى لا أستطيع ذلك لأنى سأسافر قبل هذه الحفلة بيوم . ومع ذلك لو كنت فى نيويورك لما حضرت هذه الحفلة لأنى لا أرى موجبا لإقامتها . فاذا كنا مسلمين يلزمنا قبل كل شئ احترام الخليفة لأنه أمير المؤمنين . فاذا احتفلنا نحتفل بعيد ميلاده وعيد ارتقائه على عرش الخلافة أما اذا كان بعضهم يعتبر وظيفته صورية فأنى يرى منه ومن أفكاره فحمت الله إذ لم أكن بينهم فى يوم احتفالهم حتى لا أضطر إلى رفض دعوتهم

فى منتصف الساعة الخامسة مساء من يوم ( السبت ٢٠ يولييه ) ذهبنا لرد الزيادة لمدام صباغ فى منزلها على شاطئ (Riverside)

وهناك الهواء جميل والجو معتدل والموقع حسن جدًا وبعد أن شربنا القهوة الشرقية اللذيذة وتناولنا شراب عصير الليمون المثلج انصرفنا إلى محل إقامتنا نستعد للذهاب إلى الحفلة الإكرامية . وفي الساعة السابعة حضر أنطون أفندى سمعان ومعه إلياس أفندى ملوك فأخبرنا بأنهما ينتظرانا بقاعة الاستقبال ولا يظن القارئ أن الخواجه سمعان من أسرة سمعان المعروفة بمصر ولكنه رجل له مكانة رفيعة بين مواطنيه والأمريكيين فهو محبوب من الجميع لما اشتهره من الكمال وعلو الهمة . ركبنا سيارتين ذهبتا بنا إلى فندق والدورف أوستريا وقد كنت ورفيقي مرادين طرايبشتا حتى نجعل للحفلة صبغة وطنية رسمية ودخلنا من مدخل صغير غير مطروق لكيلا نمر على ردهة الفندق العامة التي يكثر فيها عادة الجالسون ثم ركبنا المصعد فوقف بنا أمام الردهات المتسعة التي زينت بأبهى زينة وكانت ينتظرنا جميع المدعوقين ويجرد أن وضعت قدمي في باب الردهة الكبيرة عرفت الموسيقى بالسلام الخلدوي وتبع ذلك تصفيق حاد وقد كنت أرى على وجوه جميع الحاضرين الفرح والسرور فكانت كل حركة يأتون بها تدل على عظيم الإخلاص والتعلق بالأمر الخلدوي . هذا وقد كان أول من استقبلنا حضرة رئيس الجمعية داود أفندى حدري

وهو أحد مؤسسي جمعية الاتحاد السورى ومن أعظم العاملين فيها له من الخبرة العظيمة فى كل ما يرقى أمته وقد كما سمعنا به وبغزارة معارفه فانه درس العلوم العالية ونعمها بنجاح كبير فابتدأ يقدّم إلى الحاضرين وأنا أصالحهم فردا فردا إلى أن ألقت نظرى هيئة شاب يتقد ذكاء فعندما ذكر حضرة حدبرى أفندى اسمه وهو عبد الملك أفندى سعد سررت لأن نظرى لم يخطئ فى معرفة جنسه بمجرد أن رأيته وقد قال لى عنه رئيس الجمعية إنه يدرس الطب بجامعة (بوسطن) ولما سمع بإقامة الحفلة طلب الاشتراك فيها حتى لا يحرم من رؤية أمير مصرى فى هذه البلاد فقبل طلبه وتكبد مشاق السفر لحضور هذه الحفلة فشكرت له شريف إحساسه وأظهرت له عظيم سرورى برؤيتى أحد المصريين بيننا فى هذه الليلة الشاققة . وبعد أن أتممت مصافحة جميع الحاضرين ألقي رئيس الجمعية خطبة بليغة رحب بها بقدمى وأعرب عن شكر جميع السورىين لى تقبولى دعوتهم ولما كنت أعددت خطبة ولم تكن لى عادة أن أخطب فى وسط جمهور عظيم طلبت أن أقرأها عليهم حتى أكون مستريح البال مدة وجودى بينهم فقابلوا هذه الصراحة بفرح عظيم وقال رئيسهم إنهم يودون أن أكون فى راحة تامة ويسرهم أن أعمل ما أحب فشرعت أقرأها وهم

حولى يسمعونها وكلهم آذان مصغية وها هو نص الخطبة :

أيها السادة

إني أقف بينكم لا لأريكم منى خطيبا يريد أن يظهر براعته  
ومقدرته بل لأريكم أنى شرف صميم محب لبلاده وأمه له شعور حى  
يود من صميم قواده أن يشرحه لأبناء الشرق الأعزاء  
إني أنطق الآن بلسان المودة والارتباط ولا حرج على أن أظهرت  
للأشقة إجماعى بمروءة وشهامة إخوانى السوريين الذين لقيت من  
حسن ضيافتهم فى أثناء سياحتى فى سوريا ما يجعلنى أكرر ثنائى  
وعظيم شكرى لأبناء الأمة العربية الكرماء

إن الصلات التى تربط بلادى ببلادكم قوية ورأيتها مجسدة لما  
كنت فى وسط أهلكم وعشيرتكم الذين لم يتركوا أية فرصة لإظهار  
ارتباطهم ومحبتهم لأمرتى وجدودى وطولما سمعت منهم المدح العظيم  
لمؤسس الأمرة العلوية الذى أحمل مع عظيم الفخر اسمه الشريف  
فهو الذى دَوّن التاريخ فى صحافه البيضاء أعماله الجليلة وحياته العظيمة  
إن الثلاثين سنة التى قضيت معظمها جاثلا فى أنحاء أوروبا والتى  
لا أنكر المزايا التى اكتسبتها فيها بمعاشرتى واختلاطى بكبراء رجالها  
المفكرين والمصلحين قد زادت فى قلبى حب بلادى وتعلقى بالشرق

والشرقيين فبكل جوارحى أنادى « فليعش الشرق وأبناؤه »  
 جذربنا أن نفتخر ببلادنا العزيزة مهبط الانبياء ومنع الاديان  
 وأصل التاريخ ومصدر التقدم فذكر مجد الشرق السالف يحزننى فأين  
 نحن الآن من عظمتنا الماضية ؟ ألقوا معى نظرة فى تاريخ حياة  
 أجدادنا انه كان مجيدا فكم من بلاد فتحوها بشفار سيوفهم وكم ام  
 أخضعوها بقوتهم وشدة بأسهم ؟ انهم لم يتركوا أية وسيلة لاعلاء  
 شأنهم واطهار عظمتهم ونشر سلطانهم الا اتخذوها مقدمين بلاخوف  
 ولا وجل . ولا أى باب يوصلهم الى غايتهم الشريفة الا طرقوه  
 بدون تردد أو تهاون فالتاريخ يشهد اذا بما كانوا عليه من صفات  
 الفاتحين كالشجاعة والاقدام لاسيما التفاف بعضهم حول بعض وجمع  
 شملهم ووحدة كلمتهم واخلاصهم وشدة حبيب لبلادهم . فياقلمماذا  
 جرى لنا حتى أصبحنا فى مؤخرة الامم المتمدنية ؟ ان بلادنا لم تتغير  
 رجالها هم أبناء أولئك الاجداد وأحفاد أولئك الابطال فإذا دهانا حتى  
 وصلنا الى هذه الدرجة التى لانسر ؟ أعلن أننا تهاونا فى أمورنا فحلت  
 علينا المسكنة والمذلة وتركنا شؤوننا فغشينا من التمس ما غشينا  
 انى بالرغم مما نحن عليه الآن لست يائسا ولكن قبل كل شئ أرجو  
 أن يحمل كل من سمع خطبتي هذه بحمل الاخلاص فائى أريد الخبير



لجميع الشرقيين ولست ممن يسعون في التفرقة بين الاجناس كما اتهمت  
 بهذه التهمة التي أردتها عنى بكل صراحة يوم كنت في سوريا فان  
 أعداء الحقيقة رجال السوء هم الذين أشاعوا هذه الاشاعة الباطلة  
 والله أعلم بضميري . ويودى أن تجتمع كلمة عامة الشرقيين على  
 اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم لصدد هجمات أعدائنا الذين يريدون  
 ابتلاعنا وأخذ بلادنا بدون حق أو مسوغ شرعى . فأشهدكم جميعا أنني  
 محب للاتحاد والوئام وعدو لكل من يسعى في أسباب التفرقة المؤدية  
 للهلاك والفناء والله على ما أقول شهيد . أما أتم يا أرباب الأقلام  
 ويا أصحاب الجرائد فعلى فصاحتكم وقوة بيانكم تعتمد قلوبنا والشعور  
 وانشروا في صحفكم أسباب سرّ تقدم الامم حتى نأخذ مكاننا اللائق  
 بنا . فان أردتم كنتم السبب في تقوية الرابطة بين أبناء العرب  
 وغيرهم مهما اختلفت الأديان والاجناس ومهما بعدت الأمكنة .  
 وجهوا أنظاركم الى كل ما يعلى شأننا انا نريد أن نرفع رؤسنا أمام  
 العالم . انا نريد أن نتخربيجننا وبنا وهبنا الله من الشجاعة  
 والاقدام والذكاء فلقد جاء الوقت لتهب من سباتنا ونفرك من  
 جمودنا . ان السعادة في هذه الحياة ليست بالثروة فقط فكم  
 من رجل أفقر وقته في نع الدرهم والدينار ولم يؤد فرائضه

الوطنية وحقوق بلاده فبالرغم مما وصل اليه من الثروة ذهب بعد موته  
نسباً منسياً

لست ممن يودون المعيشة الهادئة بدون أداء واجبات الأمة . لاني  
أرى عدم الالتفات الى هذه الحقوق المقدسة من أكبر الذنوب  
وأعظم العيوب والتقصص . ان مهمتنا ليست في الحقيقة من الصعوبة  
بمكان ان اجتمعت كلتنا وقويت الارادة في الحصول على المركز  
العالي الذي نريد أن نختاره بين الأمم . والطريقة الوحيدة التي أعتقد  
أنها توصلنا الى غايتنا هي أن يعتقد كل فرد منا أنه قادر على خدمة  
بلاده بصدق وأمانة يتحمل الصعوبات مهما كبرت والمشقات  
مهما كثرت

وأتم يا من تركتم بلادكم وتفرتم بعيدين عن الأهل والأحباب  
اني أهتمكم بأقدامكم وعظيم نشاطكم وثباتكم فقد برهتم للأمة جميعه  
باجتهادكم وذكائكم أننا شعب حي قادر أن يحافظ على اسم أمته  
الكريمة . فمن كان منكم قد وصل الى الدرجة التي يتمناها فليعد الى  
وطنه مسقط رأسه فان بلادنا في حاجة الى الرجال العاملين . ان  
بلادنا الواسعة فيها من الخيرات ما لا يقبل عن هذه البلاد والدليل  
على ذلك طمع الشعوب في التقرب اليها لا يتراز هذه الخيرات وليس

تقرهم جبالنا بل طمعاني ثروتنا المكنوزة التي لا نستغل لاستخراجها  
فأتم يا إخواني السوريين أحق من هؤلاء الأجانب الذين يتالون  
الامتيازات الكثيرة ويبتزون أموالنا ونحن عن ذلك غافلون . إن طريقة  
الاستعمار ليست خافية عليكم فبعد أن يحصل الأجانب على هذه  
الامتيازات بأية طريقة كانت يصبحون أرباب السيادة فأخاف أن  
تضيق البلاد بهذه الوساطة وكفانا ما فقدناه حتى الآن . فلنحافظ  
على البقية الباقية من وطننا العزيز . لقد درست الحياة وعرفت  
أسباب وأسرار تقدم الأمم باختلاطكم بالشعوب الراقية العاملة وأتممت  
ما ينقصكم من الاختبار فارجعوا إلى بلادكم غانمين واستمروا خيراتها  
بما تعلمتموه ولا تجعلوا للأجنبي بابا للتدخل في شؤونكم فأتم أولى  
من الغريب بهذه الثروة الموروثة من أجدادكم وإن وجدتم صعوبات  
فتحملوها فداء وطنيتكم والله ينصركم ويوصلكم إلى كل ما تحبونه

ولكن بأي جنس تعودون ؟ عودوا بجنسكم العثماني رافعين الرأس  
حاملين اسمكم السوري لا بجنس أجنبي فان عدتم إلى أوطانكم بالحالة  
الأولى يكون وقتئذ لكم الحق في مشاركة حكومتكم في كل ما يعود  
عليها وعليكم بالخير وإن تكن الأخرى (ولا إخلالكم برضونها لأنفسكم)  
فعدتم متحليين جنسا أجنبيا لمعكسة الحكومة وعدم احترام قوانينها

وشرائعها والصياح في وجهها بدون حق فهي إنعامت هؤلاء  
الخارجين عن طاعتها معاملة الأجانب ولم تلتفت الى طلبتهم ولم تعن  
براحتهم كانت محقة في ذلك وهذا أقل جزاء يناله من تبرا من جنسه  
اذ يعد خارجا على أمته

هذه آمالي فتقبلوها مني باخلاص وأختم خطبتي بأن أشكركم من  
صميم قوادي لما لقيته منكم من حسن الوفادة والكرم وأهني رجال  
الصحافة ناشري لغتنا المحبوبة بين إخواننا السوريين البعيدين عن  
الأوطان ومسبي الارتباط الدائم بين الشرقيين لا سيما السوريين  
المقيمين في الممالك المحروسة وبين الساكنين الآن في هذه الدنيا  
الجديدة وإني أدعوا الله أن يوفقنا الى كل ملفه صلاحنا وفلاحنا . اه  
هنا يجدر بي كتابة ما نشرته جريدة مرآة الغرب القراء التي تصدر  
بنيويورك باللغة العربية لصاحبها نجيب أفندي مومى دياب عن  
وصف هذه الحفلة الالكرامية :

### الأمير محمد علي في نيويورك

جمعية الاتحاد السوري تحتفى بسموه وتكرم مصر في شخص شقيق

الجناب العالي

## المأدبة الإكرامية في ولدروف أوستوريا

تجلت ليلة القدر مساء السبت الفائت في نزل ولدروف الشهير في نيويورك إذ طلع الأمير الكريم محمد علي شقيق خديو مصر يدرا في مساء الحفلة الإكرامية التي أقيمتها جمعية الاتحاد السورى باسم السوريين احتفاء بسموه وهو ضيف الجالية السورية بل ضيف الأقطاب الشرقية في ديار كوليس على ضفاف الهندسون

كان أعضاء الاتحاد السورى قد اجتمعوا في القاعة المخصصة لاستقبال الضيف العظيم عند الساعة السابعة مساء وكانت الجمعية قد أوقدت حضرتي الفاضلين أنطون أفندى سمعان والياس أفندى ملوك بسيارتين فأقبلا مع الأمير وحاشيته وما أزفت الساعة السابعة ونصف حتى أشرقت أنوار طلعة الأمير وبطالته الكريمة المؤلفة من الملاحور محمود خيرى بك ياور الجنب العالى الخديو ومصطفى رضا بك كاتم أسرارهم وعلى رؤوسهم الطرايش العثمانية فصعدت الموسيقى بالسلام الخديو واصطف الأعضاء على الجانبين فأخذ سموه يصاحفهم فردا فردا وتصدّر المجلس فاستقبله حضرة رئيس الجمعية الفاضل داود أفندى حذارى بخطاب بليغ رحب به وبمن معه باسم

الاتحاد السورى والحالية السورية وحياء باسم الناطقين بالضاد من شاطئ الى الثلاثين الى شاطئ الباسفيك فوقف سموه وألقى خطابا بليغا كالدرد التضييد كتبت آياته بقلم الوطنية وخطت سطوره يراع الصدق ولا غرو فهو خطاب الأمير المؤلف والرجل الكبير الذى حقق الخير عنه الخير

( ولقد نشر هذا الخطاب فى الصفحة الأولى من الجريدة وكتب فى مقدمته : إنه أول خطاب ألقاه سمو الأمير فى حفلة رسمية وحرى بجمعية الاتحاد السورى جمعيتنا الكبرى أن تنال هذا الشرف من أمير العلم والجد ورب السيف والقلم حفيد سموه محمد على الكبير ) وما كاد سموه ينتهى من خطابه حتى اهتزت أرجاء المحفل بالتصفيق والهتاف . ثم فتح الباب الفاصل بين حجره الاستقبال وحجرة المائدة فدخل سموه والجمع المعجب به وتصدر المائدة التى كانت مزدانة بالأزهار والأنوار فزادها نوره نورا وأنعش لطفه ما فيها من الزهور . جلس الأمير فى ظل العليين المصرى والأمير كى وفى وسطهما بحمة رسوم مكبرة هى رسوم جده الأكبر محمد على الكبير وإبراهيم باشا الغازى أو نابليون الشرق واسماعيل باشا جده وتوفيق باشا والده وسمو شقيقه الأمير عباس الثانى خديوم مصر . جلس الأمير والى يمينه حضرة

الفاضل داود أفندي حدارى رئيس الجمعية والى يساره حضرة العالم الخطيب والنظامى البارع الدكتور رزق أفندي حداد رئيس الجمعية الأول ورئيس هذه الحفلة والى يمين الرئيس حضرة العالم الفاضل والنظامى البارع الدكتور اسكندر بك جريدينى أحد ضيوف تلك الليلة الساطعة بأنوار طلعة الأمير وأخذ الحاضرون مراكرهم وكانت راية الجمعية وشعارها الأرزة تحفح أمام الضيف العظيم الذى كانت أنوار اللطف تفيض من مجياه فيحدث من حوله ويسم الجميع ابتسامة تشف عن مروره برؤية أبناء سوريا ومصر ملتفين حوله محققين به يقومون بواجب مقدس نحو أمير الفضل والعلی

ولم تمض ساعة حتى وقف رئيس الحفلة الدكتور رزق أفندي حداد مستأذنا الضيف الخطير فافتتح الكلام على المائدة يذكر محاسن الشرق والشرقيين ومن جملة ما قاله : « إن الغرب أمسى يحيط بوجودنا وأما الشرق فهو مقيم فى وجداننا » ثم شرب نخب من هو رجاء الشرق وعماد الأمة العثمانية النجبة جلالة السلطان المعظم ( فوقف الحضور دفعة واحدة وشربوا نخب جلالتهم بمزيد الوقار والاحترام ) وما لبث الخطيب أن أئسد :

سلطاننا محمد المقتدى ❁ وتاج عثمان السنى المحيد

حامى حمى الدستور فى شرقنا ● وركن ذاك الإتحاد الوطني  
يدعوله فى الغرب أبناءؤه ● بالنصر والملك السعيد المديد  
فتبسم الأيام حتى ترى ● عصر رشاد قاق عصر الرشيد  
ثم عاد رئيس الحفلة الى الكلام عند شرب النخب الثانى فذكر  
الديار التى هى أقرب الديار اليها والأمة التى هى أعز الأمم لدينا أى  
الأمة المصرية الكريمة فتمنى لمصر أن تبقى مدى الزمان كما كتب عنها  
عمرو الى الخليفة عمر فى صدر الاسلام اذ قال « فينما مصر يا أمير  
المؤمنين لؤلؤة بيضاء اذا هى عنبرة سوداء فاذا هى زمردة خضراء  
فاذا هى ديباجة زرقاء فتبارك الخالق لما يشاء » ثم رفع الكاس على  
ذكر رئيس الأسرة الخديوية ومليك الأمة المصرية ونصير العربية  
والعثمانية سمو الخديو (عباس باشا حلى الثانى) وأشد هذه الأبيات  
يا مصر مهد العلى والمجد من قدم ● ومطلع العلم والعرفان للناس  
لله كم حزن من حسن ومن حسب ● وحاز أهلك من لطف وإيناس  
أنت السعيدة فى الأمصار قاطية ● لأزلت باسمه فى ظل عباس  
ثم تقدم الدكتور حداد الى نخب الزائر الكريم فقال : إن مصر  
وسوريا شقيقتان منذ بدء الزمان وهما أقدم البلدان ومهبط الحكمة  
والأديان . مصر أم العلى . وسوريا أم الهدى . وإن السورى المهابط



الى مصر من سفح لبنان لا يعدّ نفسه فيها غريبا أو دخيلا بل يعتبرها  
وطنا له ثانيا ويحبها كذلك . ثم أخذ يعدّ مآثر الأسرة الخديوية من  
عهد محمد علي الكبير الى عهد عباسها الثاني القى أحيا ذكر العباسيين  
القدماء فأضحت الكثافة مقرّ العلم والعلماء والأدب والأدباء كما كانت  
الرصافة في عهد هرونها ومأمونها . إلى أن قال : « تلك الأسرة النبيلة  
التي أخرجت في وقت واحد بيمارك الشرق وتابليون الشرق وأشار  
بذلك الى منشئ الوحدة المصرية محمد علي الكبير والى ابراهيم القائد  
الخطير والبطل الشهير . ثم قال : إن أجدادنا في أوائل القرن التاسع  
عشر قد تألبوا حول ذلك الأمير الفاتح ونحن اليوم في أوائل العشرين  
نتألب حول الأمير السائح . ذاك قد افتتح بلادنا وأما الأمير فقد  
غزا ولكن قلوبنا . وبعد ما أفاض الخطيب في تعداد مآثر تلك  
الأمرة الكريمة خاطب الأمير الزائر فخياه باسم الاتحاد السوري وبالنبيلة  
عن مئات الألوف من السوريين المهاجرين ثم اشترك الكل في شرب  
نخب الأمير وختم الخطيب كلامه بهذه الأبيات :

ألا فاسقنا كأس الأمير فإنها ● لكأس العلي والمجد والفضل والندى  
سليل العلي من أسرة علوية ● تصون لها الأيام مجدا مخلدا  
أعادت الى مصر القديمة عزها ● وللعرب العرباء نفرا وسؤددا

وكم أطلعت في منبت الفضل دوحه • وكم أطلعت في قبة المجد فرقدا  
وكم رفعت للعلم صرحا مشيدا • وكم شيدت للبردارا ومعهدا  
فيا سيدا أحيا القلوب بزورة • فكانت كنبت ذابل زاره الندى  
نحيك عن دار الشأم واهلها • وكم حفظت دار الشأم لكم يدا  
ومأثرة في الشرق قد سار ذكرها • وفي العالم الغربي رن لها الصدى  
أي الله أن ننسى صنيعك والوفاء • غدا قرمت بيروت صاعقة العدى  
فكنت حليف البائسين على الضأ • وكنت لها نيك الجراح مضعدا  
لئن نحن جزنا كل قطر ومعشر • وتاهت بنا الأسفار في الأرض مرندا  
فحفظ ما أوليتنا من مكارم • وهيبات أن ننسى الأمير محمدا  
ثم وقف رئيس الحفلة وشرب بسر الراية الأميركية راية النجوم الزاهرة  
ورئيس الولايات المتحدة والشعب الأميركي العظيم ذى الوطنية  
الحقة فصاحت الموسيقى بالتشيد الوطنى ووقف الجميع إجلالا وتعظيما  
وقدم رئيس الحفلة للضيف والحضور الشاب الأديب فيليب  
أفندى كاتسغليس فأتسدهم بعذوبة صوته الأنشودة الآتية وهي  
من نظم رئيس الحفلة الدكتور رزق أفندى الحداد

بدرتم في سما المجد سما • وكسانا من سنه حلا  
وبأرض الغرب أضفى مشرقا • بفلا هم وأحيا الأملا

يا أمير الشرق شرفت الحمى • فانتشئ كل قواد جذلا  
وبنو الشام لديك اليوم كم • ذكروا مصر وذباك الولا  
فلتعض مصر ومن سادوا بها • وورعك الله يا بدر العلى  
فطرب بها سمّوه وأنشرح لها صلدرا وهنا وقف الأمير متكلم باللغة  
الانكليزية فذكر رجلا من خيرة رجال أميركا في مصر هو المستر نجاي  
فحصل جنرال الولايات المتحدة فقال يوم ساعدنا بيروت المنكوبة  
بقنايل الايطاليين لم نر مساعدة من أوربي أو أميركي علنا المستر نجاي  
الذى تبرع لمساعدة المنكوبين بمائة ليرا انكليزية وهو رجل طيب  
القلب يحب الخير للناس جميعا . واتنى أسألكم أن تكرموه اذا زار  
الولايات المتحدة الأميركية وأنا معكم الآن أشرب بسر ذلك الرجل  
الكبير القلب المشفق على الضعفاء . وما كاد سمّوه ينتهى من كلامه حتى  
صدحت الموسيقى بالسلام الخديوى فوقف الحاضرون اجلالا  
وأخذ رئيس الحلقة يستدعى الخطباء فلستدعى أولا حضرة  
رئيس الجمعية داود أفندى حدارى الذى تلا خطبا فيه ما فيه  
من بيان العلائق الولاية بين مصر وسوريا وحب السوريين للأمة  
الخديوية . وهنا استدعى حضرة الكاتب الفاضل والشاعر الحميد  
ندره أفندى الحداد نائب رئيس جمعية الاتحاد السورى فتلا قصيدة

من نظمه المتين مؤلفة من سبعة عشر بيتا وكل بيت منها كأنه الصرح  
المشيد منها

يا ابن الملوك الصيدين شادوا لنا ۞ مجدا رفيعا قد تعالى شأنه  
أحييتم للشرق بعد هبوطه الـ ۞ عز الذي باهت به سكانه  
يسمو بعاس العلي وشقيقه ۞ قطر سعيد تردهي وذبانته  
والنيل معتز على أقرانه ۞ انت العزيز قليلة أقرانه  
حرس الاله محمدا وأخا العلي ۞ عباسا الثاني وطال زمانه  
ما أشرقت شمس ولاحت أنجم ۞ والروض مالت فوقه أغصانه  
ثم استدعى حضرة النظامي الفاضل الدكتور اسكندر بك جريديني  
الطيب المعروف في طنطا ومصر والعائد الى الوطن في الوقت القريب .  
فوقف وقفة الخطيب وشكر لجمعية الاتحاد السورى دعوتها له ليقوم  
بواجب مقدس نحو سمو الأمير واسترسل في خطابه الى ذكر مصر  
وسوريا الشقيقتين العزيزتين . قال : لا يفصل بينهما سوى ذلك  
القتال . قتال السويس . فاذا وقف السورى في ضفة والمصرى  
في الضفة المقابلة بخادنان بالود والولاء واذا مد الآخر يده الى الثانى  
يتصافحان مصالحة الإخاء . وذكر ما لمصر من الفضل على السورى  
وما فى قواد السورى من الشعور الحى نحو أبناء النيل وحكومته

والاحترام والحب لآسرة العلوية المحمدية ولا سيما عزيز مصر وخديويها  
الحالي عباس الثاني . ولقد أجاد الدكتور كثيرا وأعرب عن صدق  
في وطنيته دلت عليها لهجته وأقواله الصادرة عن وجدان حي  
واستدعى للخطابة نجيب دياب صاحب هذه الجريدة فوقف  
وحيا الأمير وذكر ما لمصر من الأيادي البيضاء على شقيقتها سوريا  
فقد كانت ملجأ اللاجئين إليها منذ أيام السيد المسيح وأمه العذراء  
مرهم الى اليوم . ثم ذكر ما لآسرة الخديوية من الأيادي البيضاء  
على سوريا ومعاهد العلم فيها ومساعدة العلامة البستاني بالأموال  
الطائلة يوم ألف محيط المحيط ويوم اشتغل في دائرة المعارف وأتى  
على ذكر القصر العيني ذلك المعهد الطبي الذي أسسه جد الأسرة  
الخديوية وما له من الافضال على السوريين . ورحب بالضيف  
الكریم باسم الصحافة العربية في الولايات المتحدة وذكر بان الحير  
الصحافة العربية المصرية والسورية وما أظهرته من الاهتمام في رحلة  
سمو الأمير وسياحته واحتفاء أبناء سوريا به وغير ذلك  
واستدعى رئيس الحفلة جناب الكاتب الفاضل ولیم أفندي  
كاسفليس الرئيس السابق لجمعية الاتحاد السورى فالتقى خطابا نفيسا  
امتدح به الضيف الكرم وأثنى على ديمقراطيته وتسامحه ولطفه ودعاه

أمير الأدباء وأديب الأمراء وقد جال وليم أفندى جولاته المعروفة بالقصاحة والافتنان في الموضوعات ولا بدع في ذلك فله وقفات شهد له بها حتى خصومه

وهنا قدم الدكتور حداد حضرة الكاتب الفاضل والشاعر المحيد الشيخ عباس أفندى أبو شقرا أحد محرري هذه الجريدة وكلام أمرار جمعية الاتحاد السورى قتلا قصيدة عصماء من نظمته أعجب بها سمّوه والمحاضرون ومنها

أعظم يملكك مجد الترك والعرب • أخا العزيز أمير النيل والنسب  
حللت في بلد تاجا على ملك • حينا يتافس فيه سائر الحقب  
فرجبا بفتى العليا محمداه • ركن الأريكة وابن السادة النجب  
أقبلت بدرا ينير القرب طالعه • بساطع من جلال القدر والحسب  
في هالة تأخذ الأبصار زاهية • تأقت من لباب العلم والأدب  
لن تنكرت فالأفعال معلقة • كما تنكر قرن الشمس في الحجب  
أوسرت مفردا لا تبتنى حرسا • تظل من همم في جفيل لجب  
وقدم رئيس الحفلة حضرة الفاضل الشاعر المطبوع توفيق أفندى  
نفر الذى لا ينسى الأدباء رقة نظمته وسلاسته واقتائه قتلا قصيدة  
غراء نالت استحسان سمو الأمير

واستدعى أيضا قتي الشيخ وشيخ الشعراء حضرة الفاضل ميخائيل أفندى رسم فتلا قصيدتين من نظمته الرسمى ستر بهما سمو الأمير سرورا لا مزيد عليه وأعجبه من رسم أفندى خفة روحه فانه بمناسبة تنكر الأمير باسم رسم بك في رحلته قال (ميخائيل أفندى رسم) في أبياته .  
رد لي اسمي مع (فاتنظ) مستحق • ولك الشكر من مداع صغير  
قامت لطف سمو الرئيس هذا الشاعر الشيخ واستحسن مداعبه  
وأجابه . لا أرد الاسم اليك وأى ضرر لحق بك من استعمال إياه  
فقال رسم أفندى

. بل أنا أطلب بحق وأطلب ان ترد لي اسمي مع (القرط) فأجابه  
الرئيس على القور

. هو انت يهودى

ظهر بعد ذلك شيخ أبناء الذكاء ورب القول في الزجل والشعر  
العالى الفاضل إلياس أفندى القران فالتى في حضرة الأمير أبيتا زجلية  
هى القصاحة والبيان

وقدم رئيس الحفلة حضرة الفاضل عبد الملك أفندى سعد أحد  
طلبة الطب في جامعة هر فرد الشهيرة في يوسطن وهو مصرى ومن  
أعيان الأقباط فتلا خطبا فصيحاً رحب فيه بسمو شقيق عزيز مصر

ولقد أنظاره إلى عظمة هذه البلاد وعلومها وفنونها وما فيها من الرقي  
وتعامل بسياحته خيرا للديار المصرية فسرّ الأمير به سرورا عظيما .  
وهنا استدعى صاحب هذه الجريدة مرة ثانية فتاب عن حضرة  
الكتاب المفتن الفاضل سليم أفندى سر كيس صاحب مجلة سر كيس  
المشهورة في العالم العربي وتلا عنه خطابا كان قد أرسله الى جمعية  
الاتحاد السوري ليتلى في هذه المأدبة ولا يخفى أن سر كيس أفندى  
وحضرة الفاضل صاحب العزة سليم بك أيوب ثابت كانا في طليعة  
المهتمين بهذه الحفلة الكبرى ومن أول المعجبين بها فتلا صاحب  
هذه الجريدة الخطاب الآتي .

مصر في ١٥ يونيه سنة ٩١٢

حضرات الإخوان الأفاضل رئيس وأعضاء جمعية الاتحاد  
السوري حفظكم الله .

كأني هذا اليكم لتقرؤوه في الحفلة التي تقيمونها لإكرام دولة الأمير  
محمد علي ليعلم دولته حفظه الله أن السوري في بلاد محمد علي الكبير  
يشارك مع أخيه في بلاد واشنطن العظيم في إكرام حفيد الرجل  
الشرقي العصامي وشقيق العباس وابن توفيق الذي قال فيه شاعر  
سوريا اليازجي



الخصم ليس له إليك طريق • أتى يفوز وخصمه التوفيق  
أتم أيها الاخوان قد تشرقم في ديار الغربة بضيافة أمير مصرى  
من الأسرة العلوية الشريفة التي شرفت ابناء سور يامنذ أيام رأسها  
محمد على حتى الآن باكرامهم وتقديرهم حق قدرهم • هذا الأمير  
محمد على شقيق أفندينا عباس الثانى وفيهما يقول شوق شاعر الحضرة  
الفخيمة الخديوية مخاطبا ماكن الجنان الخديوى توفيق

وترى ابنك العباس مبتسما • يلقي وقود العُجم والعرب  
ويقول جدى فى سماحته • جدى وتوفيق الزمان أبى  
والله شد بفضلته عضدى • بأعنى على المجد والحسب

وفى ضيفكم اليوم وفى أخيه العباس يقول شوق

أعزة أينما حلت ركائبهم • لهم مكان كما شاورا وإمكان  
تأبى السعادة الا أن تسارهم • لأنهم ملوك الأرض ضيفان  
نجلان قد بلغا فى المجد ما بلغا • معظم لهما بين الورى شان  
يكفيهما فى سبيل الفخر أن شهدت • بفضل سبقهما روس وألمان  
هما هما تعرف العلية قدرهما • كلاهما كلف بالمجد يقظان  
ما الفرقدان اذا يوما هما طلعا • فى موكب بهما يزهو ويزدان  
أيها الإخوان • لاريب أنكم تريدون من صديقكم القديم الدائم

أن يوافيكم بشئ عن اخلاق ضيفكم الكريم فنحن بطبيعة الحال  
أدري منكم بها لاننا نقيم حيث يقيم دولته

دولة الأمير ممتاز بصدق وطنيته العثمانية أولا فللمصرية ثانيا وليتهب  
قواده غيرة على الشرق ومجده وعادته . يعشق تقدم العلم وإحياء  
الصناعة ويميل الى مجازاة الغرب وأن يأخذ من عادته أحسنها على  
شريطة أن لا نهمل عادتنا الممدوحة وآدابنا العربية والشهامة التي  
امتاز بها قومنا . يريد أن نكون كاليابانيين الذين زار بلادهم محافظين  
على تقاليدنا في الملابس والمآكل والعادات وأن نكون على أهبة لرد  
غارات الأمم التي تدعى المدنية وهمها ابتلاع الأمم الضعيفة . يسومه  
كثيرا وجود الضغائن والأحقاد بين الترك والعرب والمصري والسوري  
والبحركسي والالباني الذين تجمعهم راية واحدة وعادات واحدة .

وأما أخلاق دولة الأمير فحدث بما شئت من الكرم والإخلاص  
وحب إنقاذ الملهوف وجميل المعاشرة والابتعاد عن الكبرياء مع  
الحفاظة على مقامه العالي

ودولة الأمير محمد على قوى الاعتقاد بدينه فهو مسلم غيور ولكن  
بدون شئ من المغالاة وهو لا يعرف الخمر ولا التدخين ولكنه مولع  
بالقهوة الجيدة وله مآثر خفية فهو ينفق على كثير من الأمور

المحتاجة وعلى تربية وتعليم بعض أبنائها في مدارس أوروبا ومصر بقدر  
ما تيسر له ثروته

ويسرني أن أقول أن دولته امتاز في كل زمان ومكان بحبه الصحيح  
لأخيه سمو الخديوي المعظم

أن دولة الأمير الذي يشرف حفلتكم أيها الإخوان له فضل سابق  
على سوريا وأبنائها فيها وفي مصر شأن جميع أفراد هذه الأسرة القديمة  
وقد سمعتم ولا ريب بما كتبه في رحلته السورية عن وطنكم  
وقومكم وسمعتهم أيضا ما أبداه من الأريحية السامية في إطاعة أهل  
بيروت يوم قاجأهم الطليان بالعداء ودولته يرى الآن أن السوري  
عارف فضائل دولته في كل مكان لأننا إخوان حقا يشعركل فرد منا  
في كل بلاد بالاحسان الى كل فرد آخر . فأنتم يا كرام دولة الأسيـر  
الكريم قد رفعتم رأسنا وحفظتم كرامتنا وتركتم في نفس دولته أبجل  
تأثير مسبق فيها إلى ماشاء الله . وخليق لي وأنا أكتب من مصر  
أن أختتم رسالتي بقول الشاعر المصري الكبير حافظ إبراهيم .

هذي بدي عن بني مصر تصالحكم • فصالحوها تصالح نفسها العرب  
هذا وقد طبع الخطاب على حلة مصدرا برسم سمو الخديوي  
عباس الثاني وشقيقه ضيف الجالية ووزعت نسخته على الحاضرين

وكان مسك الختام قصيدة من نظم شاعر السورين في وادي النيل حضرة الفاضل خليل أفندي المطران بعثنا لتلى في هذه الحفلة فانتدبت الجمعية لتلاوتها حضرة الفاضل ندره أفندي الحداد نائب الرئيس الذي استدعى فليّ وتلاها بفصاحة وحسن إلقاء وقد مر بها سموه كثيرا وما وصل ندره أفندي الى البيت الاخير من قصيدة شاعر السورين في وادي النيل القائل :

جذلين نعلم في صيد ● محتوليلتكم سعيده  
حتى نهض الأمير وحاشيته وتبعهم الجمهور الى حجرة الاستقبال  
وهناك ودع سموه رئيس الجمعية وأعضاؤها وشيعوه بالاكرام الاتق  
بمقامه العالي

في منتصف الساعة الثامنة من مساء يوم (الأحد ٢١ يولييه) لينا دعوة قبصر أفندي صباغ وقرينته السيدة نجلاء الى المأدبة التي أعدت لنا في فندق ريجنس العظيم فقابلتنا السيدة نجلاء وشقيقتهما السيدة نبيهة عقيلة سليم أفندي مغيب بالترحيب والإكرام وصدحت الموسيقى بالنشيد الخديوي وبعد أن جلسنا قليلا في حجرة جميلة معدة لاستقبالنا فتح باب قاعة المائدة فدخلناها وجلست وعن يميني السيدة نجلاء والى يسارى شقيقتهما السيدة نبيهة ثم أخذ المدعوون مراكرهم .

وكانت المائدة مفروشة بالورد والأزهار وفي وسطها مصباح كهربائي  
ياباني ومن فوقها تسدق المياه من نافورة كما تسدق مياه الخندل  
والرايات المصرية والأمير يكية ترين الحجر ورسم الخديو بين العظام  
في وسطها . وقد كانت الزينة أبهى وأجمل زينة ولا عجب في ذلك  
فهى نتيجة ترتيب وذوق النجلاء .

وكانت المائدة وما عليها من أنغر وأبهج ماصعته الأيدي . فالملاعق  
والسكاكين و ( الفراتيك ) كلها من الذهب الابريز والآنية من صنع  
الصين الحقيقي

وما لبثنا قليلا حتى رأينا النجلاء قلنبضت تكرمنا وتحنى بنا فلفظت  
الخطاب الآتى وكله درر ويشف عن أدب عال ورقى نادر .  
قلت أكثر الله من أمثالها .

مولاي الأمير

إن تعطفكم وقبول دولتكم دعوتنا هذه الليلة مما يشير الى روحكم  
الديموقراطية الشريفة التي هى مصدر حياة البلاد وفلاح العباد .  
فبمثلكم تعتبر الامة الشرقية وتجارى بأفرادها الآن ويجموعها غدا  
سائر الأمم الغربية .

مولاي . لقد زرت القاهرة في السنة المنقضية فلا مسعى

ثناء إخواني فيها على الأسرة الخديوية المعظمة وعطفها عليهم .  
 ومررت ما سمعته عن سموكم من جميع إخواني ومن صديق المقضال  
 صاحب السعادة إسماعيل باشا أباطه من الصفات المتأززة التي  
 اتصفت بها دولتكم . وعلمت من ابن عمي خليل مطران وهو  
 في مقدمة المعجيين بدولتكم أن حفيد محمد علي الكبير كبير فضائله  
 السامية وبأخلاقه الراقية وبعطفه على المساكين . وعلمت أيضا من  
 صديق الكريم رجل الحزم والعزم سليم بك ثابت أن دولتكم كانت  
 أول من من مئيد المساعدة للبير وتبين يوم فاجأهم الطليان بالنكبات  
 واتصل بي من صديق الفاضل سليم أفندي مركيس أن الأسرة  
 الخديوية حفظها الله هي بمثابة شجرة عظيمة مسترسلة الأغصان  
 يستظل بظلها أبناء وطني في وادي النيل .

وبلغني أن دولتكم استحسنّت زحلة مسقط رأسي ووطني الأول  
 وتكرمت بطرائها خاصة في كتاب رحلتكم . فابنة زحلة السورية  
 ترحب بدولتكم في هذه الديار وتقدم الى سموكم شكرا عمترجا بشعائر  
 الاكرام والاحترام يكون عبارة عن وردة ترهوف في ظلال الأمير  
 وتنتعش في حديقة سمو العزيز . واني أسأل دولة الأمير رعاه الله ليق  
 بأن همته العالية مصادقة إعجابا واعتبارا من المرأة السورية كما أنها تأتله

قدرا ومكانة في قلب الرجل السوري . فالتمس من دولتكم أن تكونوا في طليعة الآخذين بنصر المرأة الشرقية ودفعها الى الأمام لأنها قد برهنت في المدة الأخيرة التي أعطيت فيها حقوقها على مقدرة عقلية وكفاءة لمجاراة أخواتها الأوروبيات في كل الأعمال العظيمة . فلبسان شقيقتي الشرقيات في هذه البلاد أرحب بكم وأثنى على دولتكم لتعطفكم وتشریفكم وأهتف بالدعاء قائلة ليحي عباس الثاني وليعش محمد علي مرودة هتاف مواطني في وادي النيل

أقلت السيدة خطبتها هذا بذات ورباطة جأش وقد كان لكلامها وقع حسن جدا في نفسي بظاهرت أمام الحاضرين بشدة إعجابي بفصاحة هذه السيدة الشرقية النادرة المثال ثم هتأتها وقلت لها ان أمة فيها أمثالك لا تخاف مستقبلا مظلما فكوني في راحة ضمير واطمئنان على شقيقتك الشرقيات ولقد ابتدأنا نحن الشرقيين نعرف علل تأخرنا وأهمها تربية المرأة ومنصل باذن الله الى الطرق الغربية الموصلة الى تنقيف المرأة وجعلها في مستوى مثيلاتها الغربيات وتريد عنهن بالأخلاق الصالحة الشرقية ان شاء الله

خطب بعد ذلك قيصر أفندي صباغ خطابا كله أدب وفصاحة وبيان ثم أعقبه الدكتور رزق أفندي حدا فالدكتور اسكندر جريديني

وبعد الفراغ من تناول الطعام انتقلنا الى غرفة الجلوس وهناك  
أشدنا قليب أفندى كاتسفليس نشيد مريض يحب وطنه سوريا  
فطربنا منه واستعدته مرارا وأخيرا انصرفنا بعد أن شكرنا لطف  
الداعية وهمة قرينها الفاضل

في صباح يوم (الاثنين ٢٢ يولييه) ركبنا عربة وذهبنا لشراء كتب  
هندسية تختص بالعمارات الأميريكية لاهدائها لصديق محمود بك  
فهى باشمهندس الأوقاف وعند عودتنا الى الفندق أخبرت أن  
فضيلة العالم الشرق الجليل عباس أفندى زعيم البهائيين يريد مقابلتي  
فضربت له موعدا في الساعة الثالثة بعدظهر هذا اليوم وفي الساعة الثانية  
حضر عندى جلال بك قنصل تركيا بالولايات المتحدة فوجدته  
رجلا كاملا تدل هيئته على الرزانة والكمال ومن حديثه وثقت من  
اقتداره وكفاءته فقرحت به ودعوت الله أن يكثر من أمثاله العثمانيين  
خصوصا بين موظفي السفارات بأروبا

حضر بعد ذلك عباس أفندى فقابلته مرحبا به معظما له ولم تؤثر  
الشيخوخة في ذكائه المفرط فانه مكث معي نحو ساعة من الزمن وهو  
يحدثني في موضوعات شتى مفيدة جدا دلت على سعة اطلاعه وكثرة  
اختباره فهو اذا رجل العلم وعظيم من عطاء الشرق



بعد انصراف هذا الشيخ الحليل استأجرنا سيارة ذهبت بنا الى منزل قيصر أفندي صباغ وقرينته المحترمة لشكرهما على دعوتهما ولما لم نجد هما تركت لهما بطلقة زيارتي ومعها الخطاب الآتي

حضرة المصونة الفاضلة مدام صباغ

أقدم لحضرتك عظيم شكرى على الدعوة الاكرامية الجميلة التي دعوتنى اليها أمس وأعترف لك بكل ماسمعته عن آدابك العالية ومكانتك الراقية فقد رأيتك فيك بيجرد أن تعرفت بحضرتك . وقد أعجبنى منك كثيرا قلب السيدة الكاملة الذكية المحبة لبلادها ووطنها فتقبل أيتها السيدة المهذبة خالص سلامى وشكرى لما سمعته منك البارحة من العبارات الرقيقة والثناء الحسن على وعلى أسرقتى وبلادى ذهبتا بعد ذلك لرد الزيادة لعباس أفندى فوجدنا منزله صغيرا ولكنه جامع لكل أسباب الراحة والنظام وقد كانت حاشيته مؤلفة من عشرة أشخاص وعلى رؤوسهم (القلبيق الفارسى) فعرفت من هذا الترتيب أن هذا الشيخ المحترم وقف على موضع ضعف الأمريكين فاستصحب معه هذا العدد الكبير ليقتطعهم اليه ولم أرد بذلك أن أحط من قدر الرجل فان صنيعه هذا يدل على ذكائه ومعرفته الطرق الذى بها يؤثر فى نفوس القوم فيقتادهم اليه أما خطباته الكثيرة

المؤثرة فلها أخذت دورا عظيما في أمريكا وقد كانت اذ ذاك حديث الجرائد ينشرونها ويعلقون عليها آراء علمائهم الدينيين وبالجمله قد توصل باقتداره الى بلوغ الدرجة التي يحسده عليها الحاسدون . وقد مكثت معه زمنا أحاده ويمادئني فيطربني بلذيت كلامه ثم انصرفت من عنده وأنا أحفظ له في قلبي المودة والاحترام . قبل أن تزايد مدينة نيويورك أرسلت لحضرات رئيس وأعضاء جمعية الاتحاد السورى الكلب الآتى .

إن ليلة الحفلة التي قتم بها كانت بالغة غلبة الكمال والجمال . وما قاله شعراؤكم وخطباءكم ورجال صحافتكم أثناء حضوري أثر في نفسي أعظم تأثير وقد وثقت أن احتفاءكم بي كان صادرا عن إخلاص صحيح ووداد متين وكان ذلك ظلها على وجوهكم الفرحه الناطقة بما تكتنه أفندتكم من السرور فشكرا لكم على ما أبديتموه من التجله والاكرام لى ولأمرئى وجدودى ولذ كركم بلادى المحبوبة مصر بكل افتخار وإعظام وإعجاب وكما أنى رأيت هذا السرور العظيم باديا عليكم كنت من نفسي فى سرور عظيم لوجودى بين إخوانى الشرقين فى موقف ظهرت فيه صلوات الوداد بأجلى مظاهرها والاخلاص الحقيقى فى أبهى حله . فأدعوا الله أن يزيد هذه الصلوات مثانة

ويقوى بيننا الاتحاد والألفة حتى يصلنا الى الدرجة التي أتمناها  
ويتمناها كل شرقى محب لبلاده وأمنه . وأختم كتابي بوداعكم فى حفظ  
الله وحراسته مؤكداً أنى لا أنسى هذه الذكرى الحسنة وأتوسل اليه  
سببائه وتعالى ألا تكون هذه المظاهرة الودادية خاتمة المظاهرات  
التي تحكم الروابط والعلاقات بيننا والسلام ١

فى يوم (٢٣ يولييه) زابلنا نيويورك الى أوروبا فودعنا على البانحة  
قيصر ويلهلم (Kaiser Wilhelm II) فنصل تركيا المحترم وحضرات  
رئيس وأعضاء الاتحاد السورى الذين قدموا لنا باقة ورد باهرة  
وقدم لنا حضرة قيصر أفندى صباغ سلة زهور جميلة

سارت بنا السفينة تحفها العنيفة الالهية فأخذت تشق عباب ذلكم  
التخضم راحلة بنا عن عالم الدنيا الجديدة الى عالم الدنيا القديمة . فإذا  
نظرت ورائى رأيت أمريكا بلاد العجائب أمام عيني وشواطئها أخذت  
تغيب عن ناظرى وعمما قليل تتوارى خلف حجاب من البحر  
لا تخترقه العيون ولكن كلما غاب جزء منها عن عيني ظهر خياله  
فى فؤادى وما زالت الحقيقة تصغر فتخفى والخيال يعظم فيتجلى  
حتى توارت أمريكا كلها عن ناظرى فتمثل خيالها أمامى أنظره بعين  
القلب حتى خيل الى أنى مازلت فى أمريكا أجول فى أرجائها منتقلا

بين جبالها ووهلداها وبدوها وحضرها وآكامها وآجلها وفنادقها  
وأكوأخها وجنادلها وأنهارها وجزائرها وبحيراتها وأبيضها وأحمرها وإذا  
نظرت أملى ووجهت وجهى شطر بلادى تذكرت الديار والأهل  
والخللان وتمثل فى فؤادى وطنى المحبوب فهالجت الذكرى شوقى إليه  
وحنت إليه حنين ابن الرومى فى غربته الى بغداد وطنه اذ يقول فيها :  
بلد صحبت به الشيبة والصبا ● ولبست ثوب العيش وهو جديد  
فاذا تمثل فى الضمير رأيته ● وعليه أغصان الشبَاب تميد  
وبينا أنا غارق فى ذكر بلادى والحنين إليها اذا بي ملتفت ورأى  
فأذكر أمريكا ثم لا ألبث أن أعود الى ذكر بلادى وهكذا بقيت  
نفسى بين عاملين يتجاذبانها الشوق الى الديار والحنين إليها وذكر أمريكا  
وأهلها والنازحين إليها من إخوانى أبناء الشرق وتلك الأيام التى  
قضيتها فيها بين حل وترحال باحثا فى العادات مقارنا بين الأخلاق  
مشاهدا لآثارها مطلقا على عجائبها ممتعا برياضها وديع مناظرها  
ولكنى قلت فى نفسى إن كل لحظة تمر تقصينى عن أمريكا وتدنينى  
من بلادى فبلادى آتية وأمريكا ذاهبة فغديري أن أتفرغ لتلك  
الذهابة لحظة لأناجيا بكلمة وداع فأقول :

سلام على الدنيا الحديثة . سلام عليك يا أمريكا . وعلى أبنائك

أولى الجند والعمل . أولى الآمال الواسعة . والغايات الشاسعة .  
سلام عليك ما آتيت أبنائك مفاتيح كنوز ارضك بفخواماعلى ظهرها  
وما فى بطونتها من الخير العظيم حتى أوشكوا ان يكونوا جميعا أولى  
ألوف مؤلفة وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة . سلام عليك  
ما أقبلت باسمه على أبنائك البيض المحدثين وان أدبرت عابسة عن  
أبنائك الحمر الأقدمين ( وهذه عاقبة كل قوم أهملوا فى استخراج  
خيرات بلادهم إذ يسلط الله عليهم من يعرفون قيمة تلك الخيرات  
فيمتنعون بها وأهلها محرومون ) . سلام عليك وعلى أبنائك الذين  
عرفوا فضل العلم فأثقفوا المال (على حبه) فى إنشاء مدارسك  
العامة وجامعاتك الزاهية . سلام عليك ما أمك من هجروا بلادهم  
متبعين فوسعهم صدرك وإن جنى جل ثمار أعمالهم البيض من  
أبنائك السائدين . سلام عليك ما أفتن أبتؤك فى أساليب الكسب  
وضروب الإعلان . سلام عليك ما تنافس أبتؤك فى أسواق التجارة  
حتى ملكوا ناصيتها فى سائر بقاع الأرض . سلام عليك ما تمتعت  
أبتؤك وبناتك بنعمة الحرية وان كانت مطلقة لاحد لها . سلام  
على قصورك الشائخة التى أوشكت أن تسامى السماء . سلام على  
ما خصك الله به من الآيات الدالة على عظيم قدرته من جبال وأنهار

ويتابع وأشجار وجنادل مناظرها رائعة تقف العقول أمام عظمتها  
 حائرة . سلام عليك ما اتسع أمام أبنائك مجال الخيال . وفتحت  
 أمامهم أبواب الغلو حتى أرونا من الحبة قبة وخيلوا لنا أن الصخور  
 الساكنة نسور طائرة والأشجار الصامته أسود زائرة . سلام عليك  
 مادمت دار هجرة لمن ضاقت به بلاده ونبتته أوطانه فالتقى فيك سائر  
 الأجناس البشرية . سلام عليك ما وفد اليك الوافدون ورحل عنك  
 الراحلون . احبك تحية الوداع ولى فيك وديعة فأوصيك بها خيرا  
 حتى ترد الى أهلها . أما تلك الوديعة فهي أتم لإخراى أبناء الشرق  
 السوريين . ها نأذارا حل الآن عنكم ولكن صلات الودّ تربطني بكم  
 ولو شط المزار . فاستودعكم الله الذى أسأله أن يكلاًكم بعين عنايته  
 ويوفقكم الى ما فيه سعادتكم ويسدد خطاكم فى سبل النجاح فى جميع  
 أعمالكم . ويدم بينكم الألفة والتعاون على الخير وينمى فى قوسكم  
 مآثرته على وجوهكم ونطقته به ألسنتكم من الحب العظيم لبلادكم  
 والاخلاص لدولتكم وأتمنى أنب تعودوا بعد أن تالوا غاياتكم الى  
 أوطانكم سالمين حتى تعملوا فيها بما رأيتم عليه من الجدى فى دار هجرتكم  
 وتضافروا على إسعادها ورفع شأنها فتقيموا من أعمالكم العظيمة حجة  
 بينة على من ينكر على الشرق استعدادة للقيام بجلائل الأعمال والسلام .

قد فرغت الآن من أمريكا ووداع أبنائها والتأحين إليها فلا أعد إلى ذكر بلادى وأهلها لأخطبهم من وراء البحار بكلمة صغيرة في السياحة وما يجب أن يقصد منها ولأجعل تلك الكلمة خاتمة رحلتى فأقول : السائح يجب أن يكون همه الأول من سياحته منصرفا إلى تنقيف عقله وتوسيع نطاق معارفه بدروس السياحة العملية فكل يوم يمر عليه دون أن يزداد فيه علما نفعاً له أو لنبي أمته فلا يورك له في طلوع شمس ذلك اليوم . ولا يتم ذلك لسائح إلا إذا راض نفسه ودرّبها على اليقظة والتنبه لكل ما يقع تحت حسه (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) مع إتمام النظر ودقة البحث حتى لا يكتفى في حكمه على ما يرى بالوقوف عند ظواهره دون أن ينفذ فكره إلى ما وراءه من بواطن كثيرا ما يخالف تلك الظواهر فينبى حكمه على خطأ في النظر فيكون مضلا وخلق به أن يكون هاديا . (يعلم حقيقة ما أقول كل من وقف على ما كتبه السائحون من أبناء الغرب عن الشرق وعوائد أهلها وأخلاقهم فقد نسبوا للشرقيين كثيرا من عوائد وأخلاق لا يعرفونها لأنهم كتبوا ما أملت عليهم الظواهر) عليه إذا ما حل بأرض قوم أن يبحث في عوائدهم وأخلاقهم والجامعات التي تجمعهم من دين أو جنس أو مصلحة

وبالجمله يبحث ما استطاع في سائر اعالمهم وشؤونهم لاسيا الاجتماعية منها ولا يألو جهدا في التفكير لرد كل شئ من ذلك الى أصله الذي بنى عليه والوقوف على آثار تلك العوائد والأخلاق والجامعات في شؤونهم العامة من رقى أو انحطاط وقوة أو ضعف مراعى في كل ذلك أحكام الزمان والمكان حتى اذا ماملأت نفسه آيات العبر واعتدى الى معرفة وسائل النجاح كما علم دواعى القشل عاد الى بلاده بشيرا ونذيرا فأرشدهم الى سبل الهدى وحثهم على سلوكها ونبههم الى مهاوى الضلال وحذّروهم من الوقوع فيها . لا أريد بذلك أن يقتل السائح كل وقته في التفكير فينهك قواه العقلية ويحرم نفسه من التمتع بما يسرّها فان ذلك إفراط وكل إفراط حليفه العجز دون الوصول الى الغايات (ان المُنَبَّه لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) وربما كان السائح في بلاده من أولى الأعمال العقلية وما رحل عن بلاده الا بعد أن يبلغ منه الجهد وطلبت نفسه الراحة من عناء التفكير فاذا لم يجد في سياحته من دواعى السرور ما يشرح الصدور ويرد اليه مآذبه به التعب من قوة عقله وبدنه فلا سبيل الى الاستفادة من سياحته . - فنعلم هو البال لمكثود - وانما أريد الا يجعل السائح همه في سياحته منصرفا الى اللهو واللعب والانهماك في اللذات والافتقار في الشهوات



حتى اذا رجع الى بلاده رجع خاوى العقل من كل فائدة بعد أن  
أنفق وقته وماله بل ربما عاد الى أهله وقد خلف قلبه عند من  
لا يحفظه رهنا بموافقة في عام مقبل .

واني ليحزننى أن أرى كثيرا من إخوانى أبناء الشرق الأغنياء ولا  
سيما المصريين يرحلون عن بلادهم في صيف كل سنة الى الأقطار  
الأوروبية ولا هم لهم الا أن يطلقوا لأنفسهم هناك أعتا تناسق  
في ميادين الشهوات وتسبح في لبح الملاهي حيث الحرية المطلقة  
والسنة النقد موثقة وعيون الانكار مقضية فلا زاجر الا فضيلة  
راسخة وضمير طاهر وأنى تفضيلة لا تنهب وضمير طاهر لا يدنس مع  
هذا الانتفاش في حماة الرذائل فيعودون الى بلادهم وقد خسروا  
الفضيلة والمال مع أن من بينهم العللاء الأجلاء أولى العقول الراجحة  
والآراء الناضجة ممن لا يعجزهم الاصلاح لو أرادوه ولا يستعصى عليهم  
الارشاد لو قصدوه . فكأنهم نسوا أن لبلادهم في أعتاقهم حقوقا  
تطالبهم بأدائها مع أن الأمم الشرقية اليوم أمام هذا السيل الجارف  
من المدنية الغربية التي التبس على أبناء الشرق أمرها فلم يميزوا بين  
محاسنها ومساوئها ولم يعرفوا الى أين يذهب بهم هي في أشد الحاجة  
الى أبنائها المتعلمين الذين يميزون لإخوانهم النحيث من الطيب

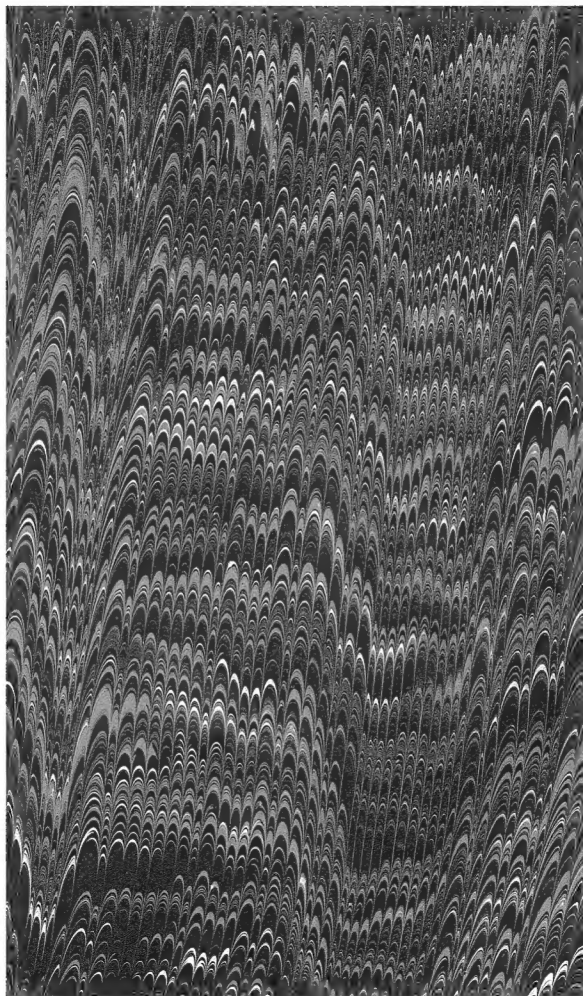
ويبحثون عن أدوائها لاسيما داء الضرق وأمراض الأخلاق وعلى  
 الجهل التي كادت تقتك بها فيستأصلونها بالعلاج الناجع وينبهونها الى  
 مهاوى الفتنة التي حفرت لها حتى تأخذ حذرهما قبل السقوط فيها .  
 فهل منا من سأل في بلاد الغرب (والسائحون كثيرون) فبحث  
 هنالك عن وسائل نهوض تلك الأمم وأسباب رقيها ثم عاد الى بلاده  
 فأخذ يوقف أهلها على تلك الأسباب ويبحث قومه على التمسك بها .  
 لو قام السائحون منا بذلك وأخلصوا في عملهم لأصبحت اليوم نرى  
 المعامل الصناعية الوطنية منتشرة في بلادنا والشركات التجارية مؤسسة  
 بأموالنا والجامعات العلمية تخرج العلماء الأجلاء في كل علم من أبنائنا  
 وهناك يتم لنا الاستقلال الاقتصادي ولنا من ورائه كل خير وسعادة .  
 فعار علينا ونحن أبناء أمة ذات مجد باهر وتاريخ عطر أن نموت بداء  
 الغفلة وتبدينا علة للجهل .

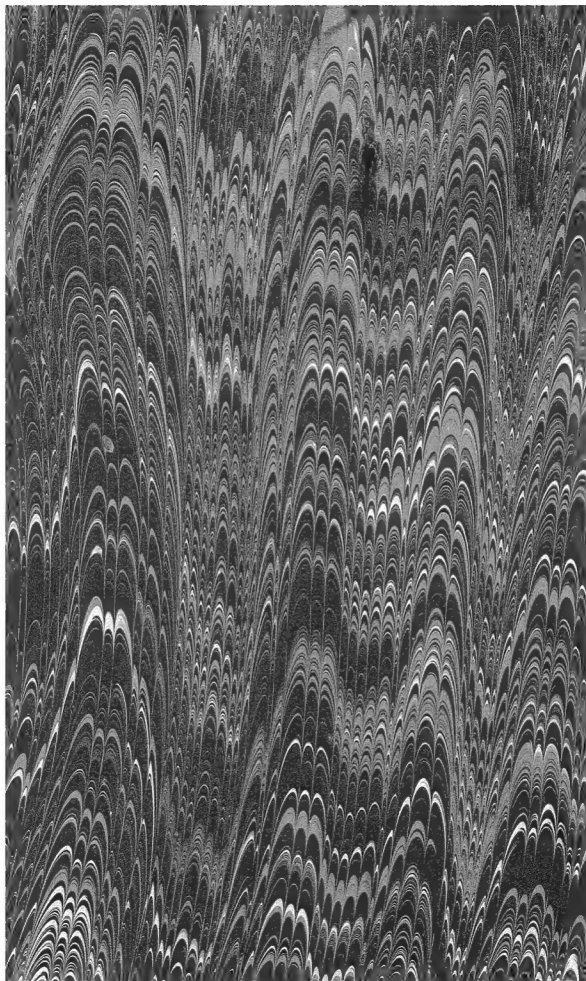
هذه نصيحتي قد أخلصتها لكم وأسأله تعالى أن يؤلف بين قلوبنا  
 ويرشدنا الى طريق النجاح في دنيانا والفوز برضاه ونعيمه في آخرتنا  
 إنه على كل شيء قدير . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وعلى  
 آله وصحبه المرشدين الأتقياء .











Biblioteca Alexandrina



0378489